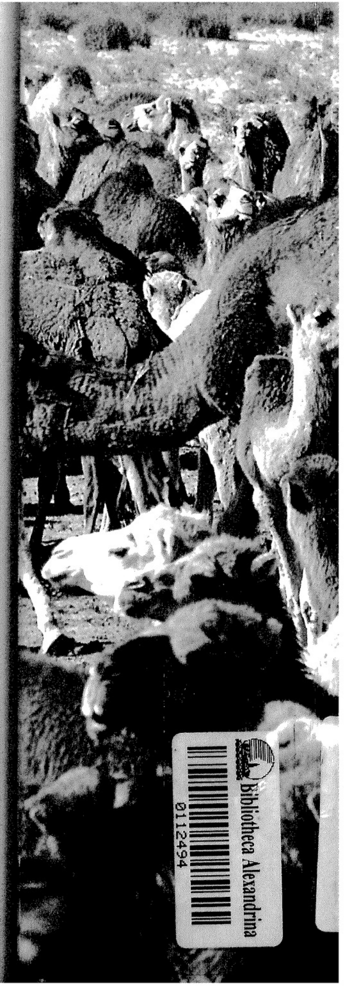
د. محمد سعيد القشاط

الإبل

وحضارة الصحراء



دَار المُـلتَـقى للطبَاعَة وَالنشـر

الإبــلُ
وحَضَارةُ الصَّحْراء

محمد سعيد القشاط

الإبِلُ
وحَضارةُ الصَّحْراء

دار الملتقى للطباعة والنشر

د محمد سعيد القشاط

الإبل وحضارة الصحراء

الطبعة الأولى
سبتمبر 1998
الفاتح 1428 ميلادية

الناشر: دار الملتقى للطباعة والنشر
ليماسول ـ قبرص
بيروت ـ لبنان

الإهداء

إلى العربي الأول

الذي روّض أول بعير في التاريخ.

وبذلك قدّم للبشرية أهم وسيلة نقل في الصحراء.

أهدي هذا الجهد المتواضع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا أدّعي أنني أقدم بحثاً أكاديمياً في هذا السفر عن الإبل وفوائدها وطبائعها وطرق التعامل معها وتربيتها وأماكن تواجدها ومميزاتها، وأمراضها وطرق علاجها. إذ إن ذلك البحث يحتاج إلى غوص في أعماق الكتب والاطلاع على معامل التحاليل ومراكز تربية الإبل واستنطاق المختبرات عن أمراضها وطرق علاجها ومقادير المخلوطات النافعة وتأثيرها في الإبل في مراحل تكاثرها.

غير أنني رأيت أن أسجل معلوماتي الشخصية التي استقيتها من جولاتي الميدانية في أماكن تواجد الشخصية التي استبقتها من جولاتي الميدانية في أماكن تواجد الإبل ومن تجارب رعاتها ومربيها في صحراء العرب الكبرى على مرّ السنين.

لقد تعايشت مع هذا الحيوان المهم منذ نعومة أظفاري. وقد وجدته في بيئتي منذ أن فتحت عيني على الدنيا. ولقد ترعرعت وأنا أراه قوام المنتجع الذي أسكنه وتسكنه أسرتي.

ولقد تنقلت في مهامه الصحراء من الساقية الحمراء، ووادي الذهب وموريتانيا إلى السودان والبحر الأحمر هذه المنطقة التي تعتبر من أهم أماكن تواجد الإبل. وجالست الرعاة واستمعت إلى أحاديثهم ووصفوا لي أمراض الإبل وطرق علاجها. كما حدثوني عن فوائد الإبل في الصحراء عندما لم تكن هناك وسيلة للنقل غيرها.

لقد امتلكت قطيعاً من الإبل لهذه الغاية منذ أكثر من ست عشرة سنة، وأخضعته للدراسة والملاحظة وعايشت هذا القطيع في سنوات الخصب وسنوات الجفاف، واطلعت على أمراض الإبل وطرق معالجتها، وجربت المعالجة الشعبية وغير الشعبية. وأشرفت على ترويم النافر منها، وحلبت أخلاف النياق. ورأيت خضوع الحليب

للمرعى زيادة ونقصاناً. واستطعمت مذاق حشائش المرعى في حليب النوق حتى إنك أحياناً لا تستطيع شرب الحليب الذي رعت نوقه في نبات (النُّقُد) وهو نبات شديد المرارة، يؤثر في الحليب فيصبح مرّ المذاق.

لاحظت ذكاء الإبل وخبرتها في المراعي وكيف تشيم البرق ونزول المطر فتسرع إليه، ولو كانت بينها وبينه مئات الكيلومترات. ولاحظت حبها لوطنها الأول الذي لا يمكن أن تنساه. وستعود إليه حتماً مهما طال الزمن على فراقها له. فالناقة تترك القطيع وتعود إلى وطنها الأول ومراتع صباها. وتخبر البئر الذي شربت منه ولو مرة واحدة فستعود إليه دون أن تخطىء الطريق ولو بعد سنين.

لاحظت غيرة الفحل، وحمايته لقطيعه من الجمال الأخرى. فهو يعارك حتى ينتصر أو يموت. وإذا شعر بأن الجمل المقابل أقوى منه فيقوم إلى طرد القطيع أمامه ويبتعد به بعيداً.

ورأيت الفحل يحول بين قطيعه والجمال الأخرى محاولاً ألا يدنو أي فحل من قطيعه. وهو السيد المطاع في القطيع، فلا يسمح لأي ذكر آخر مهما صغر أن يعيش داخل القطيع إلا إذا كان هذا الأخير عديم الفحولة، ويعيش عيشة إناث الإبل.

والفحول كالرجال، منها من يقتنع بقطيعه ولا يقبل أي ناقة أخرى تدخل القطيع للقاح. ومنها لا يهمه ذلك فهو يقبل الجميع. بل ويتسلل في غفلة الرقباء إلى القطعان الأخرى يلقح منها ما استطاع وتنشب المعارك والصراعات.

رأيت فحلاً لا يضاجع أنثاه إلا ليلاً حيث تخف أعين الرقباء. ورأيت فحولاً تضاجع إناثها في كل وقت.

إن النياق لا تطيع إلا الفحل الذي تعشقه ولا يمكن لها أبداً أن تسمح لفحل آخر بمضاجعتها. إنها الأخلاقيات التي فقدها البشر. وإنها الغيرة التي فقدها بعض البشر ما زالت مجسّمة في الإبل ذكورها وإناثها، صغارها وكبارها.

إن الناقة التي ترغم على مضاجعة فحل لا تعشقه لا تلقح منه. وإذا سبق لها وأن لقِّحت من غيره ترمي ذلك الجنين، أو كما يقولون يتلاشى ذلك الحمل.

شاهدت كل ذلك وعايشته وجالست رعاة الإبل واستمعت إلى أقاصيصهم الطريفة عن الإبل وحنينها وشعورها الصادق بالخطر قبل وقوعه. وإحساسها بالمآسي التي تصيب سيدها قبل وقوعها. وتنبؤها بالسفر والترحال.

إنها الحيوان النبيل الذي لا يضاهيه في نبله أي حيوان آخر.

الإبل التي عايشت العرب وعايشوها، واستهانوا بأرواحهم في سبيلها. واعتبروا استياقها ليسى عيباً، وإنما هو من فخر آدابهم.

حملتهم إلى أقاصي الأرض فاتحين منتصرين، وعلماء أجلاء، وفقهاء ومدرسين، وتجاراً رابحين، ومهاجرين فارين بدينهم وشرفهم.

حمتهم من الجوع حيث تبرعت بشحمها ولحمها ودمها بعد أن ضن اللبن.

وحمتهم من العطش عندما خبرت المناهل القاصية في فيافي الصحراء الكالحة. وتبرعت راضية بدمها وفرتها شراباً لهم ولأولادهم حيث ضنّ بالماء حامله، وتباعدت مسافات الطرق بين الرحل والمعاطن.

لقد سرت متتبعاً طرق الإبل ومساربها على امتداد الصحراء العربية الكبرى في أفريقيا. وما زالت حتى كتابة هذه السطور طرق القوافل ترسم خطوطاً متوازية غائرة في الأرض عبر الحمادة الحمراء، وصحراء التيزي وصحراء تينزوفت.

ما زال المرء يشاهد عظام الإبل وجماجمها على جوانب هذه الطرق، ماتت ليحيا أصحابها. وبقيت عظامها تروي للأجيال قصة المعاناة والتعب والنصب والإجهاد التي عاشها أجداد لنا سطروا أنصع الصفحات في تاريخ البشرية.

إن نسي العرب لن ينسوا فضل الإبل عليهم في تاريخهم البعيد البعيد، والقريب القريب. ولولا الإبل ما انتشر الإسلام وثقافته وآدابه ولغته. ولولا الإبل ما عرفت الشعوب ما عرفت. وما تمازجها في المنطقة أدباً وتراثاً وموسيقى وشعراً إلا بفضل الإبل، ومجهودات الإبل.

وإن دينا انتشر من جبال البرانس إلى سد الصين العظيم يجب أن لا ننسى أنه لولا الإبل لبقي في جزيرة العرب دون أن يخرج منها إلى عوالم هو اليوم المسيطر والمؤثّر فيها.

وإن الخيول التي اندفعت تحمل فرسان الجهاد فاتحين الأمصار لا يمكن أن يتم لها ذلك لولا الإبل التي كانت تحمل الماء الذي لا بد لها منه. وتحمل الزاد الذي لا بد للمجاهدين منه. وتحمل الطعام للخيل المقاتلة وما ثقل حمله، ويستوجب حمله في هذه المهامة القاتلة.

إنني إذ أقدم هذه الصفحات من تجارب العرب مع الإبل، ومن مشاهداتي

الشخصية لهذا الحيوان العظيم آمل من مثقفي العرب أن يثروا هذه الدراسة. وأن ينصفوا الإبل ولا يتركوا للآخرين أن يسيئوا إليها بجهلهم.

12 ربيع الثاني 1424	د. محمد سعيد القشاط
هاتيبال (أغسطس) 1995	طرابلس الغرب



الفصل الأول

الإبل عند العرب

الإبل ذلك الحيوان الجميل الفارع القوام المتناسق الأعضاء، الذي يعتبره العربي الرفيق الوحيد في الصحراء، ذلك الحيوان الذي نبه الله عزّ وجلّ عن جماله وتناسقه ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾.

ذلك الحيوان الذي أوضح علم التشريح الحديث أن له خصائص ومميزات، ليست لغيره من الحيوانات التي هي قريبة من فصيلته.

فهو الحيوان المجتر، ولا تتكوّن أمعاؤه مثل الحيوانات المجترة، كما لا توجد لديه حويصلة (المرارة).

وهو الحيوان الوحيد الذي له قناتان للدمع. ولعينيه غشاء ذو حراشيف تنقبض وتنفرد حسب الرغبة وحسب الأجواء.

وهو الحيوان الوحيد في سلسلة الحيوانات الداجنة وغير الداجنة الذي ينبت له سطران من الأهداب في جفن عينه العلوي. ويملك القدرة على الرؤية ليلاً بواسطة (غشاء من المشيمة في العين يعرف بـ (البساط المشع) وهو عبارة عن طبقة من النسيج الضام اللامع في مشيمية العين، يساعد على زيادة قوة النظر)[1].

والإبل تتحمل العطش لمدة طويلة. وفي سنوات الخصب حيث تتساقط الأمطار وتنمو الأعشاب، فإن الإبل تقلع عن الشرب نهائياً ما دامت تتغذى بالحشائش الخضراء. وقد يستمر انقطاعها سنة كاملة، كما حدث في الحمادة الحمراء عام 1983، حيث هطلت الأمطار بكميات كبيرة. وبقيت الحشائش خضراء طوال العام فلم تشرب الإبل الماء ذلك العام.

أما في السنوات العادية، فإن فصل الربيع هو فصل الامتناع عن الشرب. ولكن في الشتاء حيث تتجه الإبل لأكل الأشجار المالحة، فإن شرب الإبل يستحسن أن يكون يوماً بعد يوم (على غب) طوال الشتاء حتى تقبل على أكل الأشجار المالحة مثل العجرم،

والباقل، والإثل، والسّويدة، وأم قريبة، والغزلام، والحاد، وجميعها شجيرات مالحة. أما في المناطق التي لا توجد فيها أشجار مالحة، فإن المربين يعمدون إلى إعطاء الإبل الملح، أو سقيها بالماء المالح كما يفعل سكان جنوب الصحراء في النيجر ومالي.

أما في الصيف فصل الحر، فإن الإبل تشرب على (ربع) أي تشرب يوماً وتعطش يومين.

وقد حدثني أحد المجاهدين من قبيلة المشاشية، إنه أورد إبله على ثمن في الصيف، فهاجمته القوات الايطالية قبل شربها، فساق إبله حتى وصل بها إلى براك الشاطىء بفزان، حيث سقاها بعد 16 يوماً من العطش، وكان ذلك في الصيف.

ويعتقد الكثيرون أن الجمل يحمل الماء في معدته في أكياس معدَّة لذلك، وهذا خطأ. فإن الجمل يحمل الماء في معدته مختلط بطعامه، والعربي إذا عطش في الصحراء يقوم بنحر جمله حيث يشرب دمه. ويعلق معدة البعير ويثقبها بعدة ثقوب صغيرة، ويجمع الماء المتساقط منها في وعاء ويشربه. وقد فعل خالد بن الوليد ذلك عندما قطع نفازة السماوة في صحراء نجد من العراق إلى الشام، ويفعلها العرب إلى اليوم في الصحراء.

والعرب يعتبرون الإبل أسمى الحيوانات، والفرسان هم الذين يقومون برعاية الإبل بعكس الحيوانات الأخرى كالغنم والماعز والبقر، حيث يقوم على رعايتها الأجراء والعبيد.

وقصص البطولات تروى عن فرسان الإبل. فذياب بن غانم في قصة السيرة الهلالية اختير ليرعى الإبل ويحميها. والعرب يقدرون الإبل. فالبعير عندما يموت لا يلقى رأسه في الأرض كبقية الحيوانات، ولكن يوضع بإتقان فوق شجرة سدر أو طلح حتى يبقى مرفوعاً علامة على الاحترام.

والبعير الحيوان الوحيد الذي يموت ورأسه مرفوعٌ، فإذا حضرته الوفاة لوى رأسه إلى أعلى، وعضّ غاربه، حتى تفارقه الحياة.

والعربي يفضل الموت مرتاحاً إلى شيئين: الإبل والمرأة.

ولهذا يرى العربي أن أفضل شيء يقدمه مهراً للمرأة الكريمة هو الإبل. فالمرأة المشهورة النسب يكون مهرها إبلاً. وكذلك ديات القتلى لا تكون إلا إبلاً.

واكتسب العرب الكثير من صفاتهم وأخلاقهم من الإبل. فالإبل هي الحيوان

الوحيد الذي يترأس القطيعَ فيه جملٌ واحدٌ، فحلٌ واحد. ويقضي على كل الزعامات الأخرى بطردها من القطيع، إلا إذا اعترفت بزعامتها ونسيت أنها ذكور.

والعربي يحقد كجمله. فالجمل لا ينسى الإساءة مهما طال الزمن، وسينتصر لنفسه.

والناقة تعشق الجمل، وتلقح منه. وإذا أرغمت على البروك لجمل آخر، فإنها لا تلقح، وإذا دخل القطيع جمل آخر بعد أن لقحت النياق من فحلها، فإن النياق (تندم) أي يذوب حملها دون إجهاض وتصبح حيالاً.

والناقة عندما يأتيها المخاض تبتعد عن القطيع، وكأنها تخجل من رؤيتها تلد. وتلد بعيداً عن القطيع.

والإبل لا تلد التوائم، وقد حدث بعض المرات أن ولدت الناقة توأماً، حدث ذلك في الحمادة الحمراء مرة واحدة. وقد عاشت الناقة وولديها، وكانا ذكراً وأنثى يحملان لوناً واحداً. كما حدث في سهل الجفارة مرة في منطقة تيجي، ولكن الناقة نفقت ومات أولادها[1].

والعرب عندما تلد الناقة توأماً وهو نادر جداً يخفون ذلك عن الناس ولا يتحدثون به ويعتبرونه من علامات قيام الساعة. وإذا ذكروا ذلك، فإن القطيع تصيبه العين حسب اعتقادهم.

وأثناء ولادة الإبل في فصل الشتاء، يمنع دخول النساء إلى مراح الإبل. وذلك لأن القعدان الصغيرة إذا شمت رائحة العطور، فإنها تموت أو تصاب بإسهال ثم تموت. ويقال (إن القعود كرف).

وراعي الإبل في فترة الولادة لا يستعمل الطيب، ولا يغسل يديه أو ملابسه بصابون يحتوي على رائحة الطيب حفاظاً على حياة القعدان الصغيرة.

وعندما تلد الناقة حواراً مغمى عليه يشعلون النار بجانبه، فينفثون عليه الدخان فيصحو ويقوم.

ولبأ الإبل يُحلب بعد إرضاع الفصيل، ويُطبخ ويؤكل عند بعض القبائل في الصحراء.

والعرب لا يحلبون الإبل في الأشهر الأولى لولادتها. ويقولون إن حليبها يصيب من شربه بالقمل. والواقع أنهم يريدون للفصيل أن يتغذى غذاء كاملاً.

وقد تنفر بعض الإبل أولادها عند الولادة، فيقومون بإرغامها على تقبُّل ولدها،

وذلك بأن يخيطوا أنفها بعد أن يسدوه بالوبر والبعر، ويربطونها من الخلف أيضاً حتى لا يخرج النفس منها. فتنتفخ الناقة ويكون ذلك ليلاً وبعيداً عن القطيع. عندها ينزع الراعي ملابسه ويبقى عارياً متشبهاً بالذئب، فيهاجمها من كل جهة، ويختطف الفصيل الذي يرغي ويحتمي بأمه.

فإذا (رزمت) الناقة حانَّة على ولدها يفرج عن أنفها ومؤخرتها، فيخرج منها الهواء، وتستنشق الهواء. وتروم ابنها وتجعله يقبل على رضاعتها.

ورباط الأنف هذا نوعان. أحدهما يسمى (الزهيري) والآخر يسمى (النويري) وفي كليهما طريقة للربط.

وبعد عدة أشهر من ولادة الإبل يبدأ في حلبها. وللحلب عدة طرق.

فبدو صحراء مالي والنيجر يحجزون الفصلان عند الصباح، ويتركون الإبل ترعى إلى المساء. وعند عودتها إلى المراح يطلق لكل ناقة فصيلها الذي يرضعها فتدر الحليب، ويقوم صاحب الإبل أو الراعي بحلب اثنين من أثدائها، ويترك الباقي للفصيل.

أما في صحراء تشاد والسودان، فإنهم يقومون بربط خيط حول حلمة الناقة ويسمونه (صر) يمنع الحوار من الرضاعة. وعند المساء تعود الإبل إلى المراح فيحلون الرباط (الصر) ويحلبون الإبل. وعيوب هذا الصر هو قطع حلمة الناقة أحياناً عندما تظل في الفلاة ولا تحلب.

أما عرب الشمال الأفريقي، فإنهم يضعون على ضرع الناقة قطعة مشبكة من خيوط الوبر تسمى (الشمال). وهي تمنع الحوار من الرضاعة، وعند المساء يحلون ذلك الخيط فيرضع الحوار ويقوم الراعي بحلب الناقة.

وفي كل حالة يترك للحوار أحد أخلاف الناقة لرضاعته. ولا يحلب الراعي كل ضرع الناقة.

وفي صحراء مالي وموريتانيا والنيجر وتشاد والسودان وجنوب ليبيا والجزائر والساقية الحمراء، يحلبون الإبل في أقداح من الخشب.

أما في الشمال فإنهم يحلبونها في جلد الماعز ويسمى (شكوه) حيث يضع الراعي حلمة الضرع في فم الشكوه ويمسكه بإصبعين، ويحلب إلى أن ينتهي وينتقل إلى الحلمة الأخرى.

ويعتبر لبن الإبل غذاء متكاملاً. فقبائل جنوب الصحراء يعتمدون عليه ويعتبرونه وجبة غذائية رئيسية. حيث يجمع اللبن في قدر كبير، وتتقدم أكبر النسوة سناً وتقسمه على الجميع، ويكون ذلك عشاءهم.

أما في شمال الصحراء، فلا يعتبرونه وجبة غذائية، وإنما يشربونه هكذا.

ورعاة الإبل من أصح الناس جسماً وأقواهم على صرع الإبل، وتحمل مشاق السير في الصحراء.

ويتكون القطيع من 70 إلى 100 ناقة، ويكون فيه فحلٌ واحدٌ.

والإبل تعشق أوطانها. وإذا فارقتها فإنها تعود إليها ولو طال الزمن.

وإذا ضل العربي الطريق في الصحراء فإنه يرخي للجمل زمامه فيتجه به نحو الماء. إذ الإبل لا تنسى مواقع الآبار التي وردتها ولو كانت صغيرة.

والجمل يحس بالخطر ولو كان بعيداً. ويشم الأعداء من بعيد. ويسمع صوت حوافر الخيل وحركة العدو من بعيد. فيتجه جهة الصوت وينصب أذنيه نحو الصوت، فيعرف صاحبه أن شيئاً ما يتحرك في تلك الجهة، ليلاً أو نهاراً.

والإبل تطرب لصوت الحادي. فإذا ضجرت القافلة المحملة من السير في الصحراء ينبري أحد الرجال بالغناء خلفها فتطرب وتمد رقابها وتسرع في السير وتجهد حتى إن بعضها بعد سفر طويل يسقط ميتاً من الإجهاد.

«.. حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي (رض) قال:

كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب، فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءه، فرأيت في الخباء عبداً أسود مقيداً بقيد، ورأيت جمالاً قد ماتت بين يدي البيت، وقد بقي منها جمل، وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي الغلام: أنت ضيف ولك حق فتشفع فيّ إلى مولاي، فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر، فعساه يحل القيد عني. قال: فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت: لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد، فقال: إن هذا العبد قد أفقرني وأهلك جميع مالي، فقلت: ماذا فعل؟ فقال: إن له صوتاً طيباً، وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال. فحملها أحمالاً ثقالاً، وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نغمته، فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد. ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك. قال: فأحببت أن أسمع صوته. فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل، وقطع حباله، ووقعت أنا على وجهي، فما أظن أني سمعت قطّ صوتاً أطيب منه»[1].

---

(1) إحياء علوم الدين للإمام حامد محمد بن محمد الغزالي. الجزء الثاني، ص 396 ـ 397. دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة المحققة الأولى، 1412 هـ 1992 م.

والإبل إذا سقطت في الطريق إعياء، فمن الصعب أن تقوم لأنها لا تسقط إلا إذا انتهت قوتها. والعرب يعرفون عن طريق الإبل الكثير من الأشياء، فهم يقولون عندما يتثاءب البعير، فإنه يحس بقرب سقوط المطر.

وإذا وقفت الإبل وبدأت في حكّ قوائمها الخلفية بعضها ببعض، يقولون إن الإبل ستسافر في طريق طويل. أما إذا وقفت الإبل في المراح ولم تتجه إلى أي جهة للمرعى، فيقولون إن الإبل حائرة لجدب المراعي.

وحدثني أكثر من واحد أن الإبل تعلم بموت صاحبها، فتتجمع وتغرد طوال الليل عند موته حتى ولو لم يسمع الآخرون من الناس بموته.

والإبل ترقص للمطر، فلقد شاهدتها تتراقص عند وصولها إلى الأرض المطورة، أو التي جرى عليها السيل.

والبعير يعرف صوت صاحبه، فإذا نهره يلتفت ويعود من حيث أتى. ويعرف صيحة راعيه، فإذا صاح الراعي في القطيع تجمع وسار في الاتجاه الذي يريده.

والإبل تطرب لسماع الناي. فقد شاهدتها تطرح رقابها على الأرض ليلاً عند عزف الراعي للناي، والذي يسمى في منطقة الصحراء (القصباية).

وترويض البعير يحتاج إلى عدة أشهر: ويفضلون ترويضه وهو صغير. يضعون في رأسه الرسن ويربطونه بدون طعام عدة أيام إلى أن يضمر ويتعب ثم يقيدونه.

وبعد ذلك يضعون عليه الرحل دون أن يركب عليه أحد.

وعندما يتعود على ذلك، ويتعلم أن يقاد بسهولة، يركب الراعي عليه ويعلمه السير، والجري، والرجوع إلى الخلف، والابتعاد عن القطيع، والرجوع إليه إلى غير ذلك من الحركات.

ثم يضعون في أنفه حلقة يسمونها (قلاّص) ويربطون فيها خيطاً يسمى (الخزام)، ويقودونه به فيصير أطوع ما يكون، حتى إن الجمل إذا وضعت خزامه على الأرض لا يتحرك ولا يمشي.

وحفاظاً على صحة الجمل المعد للركوب، يقومون (بخصيه) ويسمونه (تطييش) وهو أن يرقدوه ويجرحوا الصفن بموس حادة، ويخرجوا بيضتيه ويسحبوهما بقوة مع تحريك رجليه الخلفيتين، وبعد إقصائهما يكوى مكانهما. ويطرد الجمل مسافة يسيرة حتى لا يتجمع الدم في جسمه ويتسمم ويموت. ويصبح بعد ذلك جملاً (مهريا) أو جمل ركوب. فلا يهيج ولا يهدر ويصبح كالناقة.

وحتى لا يغترّ أحد من الناس في هذا الجمل وهو لا يعلم (بتطييشه) ويتركه في القطيع كفحل يرسم البدو خطين بالموسى على فخذ الجمل من الخلف علامة على أنه لا يصلح للفحولة.

وبدو الصحراء قديماً لا يتركون في الإبل فحلاً أبيض، لأنه يلد الإبل البيضاء التي يراها العدو من البعيد فيستاقها. ويفضلون الفحل الأحمر والأزرق والأصفر.

والبدو يسمون الإبل بوسم يعرفونها به، وتضع كل قبيلة سمة بالنار على رقاب الإبل أو أكتافها أو أفخاذها تعرف بها. ويقولون ذلك هذه سمة القبيلة الفلانية. فمثلاً في ليبيا تضع قبيلة الصيعان المثلث على الكتف الأيسر ويسمونه الجبيرة △. وكل قبيلة من الصيعان تضع علامة أخرى على الفخذ تعرف بها.

أما قبيلة ورفلله فتضع (المذراة) على الفخذ الأيسر وهي هكذا ⟵< . وتضع كل قبيلة علامة أخرى تسمى العزيلة.

وقبيلة الزنتان تضع ⌛ ويسمى البوماض على الرقبة من الجهة اليمنى، وتضع كل قبيلة علامة أخرى تعزل بها سمتها عن غيرها.

أما قبيلة النوائل فسمتها (+) وهي حرف (ت) عند التوارق حروف (التافيناغ) أو الحروف الليبية القديمة.

وتضع قبيلة المغارية ↓ هذه العلامة على الرقبة قرب الفك الأيسر، ومعها خطّ بين الأذن والعين يسمونه (الرويجل) (ا).

والتوارق يضعون (+) على الفك الأيمن، ومنهم من يضع خطين (اا) على الفك الأيمن، والجرامنه يضعون (⊥) على الرقبة من الجهة اليمنى.

وقبيلة الفذاذفة يضعون الحلقة (○) على الفك الأيسر ويسمونها (الخرص).

وقبيلة المقارحة يضعون حلقة كبيرة على الفخذ الأيسر ويسمونها الطبل (○). ولكل قبيلة من القبائل العربية سمة تعرف بها نوقها وهي متعارف عليها.

ومنها من يهرع الأذن أو يقطفها أو يشركها كقبائل اللماميش في جنوب الجزائر.

ومنهم من يضع خطاً تحت الذيل أو خطاً على طول الصدر كبعض القبائل في صحراء السودان وتشاد.

وليس هناك سمة خاصة بالنوق وأخرى بالجمال، كما يتوهم البعض. وإنما سمة الإبل توضع على الجمال وعلى النوق.

وإذا بلغ الفصيل عاماً من عمره يوضع عليه السمة ويسمونها (المحْوَرْ) أو (النار).

والسمة توضع دائماً على الأماكن البارزة كالرقبة والوجه والأكتاف والأفخاذ. ولم أشاهد من يسم إبله على الجنب أو البطن أو الذروة. لأن الوبر يغطي السمة فلا تُرى.

ويوم سمة الإبل من الأيام المشهورة، حيث يحضر مجموعة من الرجال الأقوياء يتسابقون في إسقاط الإبل على الأرض. وتكون الخيول مسرجة ليرجعوا بها الأباعر الهاربة. وتوضع محاور الحديد في النار. وتسم الإبل الواحد بعد الآخر.

ويولم صاحب الإبل للمجموعة، وتترك المحاور قرب النار تلك الليلة. مردومة في رماد النار للتبرك.

وفي فصل الصيف ترد المناهل فتجد مجموعات من البدو يسألون عن ضوالهم، إبلهم الضالة، وكل واحد يذكر سمته ويقولون (ناره) فيقولون من رأى ناقة لونها كذا وسنها كذا، وتحمل نار عائلة فلان. أو القبيلة الفلانية وهكذا.

والبدو يحفظون أنساب إبلهم. ويحفظون أسنانها. ويطلقون على كل عمر للبعير اسماً معروفاً، فهو عندما يولد (حوار). وبعد عدة أشهر يصبح اسمه (مخلول). وبعد سنة (ابن عشار)، أو (ابن مخاض). وفي عامه الثاني (ابن لبون). وفي عامه الثالث (حِق) وللأنثى (حِقة)، أي إنه يحق بعينه أخاه القادم إذ تلد أمه المرة الثانية.

وبعد ذلك (جذع)، و(ثني) حيث تظهر له سنين عريضتين في الفك الأسفل.

ثم (رباع) حيث تظهر له أربع أسنان عريضة في الفك الأسفل..

ثم (سداس) حيث تظهر له ست أسنان عريضة في الفك الأسفل.

وبعدها يقولون على أول. وبوتاني وبوتالت وهكذا.

وأقصى عمر تعيشه الإبل ثلاث وثلاثون سنة، وكلما تقدمت بها السن تضعف ويصغر حجمها، ويقل إنتاجها إلى أن تتجاوز الخامسة والعشرين، حينذاك تصير عديمة الفائدة، ولا تلد، وتتساقط جميع أسنانها ولا تستطيع أكل الأشجار، ولا مضغ الجرة. وقد قيل لي إن ناقة لأحد توارق الحمادة الحمراء عاشت ثلاثاً وثلاثين سنة.

والفحول أقصر أعماراً من الجمال غير الفحول، وكلما تقدمت السن بالناقة قلّ حليبها وضمر جسمها وقلّ لحمها.

وتلد الإبل سنة بعد سنة، وإذا وجدت الغذاء الجيد الحشائش والأعشاب تلد كل عام. وتلقح الأنثى بعد مرور ثلاث سنوات من عمرها. وفي سنوات الخصب قد تلقح بعد مرور سنتين من عمرها ويسمونها (مظلومة)، أي إنها لقحت قبل وقتها. أما الذكر

فلا يخصب إلا بعد مرور خمس سنوات من عمره. وفي سنته الرابعة وهو (جذع) قد يلقح ناقة واحدة أو اثنتين على الأكثر. ولا يخرج الجمل شقشقته إلا بعد مرور ست سنوات من عمره.

وأنثى الإبل تروّض على الحلب كما يروّض الذكر على الركوب. فيعقلون إحدى قائمتيها الأماميتين، ويقبض أحدهم على رسنها ويحلبونها كرها لعدة مرات إلى أن تستأنس بالحلب. والناقة إذا كانت معقولة لا تستطيع أن ترفس بقائمتها الخلفية.

وتحمل الناقة جنينها سنة كاملة، ثم تلده. وهناك من يقول إن بعض النوق تحمل ثلاثة عشر شهراً. وبعضهم يقول إنما تحمل اثني عشر شهراً، واثني عشر يوماً.

وأخبرني أحد بدو السودان قال: «إن الناقة حسبت لها فهي تلد بعد إتمام ثلاثة عشر شهراً في الغالب. وبعض النوق يلدون قبل تلك المدة بعدة أيام. وأم الذكر تلد بعد أم الأنثى بعدة أيام، مع أن لقاحهما في يوم واحد.

والجمل يعرف الناقة الحامل من غير الحامل بطريقة الشم، فيشمها من الخلف أو يشم بولها فيعرف إن كانت حاملاً أم لا. والناقة الحامل (العشراء) ترفع ذيلها علامة الحمل وكذلك رأسها إلى أعلى وتبول أثناء ذلك، خاصة عند اقتراب الفحل منها. وقبل الولادة بأسابيع يكبر ضرع الناقة حتى إذا ما سد الفرجة بين القائمتين الخلفيتين يقولون عنه (لاقى) تحدث الولادة. ويقولون عن الناقة قبل ولادتها بيوم أو يومين (املاقية). بمعنى أن ولادتها قريبة. أو لاقت موعد الولادة.

والبدو لا ينحرون الإبل إلا مكرهين، فهي الحيوان النبيل الذي ينظرون إليه بتقدير، وبعضهم من قبائل التوارق لا يأكلون لحمه احتراماً له. ويقولون في أمثالهم (إن بعض الحلال تشمئز منه النفس).

ويتخذون من وبرها أغطية وبرانس وحمولاً وغرائر. ومن جلودها أحذية (مداس)، وكانوا يأكلون هذه الأحذية بعد شيها في سنوات المجاعة. والبدوي في الصحراء يفصد جمله عند الجوع ويأكل من دمه الذي يطبخه ويصبح كالكبد.

كما يقتطع قطعة من سنام جمله ويشويها في النار ويأكلها؛ ويخيط الجرح ويكويه بحديدة حامية حتى لا يتورم.

وقد رأيت الإبل (تبكي) وتسيل دموعها على خديها عندما يدخلونها السلخانة للذبح، أو عندما يعقلونها مرغمة ويطلقون سراح القطيع. وتسيل دموعها وهي تحن إلى مراتعها وأوطانها، وعندما تفقد الناقة فصيلها تراها تترك الرعي وتحنّ طوال اليوم

والليل ودموعها تتساقط على خديها. ومنظر دموعها وسماع حنينها من الأشياء التي تثير الحزن والشجن في الإنسان.

كان العرب في الصحراء إذا أصيب للرجل أحد أولاده في معركة وقتل، يعمد إلى ناقته فيقتل فصيلها ويتركه مطروحاً فتحرك أشجانه بحنينها ودموعها فتنطلق ملكة الشعر عنده وكذلك البكاء.

والإبل إذا سارت مجتمعة لا تحتمل رؤية أحدها يسير في الأمام. فكل الإبل تعض البعير الذي يسير في الأمام فيرجع هذا إلى الخلف وهكذا. ويقول عرب الصحراء في أمثالهم «زي البل تعض القدّامية منها». وذلك عندما ينتقدون مجموعة من الناس يكرهون شخصاً متقدماً عليهم بالعمل أو بالكرم أو بالشجاعة.

والجمل لا يرغي، إلا لحظة الضعف. فيقولون في أمثالهم (اللّي يهدر ما يرغيش). والهدير علامة القوة. وكذلك الجمل عندما يتعارك مع الجمل الآخر فإنه عندما يرغي المغلوب يطلقه الجمل الغالب ويقولون في أمثالهم:

(الجمل اليارغاء في فم الجمل يطلقه).

ونظراً لأن البعير يقع دماغه في الجهة الخلفية من الرأس، لهذا نراه يقابل الشمس في الصيف ويتتبعها كزهرة عباد الشمس ولا يعطيها بالقفا. والإبل جميعها تقابل الشمس أثناء القيلولة. وقالت امرأة ليبية تلوم أخاها لأنه باع الإبل واشترى محلها الغنم:

شريت اللّي تخاف من الشمس ... وبعت اللّي اتجيها أقصادي

وزي من نزل دار أمس ... ويا حشمتك في لُبّادي

ويعطّشون الإبل بعد الربيع ولا يسقونها حتى تتجمع ليلاً من العطش وتقابل (القمر) ظانة أنه الشمس. ويقولون (لا تشرب حتى اتقيّل في القمراء).

ومن الإبل يأخذون بعد ذبحها (العلبة) وهي حزمة الأعصاب التي تمتد على طول الظهر من الجانبين ويربطون بها عيدان (الجحفة) (الهودج) ويقولون (يوسرونها) وعندما تجف (العلبة) فإنها لا تفك.

وإذا جاعت الإبل تأكل وبر بعضها البعض من الجوع. ويقولون كناية عن الجوع (تاكل في أوبر بعضها) حتى ولو لم تفعل ذلك، ليوضحوا جدب مراتعها. وقد رأيت الإبل الجائعة تأكل بعرها، وكذلك الخيل إذا جاعت تأكل روثها.

كما يصنع (الطبل) من جلد الإبل. والطبل هو رمز القيادة، والرئاسة في القبيلة،

ويكون من أملاك شيخ القبيلة. ويُضرب للتحضير للاجتماع، وللحرب، وللنذر، ولكل مناسبة ضرباتها كما يضرب للأفراح. وعلى الطبل ترقص الجمال المهاري في أفراح عرب التوارق.

ويشد على قصعة كبيرة جلد بعير، ويربط بحبال وكذلك على قعرها المثقوب جلد آخر.

ويعتبر الدفاع عن الطبل دفاعاً عن شرف القبيلة، والقبيلة التي يحمل العدو طبلها، يعتبر كأنه سلبها شرفها ولا تهدأ إلى أن تعود به في معارك أو معركة أخرى.

ويصنعون من جلود صغار الإبل (الدلاء) الكبيرة التي لا يخرجها من البئر إلا الرجل القوي. فيقولون فلان يسقي إبله بدلو قعود. ويتبارى الرجال لاختبار قوتهم في إخراج مثل هذا الدلو.

والبدو يعرفون القافلة من أي جهة هي قادمة من بعر إبلها. فإذا كانت قادمة من الواحات (فزان) يجدون في بعرها نوى التمر. كما يجدون النباتات المعروفة في مناطقها.

والإبل عندما تأكل الشعير لا تطحنه بأضراسها، بل تبتلعه سليماً وتنزله في بعرها سليماً.

حتى يقولون (البعير لا يضر الشعير. والشعير لا يضر البعير).

ففي سنوات المجاعة أيام الايطاليين قامت نساء الواحات بفرك بعر الإبل التي تخص الجيش الايطالي وكنَّ يستخرجن منه الشعير ويغربلنه، ويغسلنه، ثم يخفقنه ويطحنَّه ويأكلنه.

وقد شاهدت الشعير الذي ينزل في بعر الإبل إذا أصابته المطر ينبت!

والبدو يتخذون مجلساً لمشاكل الإبل، يكون من كبار السن وأصحاب التجارب ومعرفة الإبل.

ويحكى أن في منطقة (برقة) رأمت ناقتان فصيلاً واحداً، وبدأتا ترضعانه لأن إحداهما مات فصيلها. ولما وجد الرعاة الناقتين تخاصموا، فكل واحد يرى أن القعود هو ابن ناقته هو. ولكن مجلس الإبل رأى أن يُدخل القعود البحر، فستتبعه أمه، أما الأخرى فإنها ترجع. وفعلاً أدخل الرعاة القعود إلى البحر وابتعدوا به وتبعته الناقتان إلى مسافة ليست ببعيدة. ثم رجعت إحداهما. وتبعته الأخرى إلى أن لحقت به. فحكمت المحكمة بأن أم القعود الحقيقية هي التي تبعته إلى النهاية.

والإبل إذا هزلت لا تستطيع القيام من مباركها، فيعمد أصحابها للعمد ويدخلونها تحتها ويمسكون بها ويرفعونها إلى فوق إلى أن يقوم البعير، فيسير طوال اليوم.

والبعير الهزيل لا يستطيع القيام بعد شربه الماء إلى أن يعطش وتخف بطنه فيقوم. كما يعمد رعاة الإبل إلى اختيار المبارك في الأرض القاسية إذا كانت إبلهم هزيلة لأنها تستطيع القيام من الأرض الصلبة. أما إذا بركت في أرض رملية أو رطبة، فإنها لا تستطيع القيام.

والبعير الهزيل الذي لا يستطيع القيام في سنوات الجدب وقلّة المرعى، يعمد صاحبه إلى إعطائه كيلو من التمر ويساعده على النهوض، فيسير يوماً كاملاً بتلك الكمية القليلة من التمر التي أكلها مصاحباً للقافلة دون أن يتخلف عنها.

والإبل لا تنسى أولادها، مهما بعدت عنها، فإنك تجد الناقة المسنّة عند بروك الإبل ليلاً تبرك بجانبها بناتها وبنات بناتها وهكذا. ولا يشبه الإبل في هذه الخاصية إلا المعز الذي تراه ليلاً ينام مجموعات مجموعات، بعكس الضان الذي ينسى بسرعة وتراه في نومه واحدة واحدة.



الفصل الثاني

أنواع الإبل
وأثرها في الاقتصاد والثقافة
في الصحراء

تنقسم الإبل إلى قسمين رئيسين. وذلك إذا استبعدنا حيوان اللآما الذي يشبهها، وليس، هي:

1 ـ القسم الأول: الإبل ذات السنامين. وهذه تتواجد في جنوب آسيا.

2 ـ والقسم الثاني: الإبل ذات السنام الواحد. والمعروفة في بلاد العرب وفي أستراليا.

ويتكهن العلماء عن عصر تواجد الإبل، فمنهم من يذهب به بعيداً في التاريخ، ومنهم من يقرب زمنه. غير أننا وجدنا في كهوف جبال تاسيلي وأكاكوس رسوماً للإبل تدل على أن أجدادنا عرفوها هنا منذ القدم.

ومن الغريب أنه أينما وجدت الصحراء والشمس والنخل والإبل وجد العرب.

والإبل ذات السنام الواحد المتواجدة في المناطق العربية تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

أ ـ المهاري: وهي إبل طويلة القامة متناسقة الأطراف جميلة المنظر. تنسب إلى (المهرة) في جنوب اليمن منذ القدم، وتستخدم للركوب.

ب ـ إبل الآير: وهي منطقة شمال النيجر، وتمتاز هذه الإبل بقصر قامتها، واكتناز جسمها، وتبقيعه، فهو (اربش) وإذا سارت تمد رقابها إلى الأمام. وهي صماء لا تسمع. وتستخدم في حمل الأثقال.

جـ ـ إبل الصحراء: وتمتاز ببدانتها وتناسق أعضائها، واكتناز جسمها.

أما الوبر فإن نموه يخضع لعوامل الجوّ. فإذا وُجد البعير في منطقة باردة فإنه يتكيف مع الجوّ وينمو وبره ويغزر. وإذا وجد الجمل في مناطق حارة، فإن وبره يقل نموه.

وهناك من ينسب الإبل إلى القبائل، وهذا وهم. فإبل العرب جميعاً تجمعها هذه الأصناف الثلاثة التي ذكرتها سابقاً. أما كثرة الحليب أو قلته، فيخضع لأصالة الناقة،

وجودة المرعى، وقوة الناقة وضعفها. وهي قضية فردية تختلف من ناقة إلى أخرى.

وقد عرف العرب الإبل منذ أن خلقت وخلقوا وعليها ارتحلوا من جزيرتهم تحمل زادهم وأولادهم وسلاحهم ومؤونة خيلهم، وجاءوا إلى الشمال الأفريقي وإلى شرق أفريقيا، حيث بقوا وتناسلوا وتناسلت إبلهم وتكاثروا. وعلى الإبل حملوا لواء الجهاد أيام الفتوحات الإسلامية الأولى. واستطاعوا الوصول إلى المحيط الأطلسي، وإلى أدغال أفريقيا.

وإذا تصور الإنسان جيشاً تعداده ألف رجل على ألف حصان، يحتاج إلى ألفي بعير على الأقل لنقل طعام الجنود، ومائهم، وطعام الخيال ومائها وغير ذلك من الأثاث والملابس. ولولا الإبل لما وصل الإسلام إلى شرق آسيا، وإلى غرب أفريقيا.

وعلى امتداد الصحراء الكبرى، ما زالت الطرق الرئيسية تحمل آثار الإبل وحداتها من طرابلس إلى أقدز، ومن بنغازي إلى كانم، ومن طرابلس إلى تينبكتو. ومن مراكش إلى ولاتة، ومن الجزائر إلى تينبكتو، ومن الساقية الحمراء إلى النعمة وولاته. ومن القاهرة إلى برنو، إنها الطرق التي شقتها الإبل تحمل الزاد والملابس، وتحمل العادات والتقاليد، وتحمل الكتب والفقهاء والعلماء الذين يحملون في أعماقهم آي الذكر الحكيم. ويحملون نور العلم إلى قبائل وثنية، وأخرى لا تفقه من العلم شيئاً.

إن انتقال الحضارة من الشمال إلى الجنوب على مدى التاريخ حملتها قوافل الإبل التي تقودها العرب من الشمال إلى الجنوب وبالعكس.

وإن قوافل الملح التي تشق الصحراء الكبرى من شمالها من (تاودني) و(تقازه) و(بالما) يقودها العرب لتحمل الملح وقاية لأخوة لهم في الجنوب من الأمراض. وتمويلهم بمادة هم أشد حاجة إليها من أي شيء آخر.

ومن مغرب الشمس تشق الإبل طريقها تحمل مواكب الحجيج على امتداد الصحراء إلى الأراضي المقدسة. في طرق ما زالت تحمل اسم الحج حتى الآن (الحاجية).

إن الآلات الموسيقية، ودواوين الشعراء، وكتب الفقه، واللغة حملتها الإبل عبر الصحراء إلى جنوبها ونشرتها هناك.

والطرق الصوفية التي انبعثت من الجزيرة العربية وشمال افريقيا وصلت إلى أدغال أفريقيا على ظهور الإبل.

حتى الأسماء العربية لأبطال العرب تم انتشارها جنوب الصحراء بعد وصول أخبارهم على ظهور الإبل.

ومن الصحراء انطلقت الممالك والطرق على ظهور الإبل تنشر الإسلام واللغة العربية والحضارة في أدغال أفريقيا. بل وأصبحت كموج المحيط المتلاطم تعود إلى أصولها بعد فترة المد الكبير. فهاهم المرابطون ينطلقون من صحراء موريتانيا باتجاه الشمال على ظهور الخيل والإبل. ويحملون حضارتهم إلى الأندلس وطرقهم الحربية، وحتى خططهم العسكرية.

وقد نشأت إلى جانب المرابطين دول وحكومات وأنظمة في برنو وكانم وسيكوتو وتيينكتو وقاوه ومسينا، وغيرها من دول جنوب الصحراء، كونتها أسر من الشمال انتقلت إلى هذه المناطق على ظهور الإبل.

لقد انتقلت أيضاً إلى جانب العلم والثقافة والكتب والدين والطرق الصوفية، العادات والتقاليد في المهور والزواج والختان، وحتى في الزينة النسائية، الحناء والكحل والعطور، وحتى طرق إعداد الطعام وأنواعه الكسكسي، والبازين (العيش)، والخبز، وأنواع الطبيخ وحتى طريقة الأكل. وإعداد الموائد كلها انتقلت من الشمال إلى الجنوب على ظهور الإبل.

إن الإبل هي مؤسسة الحضارة الصحراوية على مدى العصور المختلفة. وهي التي حملت زادنا وأولادنا وأسلحتنا عندما قمنا نقاتل الأعداء في المنطقة: الرومان، والإغريق، والأسبان، والاستعمار الحديث الفرنسيون والانجليز والألمان والبرتغال والطليان.

قاوم أجدادنا هذا المد الاستعماري البغيض على ظهور الإبل. تحمل زادهم وماءهم وأسرهم.

وعندما انتصر العدو هاجر المجاهدون في مجموعات كبيرة قاطعين الصحراء على ظهور الإبل التي أوصلتهم إلى البلدان المجاورة: تشاد، النيجر، الجزائر، تونس، مصر، السودان.

إن الإبل هي الحيوان الوحيد الذي صبر وتحمل المتاعب، وكابد لوافح الصحراء وشظف الجدب، حاملاً أجدادنا إلى أرض لم يبلغوها إلا بشق الأنفس.

فيحق لنا أن نعتبر حضارة الصحراء هي حضارة الإبل، أو كما يقولون حضارة الجمل.

فالزراعة بأنواعها المختلفة انتقلت من الشمال إلى الجنوب على ظهور الإبل. وما زالت مسميات المحاصيل الزراعية حتى اليوم في أدغال أفريقيا تسمى بأسماء عربية. فالذرة الشامية، وذرة مصر، وغيرها تسمى في النيجر، ومالي، وتشاد بالأسماء العربية

نفسها. وحتى الملابس والأقمشة نُقلت بأسمائها العربية إلى جنوب الصحراء، وإلى أفريقيا الاستوائية.

إن الإبل في هذه المسافات الشاسعة تحمل ماءها في بطونها، وتحمل زادها من الأرض التي تمر فوقها. فلا تكلف سائقيها تعباً ولا نصباً في البحث عن غذائها. وقد رأيت (البرابيش) في رحلتهم الطويلة يحملون الملح من ملاحة (تاودني) في شمال مالي إلى تينبكتو والأرض لا نبات فيها، يحملون على ظهور الإبل نبات (السبط)، فتظل الإبل تأكل من ظهورها ـ كل بعير يأكل من ظهر البعير الذي أمامه ـ طيلة مسافة الأرض الجرداء. والتي يحتاج قطعها إلى خمسة عشر يوماً في بعض المراحل.

والعرب يحرثون الأرض لزراعتها على الإبل، ويدرسون محصولهم على الإبل، ويحملونه إلى مخازنه على ظهور الإبل.

كما يسحبون المياه من الآبار عن طريق الإبل، وينقلون الحجارة والجبس لبناء بيوتهم في القديم على ظهور الإبل.

وفي مناطق الجبال، حيث ينمو شجر الزيتون يطحنون حبوب الزيتون في مطاحن تدار بقوة الجمال، ثم يعصرون الزيت بعد ذلك، وينقل الزيت على ظهور الجمال لبيعه في مناطق بعيدة.

وفي مدن الساحل حيث تقام (النواعير) لسحب المياه من الآبار القصيرة، يربطون الجمل على عصا غليظة يسحب بها الماء بعد أن تغمض عيناه مخافة أن يخرج من الدائرة المرسومة له في الدوران. ويقول الشاعر الشعبي راسماً لوحة لهذا الحدث:

مسكين جمل النواعير — من الحبس ضاقت اخلوقه

يسمع في الماء أبوذنيه — ولا يشبحه ولا يذوقه

وقد أثرت محبة العرب لإبلهم في معتقداتهم وتخيلاتهم، فهم من حبهم لها يخافون عليها من الحسد والعين. فيضعون في رقبة فحل الإبل الأحجبة والتعاويذ. ويقولون إن عيدان (الخروب) تقي من العين والحسد، فمنهم من تراه يضع عوداً من الخروب الذكر في حبل يربط حول عنق الجبل. كما يضعون (الفاسوخ) نوع من الأصماغ في قتب البعير. وإذا أعجب أحدهم بجمل أجد وتفوه بعبارات الإطراء لهذا الجمل أو الناقة يقول صاحبه (صلِّ على النبي)، فيصلي الرجل الآخر وبالتالي في نظرهم لا يصاب البعير بأذى. وهناك أنواع من الرجال مشهورون بالعين. فيقولون (فلان معيان) يحاول البدو ألا يدخل هذا الإنسان القطيع.

وقد رأيت رجلين من هذا النوع. أحدهما شاهد ناقة كبيرة الضرع فتعجب من كبر

ضرعها، وكان ذلك برفقتي. وفي الصباح تورم ضرع الناقة وأصبح حليبها دماً.

وشخص آخر أعجب بناقة فنفقت. وأعجب بجمل فجن. وأعرف قبيلة في جنوب ليبيا تأخذ بالعين وهي مشهورة بذلك. والبدو يحرصون على قطع خيط من ملابس الشخص المعيان، ويحرقونه في النار، ويقولون إن ذلك يجعله غير ضار. والمعيان هذا لا يقتصر ضرره على الإبل، فهو يضر كل شيء حسن، إلا أن الإبل هي أفضل ما عند البدو.

وهذه العادات أيضاً نقلتها الإبل إلى الأماكن البعيدة، فتجدها في شمال أفريقيا، وتجدها في وسط افريقيا وفي شرقها وفي غربها. فترى فحل الإبل يتدلى من عنقه (حجاب) يقيه العين والحسد، ويقي القطيع كله. تراه في موريتانيا وفي تشاد، وفي السودان والنيجر، وفي ليبيا والجزائر وتونس والساقية الحمراء وجنوب المغرب. إن الإبل نقلت معها الحيثيات الصغيرة لثقافة العرب في الصحراء.

والإبل في الأحلام يقولون إنها (بلاء) ورؤيتها في المنام ليست مستحبة. ويقولون إن الجمل الهائج عدو متربص. وإذا رأى النائم في حلمه أنه يركب جملاً فمعناه أنه سيقع في مشكلة، وإذا رأى أنه يرعى إبلاً فمعناه أنه سيدخل مجموعة من المشاكل.

وقد تفنن عرب الصحراء في اقتفاء الأثر. وقد رأيت مجموعة من الرجال في مناطق مختلفة من الصحراء يعرفون آثار إبلهم. فيرون الأثر فيقولون إن هذا الأثر للناقة الفلانية أو للجمل الفلاني.

وقد برعت قبائل في الصحراء في هذا الفن، ومنها قبيلة المرازيق في جنوب تونس، وقبيلة الشعانبة في جنوب الجزائر، وبعض القبائل الأخرى في الصحراء. ويقولون إن الإبل التي ترعى في مناطق رملية تكون أخفافها ملساء. أما التي ترعى في مناطق صخرية صلدة فتكون أخفافها مشققة.

وبذلك يقولون إن هذه الإبل حديثة عهد بهذه المنطقة مثلاً. وقد نقل العرب علم القيافة هذا إلى كل المناطق التي وصلتها الإبل في الصحراء الكبرى وفي جنوبها.



الفصل الثالث

الإبل
وعلم البيطرة

هناك مجموعة من الأمراض تصيب الإبل. بعضها مرض فردي يصيب البعير الواحد، وبعضها مرض سارٍ ينتقل إلى القطيع بكامله، وأحياناً إلى القطعان المجاورة.

والعرب عرفوا هذه الأمراض وعرفوا علاجها، نظراً لخبرتهم بالإبل ومعايشتهم لها.

وأنا هنا سأذكر هذه الأمراض وطريقة علاجها عند العرب دون أن أتدخل في ذكر الأدوية الحديثة التي أصبحت تعالج بها الإبل. وكذلك أدوية اللقاح التي عرفها علم البيطرة الحديث. فإن هذه الأدوية وهذه العلاجات تناولتها كتب تتناول علاج الإبل وأمراضها بالطرق الطبية الحديثة.

فمن الأمراض الفردية التي تصيب البعير الواحد، ويتم علاجه منفرداً سواء أنفع العلاج أم لم ينفع:

1 ـ الدم

وهو أن يصاب البعير بمرض أشبه بضغط الدم، نتيجة لإجهاده في الحمل، أو لتعرضه لضربة شمس قوية، وأعراضه أن يمتنع البعير عن الأكل، وتدمع عيناه وتحمر ويطرح رقبته على الأرض وهو بارك.

وعلاجه: أن يفصد عرق يبرز عند أنف البعير بموسى حادة أعدت لهذا الغرض، أو في عرق عند صفحة العنق قرب الرأس، ويترك الدم يسيل إلى أن يتغير لونه، حينها يرفع رأس البعير إلى أعلى، ويضغط على الجرح بالملح ويدلك فيكفّ الدم. ويشفى البعير بعد ذلك بيوم أو يومين.

2 ـ الأحيرش

وهو تضخم يصيب الزوائد اللحمية الصغيرة التي تنمو في شدق البعير من

الداخل، فتصل إلى أسنانه فيمتنع عن الأكل وقصع الجرة، لأن ذلك يسبب له ألماً.

وعلاجه: تقرض هذه الزوائد بمقص حاد، وتدلك بالملح أو تزال بحديدة محماة ثم تدلك بالملح. كما يزيدون كي الفك السفلي من الجهتين تحت الحنك بخط من النار.

3 ـ الدغر

ويسميه البعض (الاستقطاع). وسببه أن يحمل البعير ثقلاً أكثر من جهده فيحدث له تمزق في الصفاق أو الصفاق الداخلي للبطن. فيضمر البعير ويمتنع عن الأكل ويضعف.

وعلاجه: يكوى البعير بالنار على سرته بأن يوضع مربع من الكي حولها. كما يكوى على شاكلتيه بوضع مثلث ناقص ضلعاً. ويوضع خط على المنحر، وآخر على منتهى الذيل من جهة الظهر. كما يسقى البعير نقوعاً (الحلبة مع حب الرشاد).

4 ـ السليمة

ويسمونها كذلك للفأل. فهي ليست سليمة، وأعراضها أن يمتنع البعير عن الأكل ويضمر، وتتساقط دموعه، وذلك بسبب خراج في صدره أو في بطنه لا يخرج على الجلد وهو أشبه بالسرطان السليم.

وعلاجه: يسقطون في جوف البعير قطعة من حيوان (الظربان) وتسمى شعبيا (الشفشة). أو يقطعون (الحيّة) ويفصلون رأسها ويسقطون الباقي في جوف البعير. وبعد أيام يظهر هذا الخراج وينفجر من جسم البعير، ويخرج صديده ويشفى وتعود إليه صحته. كما يمنعونه من شرب الماء طيلة أيام مرضه ولو طالت.

5 ـ الصَّرَرْ ـ أو الكركرة

مرض يصيب كركرة البعير، وهي الوسادة التي تقع تحت الصدر أمام البطن، ويضع عليها البعير ثقله أثناء البروك وتسمى (الكلكل). ونتيجة لبروك البعير على حجرة أو أرض صلدة تصاب هذه الكركرة بالتقيح. وعندها لا يستطيع البروك سوياً. فيبرك مائلاً على أحد جانبيه.

وعلاجه: تكوى الكركرة بخطوط متوازية من النار بعد أن ينظف الجرح. وقد يشفى البعير بعد شفاء الكي.

6 ـ الحصير

وهو احتباس البول عند البعير. ويأتي نتيجة لإجهاده في الجري، أو لسوء المرعى.

وعلاجه: يوضع التبغ في عيني البعير وأنفه، وإذا لم يبوّل يسقونه نقوع الحناء، أو يسقى مادة (الزرقينة) مع الأنف وهو أشدّ علاج فائدةً.

7 ـ ضيق التنفس

إذا أجهد البعير في الجري فإنه يسقط منبهراً دون أن يستطيع التنفس.

وعلاجه: ينفخون في أنفه دخان السجائر إلى أن يدخلوهُ إلى رئته. فيستريح ويواصل رحلته.

8 ـ الذباب

ويسمى البعير المصاب مذبوباً. وهو نوع من الجنون يصيب البعير سببه ذبابة تتواجد في منطقة المستنقعات والواحات، تلسع البعير فيسيل دمه من مكان اللسع، ويجن البعير.

وعلاجه: بالكي على الرأس، وإبعاد البعير عن منطقة الذباب.

9 ـ الخزن

وهو تخزين الطعام في أحد شقي البعير من فمه. وسببه وضع الشكيمة في رأس الجمل، وتكون ضيقة فلا يستطيع البعير المضغ بسهولة، فيختزن الطعام في أحد شقي فمه، ويعجز عن تناوله بلسانه فيتعفن.

وعلاجه: إخراج الطعام المخزن وكيّ الفك.

10 ـ الرهصة

وهو إصابة باطن الخف بكدمة بسبب وطئه على حجر أو أرض صلبة قاسية. فيتخزن الدم في الموضع ويتورم الخف وتتجمع بداخله المادة.

وعلاجه: إحداث جرح بالموسى بين أظلاف خف البعير لتخرج المادة المتخزنة. ويغسل الجرح بالملح، ويترك البعير في راحة تامة عدة أيام فيشفى.

11 ـ الحفا

وهو تآكل جلدة خف البعير نتيجة لسيره مدة طويلة في أرض صلبة محملاً أو غير محمل.

وعلاجه: هو إراحة البعير مدة من الزمن إلى أن يربي الخف جلدة أخرى، ويستطيع السير.

كما تُسد الجراح أو الثغرات التي تكون في خف البعُير بالشحم أو الوبر، ويُخرج منها الحجارة التي تكون قد دخلتها أثناء السير، وكذلك التراب وبعضهم يصنع للبعير (مداساً) من جلد البعير ويخيطه حول الخف أو يربطه.

12 ـ الضلاع

وهو أن يصاب البعير في إحدى رجليه فلا يقوى على السير عليها فيضلع منها.

والضلاع يأتي من عدة أسباب.

أ ـ وضع حمل على ظهر البعير أكثر من طاقته.

ب ـ انهباع رجل البعير في حفرة أثناء السير.

ج ـ ضغط (الكتب) (القتب) على غارب البعير.

وعلاجه: بالكي على موضع الألم أو (بالخرت)، وهو ثقب جلد البعير وإدخال خيط غليظ في الثقب وعقده ليساعد على إخراج المادة أو بفصد العرق القريب من الألم ليخرج الدم.

13 ـ الدبرة

وهي جرح غائر يصيب غارب البعير نتيجة للحمل غير الموقى.

وعلاجه: بتنظيف الجرح بالماء الساخن والملح، ويدق الزجاج ويذر عليها. وتحاط بها دائرة من القماش (ظفيرة) وتوضع فوقها قطعة قماش وتربط. ويوضع فوقها (الرمث والشب) بعد أن يدقا معاً ويذرا فوق الدبرة.

وهناك من يحيطها بالكي.

وتوضع فوقها أيضاً خرقة من القماش المتحركة لتمنع الغربان من الوقوف عليها ونقرها.

ويفصد على الدبرة في رأس الكتف عند المفاصل، وكذلك في آخر فقرات العنق من جهة الكتف.

14 ـ الكسر

تتعرض الإبل للكسور نتيجة للثقل الذي تحمله، أو أثناء مداعكتها على حوض ماء أثناء الشرب، أو حتى أثناء لعبها.

كما تتعرض الإبل للكسر عندما تسمن كثيراً ولا يعالج البدو الإبل المكسورة، وإنما ينحرونها ويقولون إن الإبل لا تشفى، وذلك لثقل جسمها.

ولكنني رأيت من يعالج كسور الإبل في أسفل الرجل، وبعضها يشفى بعد أن توضع عليها جبيرة لمدة طويلة. ويخللون جلد البعير بعيدان ويربطونها لتضغط على الكسر وتقوم مقام الجبيرة.

أما كسور الفك فتعالج بالكي ويخلل بالعيدان أيضاً.

15 ـ النشل

وهو عرق يصاب في عرقوب البعير فيجعل في سيره ضلعاً، وهو من عيوب الإبل.

وعلاجه: بالكي.

16 ـ الختل

وهو مرض يصيب قائمة البعير الأمامية فيتشكل أحد عروقها. ويظلّ البعير يخبط رجله أثناء السير.

وعلاجه: الكي في مؤخرة الخف، ولكن قل ما ينفع هذا العلاج. فلقد شاهدت جمالاً ونوقاً بها هذا العيب ولازمها طوال عمرها.

17 ـ اللقلاق

وهو مرض يصيب بطن البعير فيمسك وتسمعه أثناء مشيه يتلقلق، وسببه أكل زهر العرفج في الصيف.

وعلاجه: طرد البعير وتركه يجري مسافة طويلة حتى يعرق ويتخلص من الإمساك.

وقد رأيت البدو يركبون الخيل ويطردون البعير المصاب باللقلاق هذا إلى أن يشفى.

18 ـ الهشام

وهو الروماتيزم يصيب عظام البعير فلا يستطيع النهوض، وسببه قلة الأملاح في الحشائش والنباتات التي يأكلها البعير.

وعلاجه: يسقى البعير الماء المالح لعدة أسابيع فيشفى وينهض، وينتقل بالبعير من مكان مرعاه إلى مكان آخر، كما يطعمونه عظام حمار ميت، فيقولون إنه يشفى.

19 ـ الدفداف

وهو مرض يصيب البعير من قلة الملح في غذائه فتراه يضلع.

وعلاجه: سقي البعير الماء المالح، أو إسقاط الملح له في جوفه.

20 ـ العشا

وهو عدم الرؤية عند البعير ليلاً.

وعلاجه: بالكي.

21 ـ العمى

وقد يعمى البعير، وقد يظهر بياض في عينيه ويعالجونه بالكي، ووضع التبغ في عينيه مع الملح وغنج القدر يسحق معاً ويذر في العين.

22 ـ الصمم

من الغريب أن البعير (الأربش) أي (المبقع) لا يسمع. ولكن حاسة الشم قوية جداً لديه، وإذا أصيب البعير بالصمم فيكوى على رأسه.

23 ـ الغش

وهو عدم ظهور الصحة على البعير، ويضل ضامراً ضعيفاً مهما أعطي من الأكل، فيقولون إن البعير مغشوش.

وعلاجه: بإطعامه (أفعى) يسقطونها في جوفه بعد قطع رأسها.

24 ـ الغدّة

وهي ورم يصيب قلب البعير، ويقولون إن سببها شرب البعير في (نوة المعدودة) وهي أيام معدودة يعرفها الرعاة في فصل الصيف لا يسقون فيها إبلهم.

ولا أعرف للغدة علاجاً.

25 ـ الخلدة

وهي ورم يظهر في رقبة البعير أو جسمه وعلاجه بالكي. أو بفصدها (بالموسى) لإخراج ما فيها من مادة ثم كيّها بالنار.

26 ـ الكلب

وهو الداء الذي يصيب الكلاب، وينتقل إلى البعير من عضة كلب مصاب بداء الكلب.

ولخطر هذا النوع من المرض يقتل البدو البعير المصاب به، ويدفنون عظامه حتى لا تجرح أحداً لأنهم يقولون إن العظام هي الحاملة للجرثومة ويبعدونه فوراً عن الإبل ساعة اكتشافه، ويكممونه حتى لا يعض غيره وينحر.

27 ـ الضبط

وهو احتكاك إبط البعير أثناء المشي عندما يكون محملاً.

وهو عيب من عيوب الإبل لا علاج له. ويقول الليبيون في أمثالهم (بعيدة فزان على الاضبط).

28 ـ الرشق

هو احتكاك مرفق البعير بأضلاع صدره أثناء السير.

وهو عيب من عيوب الإبل.

29 ـ الحصد

هو احتكاك كركرة البعير بذراعه أثناء السير، فتدميه وتؤلمه وتمنعه عن السير.

وعلاجه: بأن تحمى حديده أو موسى، ويُقطع الجانب البارز من الكركرة المسبب لهذا الحصد.

وقد كنت أملك ناقة مصابة بالكركرة واقتطعنا القسم البارز منها فشفيت بعد عدة أيام، ثم نمت الكركرة من جديد وآذتها مرة أخرى.

30 ـ التشقق

وهو تمزق في جلد البعير السمين يحدث له من اكتناز جسمه بالشحم. ويقع أكثر الأحيان في ذروته.. وقد تنقسم الذروة ويموت البعير.

وعلاجه: بأن يقوم الراعي بتخييط الجلد ومنع البعير من الأكل عدة أيام إلى أن يضعف.

31 ـ العلق

وهي ديدان حمراء تتواجد في مياه البرك وبعض الآبار. تدخل في حلق البعير فتمتص دمه، وتقذفه فيشاهد الدم في فم البعير. وإذا كثرت هذه الديدان تقتل البعير.

وعلاجه: سقي البعير من بئر أخرى غير الماء الذي كانت تشربه الإبل وأصابها فيه العلق.

وكذلك بوضع التبغ في فم البعير.

32 ـ الفنديس أو الدرن

هو حشرة كالقراد مدورة تلتصق بجلد البعير لدرجة أن لونه يصبح من لونها لكثرتها.

وعلاجه: بإسقاط الملح للبعير، أو بإطعامه طعاماً كثير الملح.

وقد كان لي جملٌ أصيب بهذا الداء، وأسقيته الملح فتساقط منه الفنديس في بحر يومين.

33 ـ القراد:

وهو حشرة طفيلية تتعلق بالبعير وتمسك في المناطق الرقيقة منه مثل المنحر أو الإبطين والصدر ومنطقة الضرع، ويمتص دم البعير، وعندما يكبر يصبح (دلماً).

وعلاجه: بطلي المنطقة بالقطران.

34 ـ الإسهال

يصيب البعير نتيجة للديدان في بطنه، ويعالج بزيت الزيتون أو بإطعامه (بذور

الحلبة)، وقد يسقونه الملح إن كان قعوداً صغيراً.

35 ـ البشمة

وهي إعطاء البعير قدراً كبيراً من الشعير أو العلف فيتسمم في المعدة ويصاب بإمساك.

وعلاجه: يسقونه الشاي الأخضر وبعض المسهلات. فإذا أفرغ أمعاءه يقولون إنّه شفي وإن بقي ممسكاً ينتفخ بطنه ويموت.

36 ـ التهاب الضرع

ويصيب النوق بأن يتورم ضرعها ويختلط الحليب بالدم.

وعلاجه: يغسل ضرع الناقة بالماء البارد وكذلك بالماء والملح وقد تشفى. كما يعالجونها بتعريض الضرع للبخار بأن يحموا حجرة ويضعوها في إناء فيه ماء تحت الناقة بحيث يتصاعد البخار على ضرعها، ويدهنون ضرع الناقة (بالزّبَدْ) وهو مخلوط عطري يصنع في بلاد السودان (تشاد والنيجر). كما يدهنون ضرع الناقة بالترفاس في فصل وجود الترفاس وهو أن يهرسوا الترفاس ويضمخوا فيه الضرع، فيشفى.

37 ـ التهاب الإحليل

يصيب الجمال الفحول، وعلاجه بالكي حول سرّة البعير ودهنه (بالزّبَدْ).

38 ـ الحط

وهو خروج رحم الناقة من الحيا في الأشهر الأخيرة للحمل. ويعالجونه بوضع شبكة صغيرة تربط على (الحيا) لتمنع الرحم من الخروج أو بالكي حول حيا الناقة.

39 ـ التجلبين

وهو تورم شفاه الإبل نتيجة لأكلها (السدر) أو (الشبرم) ويعالج بالكي (والتشليط) لإخراج الدم من وجه البعير وغسله بالماء والملح.

40 ـ العاصية

وهي الناقة التي لا تحمل بالرغم من نزو الجمل عليها ويعالجونها بإحدى الطرق الآتية:

أ ـ تخنق الناقة بقطعة من قماش فيبرز (حياها) إلى الخارج وتظهر نتوءات صغيرة على جوانبه فتقطع بالموسى. ويدلك بالملح موضع القطع ويسمونه (عرق الذكر). كما يدلكون طرفي لسانها بالموسى حتى يكاد الدم أن يخرج منه. وتكوى على وسط رأسها بالكي على شكل علامة زائد (+) ويدخلون كرة صغيرة من الملح في حيا الناقة.

ب ـ إذا لم يوجد (عرق الذكر) يغسل أحدهم يده ويقلم أظفارها، ويدهنها بزيت الزيتون ويلفها بشعر الماعز ويدخلها إلى رحم الناقة ليكشطه.

41 ـ سقوط الرحم

أحياناً يسقط رحم الناقة بعد الولادة مباشرة. وهذا يحدث للنوق السمان فيقوم بمهمة إرجاعه أحد الأطباء الشعبيين. وهو أن يحفر قبواً يضع فيه الناقة مقلوبة على ظهرها. ويغسل الرحم بماء دافىء ويدهنه بالزيت، وكذلك يديه ويرجعه إلى موقعه. وتساعده مجموعة من المساعدين ويدفعه برفق إلى أن يدخل الرحم ويقع في موقعه الأصلي فيسمع لذلك فرقعة كبيرة، وعندما يقوم الطبيب بمسك فوهة حيا الناقة بخيط نظيف (يخيط) ويراقبها الراعي عدة أيام. ولا يجعلها تبرك في أرض غير مستوية، ويستحسن أن يكون رأس الناقة باتجاه المنحدر إلى أن تشفى ويقطع الخياط بعد ذلك.

42 ـ كسر الرقبة

عند محاولة تأديب البعير وشدّ الرسن بقوة، كثيراً ما يسبب ذلك في كسر رقبة البعير واعوجاجها إلى جهة من الجهات. وكذلك عند سقوط البعير من منحدر أو غيره. وفي هذه الحالة يرقّد البعير على جنبه، وتحفر حفرة تحت رقبته بحجم الكسر مشكلة مع الرقبة +، بحيث يكون النتوء إلى أعلى. ويضغط على الكسر بالرجل أو بأي شيء ثقيل. فتعود فقرات الرقبة إلى طبيعتها.

43 ـ الملصة

وهي تشنج إحدى عضلات البعير من جراء الحمل الثقيل، أو انهياع رجله في حفرة أثناء السير أو مصارعته لأحد الجمال أثناء العراك.

وعلاجه: يجس جسم البعير إلى أن يعثر الطبيب على موقع الألم، وذلك بأن يتألم البعير.

عند تحديد موقع التمزق، يفتح المكان بموسى فيشاهد عضلة ملتهبة لونها يغاير لون اللحم، عندها يرش عليها الملح وتدلك ويترك البعير فيشفى.

44 ـ المغلة

وهي مرض يصيب البعير بسبب طرده كثيراً أو جريه بعد راحة طويلة. .

وعلاجه: يفصدون رأس ذيل البعير، وينقعون قطعة من وبره في الدم ويشممونها له.

كما يقوم شخص سبق له وأن أكل لحم الذئب، فيعض البعير في جنبه عضاً قوياً إلى أن يرغي البعير وحينها يقول الرجل العاض مخاطباً البعير.

عضك الذيب موش أنا.

ويقولون إن هذا العلاج نافع.

45 ـ الامساك

ويعالجونه بإدخال (حب الرشاد) في مخرج البعير ودهنه (بالزّبَدْ).

46 ـ التوعير

وهو عسر الولادة، كأن يلتوي رأس الحوار في بطن أمه ويموت. وإذا بقي بها تتسمّم وتتورم وتموت.

وعلاجه: بتقطيع الحوار في بطن أمه، وهو أن يدخل الطبيب يده بعد غسلها وتقليم أظفارها في رحم الناقة، ويكون بين أصابعه موسى حادة. وتكون الناقة مقلوبة في حفرة مستطيلة وقوائمها إلى أعلى.

يتحسس الطبيب رقبة الحوار ويقطعها من نهايتها ثم يخرج الموسى ويدخل يده، ويمسك بالرأس المقطوع ويساعده معاونون في سحب يده وبها الرأس والرقبة.

بعد إخراج الراس يدخل يده ليخرج القائمتين الأماميتين، حيث تسحب ويساعد المجموعة التي تسحب القائمتين بمسك بقية الرقبة الباقية في الجسم حتى لا تمنع خروج الحوار، وهكذا يخرج الحوار.

47 ـ السلاء

وهو المشيمة التي تصاحب الحوار عند خروجه ويكون ملتفاً فيها.

وإذا بقي شيء منها في رحم الناقة فإن الناقة تتسمم وتموت.

وعلاجه: يعمد البدو إلى ربط صرّة صغيرة من التراب بخيط في المشيمة الخارجة

من الناقة، ويصبح هذا الثقل يسحبها إلى أسفل في هدوء حتى لا تنقطع، وبعد ساعات تسقط.

48 ـ الرماح

وهو مرض يصيب البعير ويسمونه (الجنون) ويقولون الناقة مرموحة.

وليس لهذا المرض علاج، وينحرون البعير المرموح ويقول محمد الهاشمي الجرمني، وهو طبيب شعبي في الإبل، إن سبب الرماح فراغ الدود من رأس البعير. لأن الإبل يكون في رأسها دود كبير يخرج أحياناً من أنوفها عند النفر. وعندما تذبح الإبل نرى في رؤوسها الدود. أما البعير المرموح فلا نرى الدود في رأسه عند نحره.

49 ـ التخنين

وهو أشبه بالزكام يصيب الإبل، ويخرج سائل مخاطي من أنوفها.

وعلاجه: بوضع محور صغير بحديدة محماة على أنف البعير.

50 ـ سقوط الاخفاف

هذا مرض يصيب البعير بسبب ربطه بحبل عنيف لمدة طويلة، أو أن يوطأ النار.

وإذا سقطت ملخة أخفاف البعير فلا علاج له وينحر.

أما الأمراض التي تصيب الإبل وتنقل عدواها إلى كل القطيع وإلى القطعان المجاورة، فأهمها:

1 ـ الجدري

وهو أشبه بالجدري الذي يصاب به الإنسان ويخرج على شكل حبات كبيرة تحت الوبر وعلى الشفتين والفم. ويسبب إجهاضاً للنياق الحوامل. وينتقل بسرعة داخل القطيع. وعلاجه عند البدو بترك المراعي القريبة من الإبل المصابة، وهو نوع من الوقاية، ولا علاج له.

ولكن في العصر الحديث هناك اللقاح المضاد لهذا المرض لدى البيطريين المتخصصين في علاج الإبل. والبعير الذي يصاب بالجدري مرة يتحصن ضد هذا المرض مدى حياته.

2 ـ النحاز

وهو مرض صدري يصيب رئة البعير ويصاب بالسعال، ويهزل ويموت.

وينتقل هذا المرض إلى كل القطيع وإلى القطعان المجاورة.

وعلاجه: يسقون البعير زيت الزيتون المخلوط بالفلفل. ويطردونه إلى أن يعرق فيشفى. وله لقاح وحقن لدى البيطري.

3 ـ الجرب

وهو المرض الجلدي المعروف، يصيب الإبل وينتقل بالعدوى.

وعلاجه: بدهنه بالقطران.

4 ـ العر

ويصيب القعدان الصغيرة وينتقل إليها بطريق العدوى من القعدان المصابة.

وعلاجه بكي الموقع المصاب.

وقد قالت العرب (كالعر يكوى غيره وهو راتع). وظن بعض الكتّاب العرب أن العرب تكوي البعير السليم وتترك المريض راتعاً فيشفى. وهو وهم ناتج عن عدم المعرفة. فالعرب يقصدون أن العر يجعل الناس يكوون البعير وهو الذي يحس النار في الوقت الذي يبقى المرض راتعاً.

وإلى جانب هذه الأمراض هناك أخطار تصيب الإبل وتقتلها نتيجة لأكلها بعض الأشياء التي تقضي عليها، وعلاج ذلك بالوقاية.

فمن الأشياء التي تقتل الإبل.

1 ـ دم الغزال

إذا أكل البعير دم الغزال الجاف، وهو كثيراً ما يجده في أماكن الصيد، فإنه يموت حالاً. وقال الليبيون في أمثالهم إن الناقة تقول حين تناولها الدم (دم وناكلك).

2 ـ الدرياس

وهو نبات له زهر أحمر أشبه بشقائق النعمان، ينبت كثيراً في مناطق ترهونة والجبل الأخضر، إذا أكله البعير مات لتوه.

3 ـ القرقاز

نبات له زهر أصفر ورائحة نفاذة ينبت في الحمادة الحمراء. إذا أكلته الإبل تسكر وتفقد وعيها، وتظل تجري على غير هدى، وقد تسقط من المرتفعات وتموت.

ويقول البدو حينها إن (الجمل مقرقز) أو الإبل (مقرقزة).

وعلاجها بعدم الاقتراب منها، وخاصة عند منتصف النهار حتى لا تجفل.

وقد رأيتها تتجمع في المرتفعات نافرة، وتهرب من أي خيال تراه.

4 ـ لفيْلة

تصغير (فولة) وهي شجيرة أقل من 2/1 نصف المتر وتنمو بالحمادة الحمراء. وإذا أكلتها الإبل تصاب بالدوار وتتخدّر، وإذا نامت على جُنوبها لا تستطيع القيام إلا إذا انتبه صاحبها لها وأقامها، وإلا فإنها تموت. والإبل لا تأكلها إلا إذا جاعت وجاءتها مضطرة.

5 ـ الحندقوق

نبات عشبي له زهر أصفر ينمو بالحمادة الحمراء، وهناك وادٍ يسمى باسمه (وان هسهس)، وهسهس باللهجة التارقية (الحندقوق).

وإذا أكلته الإبل بكثرة يصيبها الانتفاخ وتموت، وهي تأكله بشراهة عند البرد. ولهذا يعمد الرعاة إلى تجنيبها الحندقوق في الصباح الباكر وفي المساء. أما عند القيلولة فإنها لا تأكل منه كثيراً ولا يضرها.

6 ـ الشبرم

شجيرات صغيرة ترتفع إلى قرابة نصف المتر، وتزهر زهراً أزرق ولها شوك، وتأكله الإبل، وإذا أكلته وحيداً يصيبها الانتفاخ وتنفق، أما إذا أكلته مختلطاً بالحشائش الأخرى فإنه لا يضر.

وإذا أكلته الإبل العشار تسقط جنينها وهو حار جداً. وينمو بالحمادة الحمراء.

7 ـ الحاد

نبات شجيري أشهب اللون ينمو بمنطقة (الرمال) بين أوباري والحمادة الحمراء. وتأكله الإبل بشراهة في الخريف، وتسمن عليه. ولكنه يصيب الإبل بمغص شديد إذا أكلته منفرداً. وقد رأيت الإبل التي تأكل الحاد تنقلب في الليل على جنوبها وتكت وتحرك أرجلها من الألم. ولكن (الحاد) لا يقتل الإبل.

الفصل الرابع

الإبل في الأدب العربي

يزخر الأدب العربي بالإبل ذكراً ومدحاً ووصفاً في شعره وأمثاله وقصصه ونوادره نجدها في الأدب الفصيح، وفي أشعار فطاحل شعراء الفصحى.

كما نجدها في أدب العامة، وفي أشعار فطاحل الشعر الملحون.

نجدها في الأمثال العربية، وفي الأمثال الشعبية، وفي القصص الفصيح والدارج.

وقد استطعت أن أجمع في هذا الفصل بعض القصائد العربية التي تذكرالإبل وتتغنى بها، وبعض قصائد الملحون.

وجمعت الأمثال العربية ونقلتها نقلاً من كتاب الأمثال العربية للميداني.

وجمعت الأمثال الشعبية وكتبتها من ذاكرتي وكذلك القصص. ولم أستطع أن أتوغل في بطون الكتب لأجمع أكثر مما جمعت لأسباب منها خوف الإطالة والملل، ومنها ضيق الوقت.

وكانت أغلب القصائد الشعرية قد تمّ جمعها من كتاب (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

وقد برز هؤلاء الشعراء الصحراويون في وصف الإبل وأنواعها، ومدح ركوبها، وأوصاف أجودها، كيف لا وهم رعاتها ومربوها وحاملو لواء العروبة أدباً وثقافة وشعراً وإبلاً إلى الصحراء الكبرى من جزيرتهم العربية.



الإبل في الشعر

الشاعر حميد بن ثور الهلالي:

يصف الشاعر رحيل صاحبته على جمال سمان جاد مرعاها وزينوها بصنوف الأكسية وارتحلوا. وقد لحق بهم الشاعر على ناقته السريعة العدو بعد أن مهد لها الرحل.

ثم ينتقل إلى وصف صاحبته والجمل الذي مهد لها لركوبها، ونظراً لأهمية القصيدة في مجال الإبل رأينا ايرادها كاملة.

ألا هيّما مما لقيتُ وهيّما ... وويحاً لمن لم ألق منهن ويْحَمَا

أأسماء ما أسماء ليلة ادلجت ... إليّ وأصحابي بأيّ وأينما

سل الربع أنى يممت أم سالم ... وهل عادةٌ للربع أن يتكلما

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا ... لها أو أرادت بعدنا أن تأيما

ولو أن ربعا ردّ رجعا لسائل ... أشار إليّ الربع أو لتفهما

أرى بصري قد رابني بعد جِدّةٍ ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

ولن يلبث العصران يوماً وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمّما

وصوتٍ على فوتٍ سمعت ونظرة ... تلافيتها والليل قد صار أبهما

بجدّة عصر من شباب كأنه ... إذا قمت يكسوني رداء مسهّما

أجدّك شاقتك الحمول تيممت ... هدابين واحتابت يميناً يرمرما[1]

على كل منسوج بيبرين كُلّفت ... قوى نسعتيه محزماً غير أهضما[2]

رعين المرار الجون من كل مذنب ... شهور جمادى كلها والمحرما[3]

---

(1) يرمرم: جبل في بلاد قيس.

(2) استعار الثوب هنا لسمن الناقة، ويبرين رمال في بلاد اليمامة.

(3) المرار: شجر تأكله الإبل فتسمن عليه.

إلى النير فاللعناء حتى تبدّلت مكان رواعيها الصريف المتسدّما[1]

وعاد مُدّماها كُمَيتا وشُبّهت كلوم الكلى منها وجارا مهدّما[2]

وخاضت بأيديها النّطاف ودعدعت باقتادها إلا سريحاً مُخدّما[3]

وقد عاد فيها ذو الشقاشق واضحاً هجانا كلون القُلبِ والجون أصحما

تناول أطراف الحمى أن تناله وتقصر عن أوساطه إن تقدّما

وجاء بها الذواد يحجز بينها سُدًى بين قرقار الهدير وأعجما[4]

فقامت إليهن العذارى فأقدعت أكف العذارى عِزّة أن تُخَطّما[5]

فقربن موضوراً كأن وضينه بنيقٌ إذا ما رامه العَقرُ أحجما[6]

صلخداً كأن الجن تعزف حوله وصوت المغنّي والصدى ماترنّما[7]

بغير حياً جاءت به أرحبيّةٌ أطال بها عام النتاج وأعظما[8]

تراه إذا استدبرته مُدْمَج القَرَى وفعما إذا اقبلْتَهُ العين سَلْجما[9]

عَبَنٌ مريط الحاجبين إذا خدا على الأكم ولأها حذاءً عَثَمْثَمَا[10]

رعى السدرة المحلال ما بين زابنٍ إلى الخور وسمّي البقول المديّما[11]

فجئن بها غُوج الملاطين لم يبِنْ حداج الرعاء ذا عتانين مُسْنِما[12]

فلما أتَتْهُ انْشَبَت في خشاشه زماماً كثعبان الحماطة محكما[13]

---

(1) النير: جبل بنجد. واللعناء ربما تكون اللعباء سبخه بالبحرين.

(2) يعني أن بطونها ضمرت حتى عادت كلاها كالوجار المهدم من غؤورها.

(3) النطاف: الماء الصافي. ودعدعت: أي عدت عدواً ببطء. والأقتاد: جمع قتد وهو خشب الرحل. والسريح: سيور يشد بها الرحل.

(4) يقصد جاء بالمطايا التي منها الجمل الفحل الصافي الهدير. والأعجم الذي لا يهدر.

(5) قامت النساء العذارى يضربن أنوف الجمال ليبركن ويقبلن الخطام.

(6) فقربن جملاً علا أنفه الرغام من الهياج.

(7) الصلخد: الجمل المسنّ الشديد الطول.

(8) عام النتاج: السنة التي ولد فيها.

(9) مدمج القرى: أملس الظهر.

(10) عبن: غليظ: وأمرط الحاجبين: قليل شعرهما ـ والعثمثم: الطويل.

(11) رعى السدر ما بين موضعي زابن والخور.

(12) غوج الملاطين: واسع الجنبان ـ والعثانين جمع عثنون وهي شعيرات تحت فك البعير ـ ومسنم عظيم السنان.

(13) أنشبت: وضعت. وخشاشه: أنفه. وهو هنا يصف الزمام.

شديداً توقّيه الزمام كأنّما يراها اعضّت بالخشاشة أرقما[1]
فلما ارعوى للزجر كلُّ مليّثٍ كجيد الصّفا يتلو حزاماً مُقَدّما[2]
إذا عِزةُ النفس التي ظل يتّقي بها حيلةٌ لم تُنسِهِ ما تعلّما[3]
كأنّ وَحى الصردان في جوف ضالةٍ تلهجم لحييه إذا ما تلهجما[4]
وقالت لاختيها الرَّوَاحَ وقدّمت غبيطاً خشيميّاً تراه وأشحَما[5]
فجاءت به لاجازياً ظلفاؤه ولا سلِساً فيه المسامير أكزما[6]
فزيّنه بالعهن حتى لوْ أنّه يُقالُ له هابِ هلُمّ لأقدما[7]
فلما كشفن اللبس عنه مَسَحْنه بأطرافِ طَفْلٍ زان غيلاً مُوَشّما[8]
له ذئَبٌ للريح بين فروجه مزامير يَنْفُخْن (الكسير) المهزّما[9]
مدمّاً يلوح الودع فوق سراته إذا ارزمت في جوفه الريح أرزما[10]
كأن هزير الريح بين فروجه عوازفُ جِنٍّ زرن حيّاً بعيهما[11]
تباها عليه الصانعات وشاكلت به الخيل حتى هم أن يتحمحما[12]
أطافت به النسوان بين صنيعه وبين التي جاءت لكيما تعلما[13]
يطفن به يخلون حول غبيطها رباب الثريا صاب نجداً فأوسما[14]

---

(1) الخشاشة: العود الذي ينشب في أنف البعير. والمعنى أنه يخاف من الزمام.
(2) أرعوى: رجع - والمليث: الذي ترك مهملاً حتى سمن. كجيد الصفا: الجيد: العنق والصفا: الحجر الأملس: وهنا يمثله بالقوة والملاسه.
(3) يعني أن عزة نفسه التي تمنعه من تقبل الزمام لا تنسيه ما تعلم من أدب الرياضة واستقامة السير.
(4) الصردان/ طائر يشبهه بقلعه وتحركه بلحيي البعير في تحركهما.
(5) وقالت المرأة لأختيها بادرا بالرواح وقدمت لهما مركباً ممهداً.
(6) يصف هنا المركب، إنه غير خشن وغير مكسر ولا تبرز ضلفاته.
(7) زينه بالصوف الملون حتى أضحى لجماله لو نودي لأجاب.
(8) ويقصد هنا المركب كشفته النساء بأصابع جميلة زانت معاصم موشحه.
(9) ذئب: فرجة بين فتحتي الرحل. ينفخ بها الريح فيصدر أصواتاً.
(10) مدمّا: أي ذو لون أحمر. ومزين بالودع.
(11) هزير الريح: صوتها.
(12) تباها من المباهاة. والصانعات اللاتي صنعته وشاكلت جعلت به تصاوير من الخيل حتى كادت أن تحمحم لاتقان الصورة.
(13) يقصد زينه الصانعات واللواتي جئن ليتعلمن الصنعة.
(14) يشبه الهودج هنا بازهار الربيع الذي أمطرت أرضه في فصل الثريا.

فلو أن عوداً كان من حسن صورة ... يسلّم أو يمشي مشى أو لسلّما
تخال خلال الرقم لما سدلْنه ... حصَاناً تُهَادى ساميَ الطرق مُلحما[1]
سراة الضُحى ما رمن حتى تحذّرت ... جباهُ العذارى زعفرانا وعندما[2]
فقلن لها قومي فديناك فاركبي ... فقالت ألا لا غير إمّا تكلّما
فهادينها حتى ارتقت مرجحنّه ... تميل كما مال النقا فتهيّما[3]
وجاءت يهزُّ الميْسَنَاني مشيُها ... كهزّ الصّبَا غصن الكثيب المرهّما[4]
من البيض عاشت بين أم عزيزة ... وبين أبٍ برٍّ أطاع وأكرما[5]
منعمة لو يُصبحُ الذرّ ساريا ... على جلدها بَضّت مدارجُه دما[6]
ترى السوذق الوضّاح منها بمعصمٍ ... نبيلٍ ويأبى الحجل أن يتقدما[7]
من البيض مكسالٌ إذا ما تلبّست ... بعقلِ امرىء لم ينجُ منها مسلّما[8]
رقود الضحى لا تقرب الجيرة القصي ... ولا الجيرة الأدنين إلا تجشّما[9]
بهير ترى نضح العبير بجيبها ... كما ضرّج الضاري النزيف المكلّما[10]
ظعائن جُمْلٍ قد سلكن شقيقة ... وأيْمنّ عنها بعدما شمْن مُردِمَا[11]
عروضاً تدلّت من تهامة أهديت ... لنجدٍ فساح البرقُ نجدا واتهما[12]
إذا احتملت من رمل بيرين بالضحى ... فذاك احتمالٌ خامر القلب أسهُما[13]
ولما تشارقْن الحدوج هوى لها ... من الصيف حرٌ يترك الوجه اسْحَما[14]

---

(1) يشبه الهودج لما أسدلن عليه الستائر امرأة حصاناً تُهدى لكريم.
(2) والمعنى ما زالت الفتيات يخدمنها حتى تحدر عرقهن عند الضحى.
(3) هادينها: ساعدنها على الركوب. وارتفعت: رقت فوق الجمل.
(4) الميسناني: الثوب المنسوب إلى ميسان.
(5) يشكر والديها اللذين أكرماها.
(6) يقول لو مشى النمل على جسمها لسال الدم من وقع أقدامه لرقتها.
(7) السوذق: السوار. والحجل: الخلخال.
(8) مكسال: كسولة نؤومة الضحى دلالة على النعمة ووجود من يخدمها.
(9) والمعنى أنها لا تعرف جيرانها الأقاصي. ولا الأقربين إلا بمشقة فهي لا تزور ولا تزار.
(10) بهير: انقطع نفسه من الأعياء. والضاري: المجروح.
(11) الشقيقة: فرجه بين جبلين.
(12) العروض: السحاب الممطر.
(13) احتملت: رحلت. وبيرين: رمل لا تدرك أطرافه.
(14) تشارقن الحدوج: أي ألبسنها المشرقات من الثياب وهي المصبوغة بالحمرة.

دموج الظباء العفر بالنفس أشفقت	من الشمس لما كانت الشمس ميسما[1]
ورُحْن وقد زايلن كل ظعينة	لهنّ وباشرْنَ السّديل المرقّما[2]
وليست من اللاّتي يكون حديثها	أمام بيوت الحي أنّا وإنّمَا[3]
أحاديثُ لم يعقبن شيئاً وإنما	فرت كذباً بالأمس قيلاً مرجّما[4]
فما ركبت حتى تطاول يومها	وكانت لها الأيدي إلى الخدبِ سلّما[5]
وما دخلت في الخدب حتى تنقّضت	تآسير أعلى قِدّه وتحطّما[6]
فجرجر لما صار في الخدب نصفها	ونصفٌ على داياته ماتجزّما[7]
ومار منها حتى لوَتْ بزمامه	بناناً كَهُدّاب الدّمقس ومعصما[8]
وما كاد لمّا أن علته يُقِلُّها	بنهضته حتّى اكلأزّ واغصما[9]
وحتى تداعت بالنقيض حبالُه	وهمّت بَوَاني زوره أن تحطّما[10]
وأثّر في صُمّ الصّفا تفَنَاته	ورام بلمّا أمرَهُ ثم صمّما[11]
فسَبّحن واستهللن لمّا رأينه	بها زبِداً سهل الأراجيح مِرجما[12]
فلما سما اسْتَدبرنه كيف شَذْوُه	بها ناهض الدايات فَعَماً مُلَمْلَما[13]
ولما استقلت فوقه لم تجد لها	تكاليف إلا أن تعيل وتعسما[14]

---

(1) دموج الظباء: هي التي دخلت في كناسها. بالنفس أشفقت: أي خافت على نفسها من شدة الحر فدخلت الكناس لما صارت الشمس لحرارتها كالميسم.

(2) زايلت: فارقت. والسديل: الستر.

(3) ومعنى أنها لا تتحدث أمام بيوت الناس.

(4) ولم يعقبن شيئاً: أي لم يجئن بشيء بعد الأحاديث. ولم تختلق الأكاذيب.

(5) يعني أنها أمضت الكثير من يومها تكابد الصعود إلى الهودج. واتخذت من أيادي النساء سلماً لصعودها.

(6) وما دخلت في الهودج حتى تقطعت السيور التي يؤسر بها وتكسرت أعاليه لضخامتها.

(7) أي لما صار نصفها في الهودج جرجر الجمل لثقلها.

(8) ولم تتركها النسوة حتى تمكنت من الهودج ولوت زمام الجمل على يدها.

(9) وهنا وصف الجمل عندما حاول النهوض من ثقلها انقبض انقباضاً شديداً وأثبت أرساغه في الأرض.

(10) وتداعت للانقطاع حباله التي شد بها الهودج.

(11) ترك بها أثراً من ثقل المرأة التي تمتطيه. وثفناته: ركبه.

(12) أي قلن سبحان الله لما رأينه قام بها تعجباً من قوته. وكبرن لله.

(13) قام بها. وتأخرت عنه طويل القامة قوي البنية.

(14) والمعنى أنها لم تجد تكاليف بعد أن أصبحت فوقه لرياضته وأدبه.

ولما استقل الحي في رونق الضحى | قبصن الوصايا والحديث المجمجما[1]
تنبّذن من وعت الكتائب بعدما | شرعت بأيدٍ أُدمُها كلّ أأدَما[2]
تنازعن سيرا يوم ولّت جمالها | تسيب نزاعاً لا يُغالب أقدما[3]
فورّكن ماء مُسْدماً بعد سبعَةٍ | فأبرمن إبراماً على أن تلوّما[4]
دعوتُ بعَجْلَى واعتراني صبابة | وقد طلع النجدين أحداج مريما[5]
فجاء بشوْشَاةٍ مِزاقٍ ترى لها | ندوباً من الأتساع فذّاً وتوأما[6]
فكلفْتُها أن تدلج الليل كلهُ | وكلّفتُ عبديَّ الرسيم فأرسما[7]
فأما الألى يسكنّ غور تهامةٍ | فكل فتاة تترك الحجل افصَما[8]
أراها غلاماها الخلاء وشذّرت | مِراحاً ولم تقرأ جنيناً ولا دما[9]
فُلانا بلالي خادعاها فألزما | زماميهما من حلقة الصُّفر ملزما
وأعطت لعرفان الخطام واضمرت | مكان خفي الصوت وجدا مجمجما
وجاءت تبذُّ القائدين ولم تدعْ | نعالهما إلا سريحاً مُجذّما[10]
نظرتُ وعين لا تُحسّ ظعائناً | قعدن بهضبات المهاة ترنّما[11]
جرى بيننا آلٌ كأن اضطرابه | جداول ماءٍ أُتْقِبَت لَنْ تُجرّما[12]
لوامع تجري بالظعائن دونها | قفافٌ وأجبال فغوْرُ يبنبما[13]

---

(1) ولما سار الحي في أول الضحى صرن يتحدثن بوصايا صاحباتهن وأسرارهن.
(2) ونحين أيديهن من تعب الزمام والرحل تلك الأيادي المحمرة من النعمة.
(3) تسير الجمال نازعة إلى الوطن.
(4) فأقمن حول ماء متدفق.
(5) أي أمرت بالإتيان بها ويقصد ناقته وقد برح به الشوق لاحداج مريم.
(6) فأحضروا له ناقة سريعة جداً ما زالت آثار الانساع في جسمها من جراء تعودها على الركوب.
(7) فكلف تلك الناقة أن تسير الليل كله في أثر أحداج مريم.
(8) واللواتي يسكن تهامة فكل فتاة منهن تترك القلب مكسوراً.
(9) أي إنها لم تحمل جنيناً قط.
(10) جاءت تغلب القائدين في سرعتها وقد تقطعت سيور نعالهما.
(11) يذكر مواضع هنا.
(12) يشبه السراب بالسواقي الجارية المتصلة.
(13) القفاف ما ارتفع من الأرض. والغور ما انحدر منها. ينبما: موضع.

ولاح إكــامٌ قــد كـسَــاهُ هــجـيــرُه ... سراباً وقد اجتَبْنَ منه منمنما[1]

تخالُ الحصى من بين منسَرِ خُفِّها ... رُضاضَ الحصَى والبهرقات المعصّما[2]

ومـار بـهـا الـضـبـعـان مـوراً وكَـلّـفَـتْ ... بعيري على ميل الرسيم فأرسما[3]

فـلـمـا لـحـقـنـا لـم يـقـل ذو لُـبـانَـةٍ ... لـهـنّ ولا ذو حـاجـةٍ مـا تـيّـمـمـا

فـكـان لـمـاحـاً مـن خَـصـاصٍ ورَقْـبـة ... مـخـافـة أعـداءٍ وطـرْفـاً مُـقـسَّـمـا[4]

قـلـيـلاً ورفّـعـن الـمـطـيّ وشـمّـرت ... بنا العيس يَنشُرْن اللّغام المغَمَّما[5]

فـقـلـنـا ألا عـوجـي بـنـا أم طـارقٍ ... تـنـاجٍ ونـجـواهـا شـفـاءٌ لأهـيـمـا

فعاجت علينا من خِدبٌ إذا سرى ... سرى عن ذراعيه السديل المنمنما[6]

ومـا هـاج هـذا الـشـوقُ إلا حـمـامـة ... دعـت سـاق حـرٌ تـرحـةً وتـرنّـمـا[7]

من الوُرق حمّاء العلاطين باكرت ... عسيب أشاءٍ مطلع الشمس أسْحَما

إذا هـزهـزتـه الـريـح أو لـعـبـت بـه ... أرنّـت عـلـيـه مـائـلاً ومـقـوّمـا[8]

تـبـارى حـمـام الـجـلـهـتـيـن وتـرعـوى ... إلى ابن ثلاثٍ بين عودين أعجما

فلما اكتسى ريشاً سُخَاماً ولم يجد ... له معها في باحة العُشّ مجثما

أتـيـح لـه صـقـرٌ مُـسِـفٌ فـلـم يـدع ... لـهـا ولـداً إلا رمـيـمـاً وأعـظـمـا

تـطـوّق طـوقـاً لـم يـكـن عـن تـمـيـمـة ... ولا ضـرْبِ صـوّاغٍ يـكـفّـيـه درهـمـا

فأوفت على غصنٍ ضحيّاً فلم تدع ... لـبـاكـيـةٍ فـي شـجـوهـا مـتـلـوّمـا

مـطـوّقَـةٌ خُـطـبـاء تـصـدُح كُـلّـمـا ... دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما

تُـبـكّـي عـلـى فـرخٍ لـهـا ثـم تـغـتـدي ... مـولّـهَـة تـبـغـي لـه الـدهـر مـطـعـمـا

تـؤمـل مـنـه مـؤنـسـاً لانـفـرادهـا ... وتـبـكـي عـلـيـه إن زقـا أو تـرنّـمـا

---

(1) يعني أنهن اتقين الحر بثياب منمنمة.

(2) يصف سرعة ناقته حيث يتطاير الحصى من مناسمها.

(3) مار بها: ماج وتردد بها. والضبعان: تثنيه الضبع وهو العضد.

(4) والمعنى أنه نظرها خلسة من ثقوب الستر.

(5) رفعن المطي: جعلنها تسرع في السير لدرجة أنها بدأت تنشر من أفواهها اللغام لكثرة الجهد الذي تبذله في السير.

(6) الخدب: الجمل الضخم.

(7) ساق حر: ذكر الحمام القمري.

(8) هزهزته: حركته.

فهاج حمام الجلهتين نُواحُها ... كما هيّجت ثكلى على الموت مأتما

ونازعن خيطان الأراك فراجعت ... لهاتفها منهن لَدْناً مقوّما

فماجت به غُر الثنايا كأنما ... جلت بنظير الخوط دُرّاً منظما

إذا شئت غنّتني بأجزاع بيشةٍ ... أو النخلِ من تثليث أو من يلملما

عجبتُ لها أنّى يكون غناؤها ... فصيحاً ولم تغفر بمنطقها فما

ولم أر محزوناً له مثل صوتها ... أحرَّ وأنكى للفؤادِ وأكْلَما

ولم أرَ مثلي شاقه صوت مثلها ... ولا عربياً شاقه صوت أعجما

كمثلي عراتيه ولكن صوتها ... له عولة لو يُفهم العوْد أُذْرَما

خليلي هُبّا علّلاتي وانظرا ... إلى البرق إذ يفرى سناً وتبسُّما

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبةٌ ... فما لك بعد الشيب صبّاً متيّما

عروضاً تدلّت من تهامة أهديت ... لنجدٍ فساح البرق نجداً وأتهما

كأن رياحاً أطلعته مريضة ... من الغور يسعُرْن الأباء المضَرّما

كنفض عتاق الخيل حين توجهت ... إليهن أبصارٌ وأيقظن نوّما

خليلي إني مشتكٍ ما أصابني ... لتستيقنا ما قد لقيتُ وتعلما

أملّيكُما أن الأمانة من يخن ... بها يحتمل يوماً من الله مأثما

فلا تفشيا سري ولا تخذلا أخاً ... أبثّكما منه الحديث المكتّما

لتتّخِذا لي بارك الله فيكما ... إلى آل ليلى العامرية سلّما

وقولا إذا جاوزتما آل عامر ... وجاوزتما الحيين نهداً وخثعما

تذيعان عن جرم بن زيات أنهم ... أبوا أن يميروا في الهزاهز محجما

وسيرا على نضوين مكتفليهما ... ولا تحملا إلا زناداً وأسهما

وزاداً غريضا خفّفاه عليكما ... ولا تفشيا سراً ولا تحملا دما

وإن كان ليلاً فالويا نسبيكما ... وإن خفتما أن تُعرفا فتلثّما

وقولا خرجنا تاجرين وأبطأت ... ركابٌ تركناها بتثليث قيّما

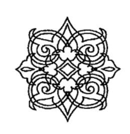
ولو قد أتانا بزّنا ورقيقنا ... تموّل منكم من أتيناه مُعدما

فما منكما إلا رأيناه دانيا ... إلينا بحمد الله في العين مسلما

ومُدّا لهم في السّوْم حتى تمكنا ... ولا تستلحّا صفقَ بيعٍ فتلزما

فإن أنتما اطمأننتما وأمنتما ... وأجلبتما ما شئتما فتكلما

وقولا لها ما تأمرين بصاحبٍ لنا قد تركتِ القلب منه متيّما
أبين لنا إنّا أرحنا مطيّنا إليك وما نرجوه إلا تلوُّما
فجاءا ولمّا يقضيا لي حاجة إليّ ولمّا يَبْرِما الأمر مُبرما
فما لهما من مرسلين لحاجة أسافا من المال التّلاد وأعدما
ألم تعلما أنّي مصابٌ فتذكرا بلائي إذا ما جرفُ قوم تهدَّما
الأهل صدى أم الوليد مُكَلِّم صداي إذا ما كنتُ رمْساً واعْظما



ويقول الشاعر أعشى قيس في قصيد يذكر فيه ناقته التي امتطاها للحاق بحي أحبائه.

يقول منها:

وعسير ادماء حادرة العين خنوفٍ عيرانة شملال[1]

من سراة الهجان صلبها العض ورعي الحمى وطول الحيال[2]

لم تعطف على حوار ولم يقطع عبيد عروقها من خُمال[3]

قد تعللتها على نكظ الميط وقد خبّ لامعات الآل

فوق ديمومة تخيل للسفر قفارا إلا من الآجال

وإذا ما الظلال خيفت وكان الشرب خمساً يرجونه عن ليال[4]

واستحثّ المغيرون من الركب وكان النطاف ما في العزالي

مرحت حرة كقنطرة الروميّ تفرى الهجير بالأرقال[5]

تقطع الأمعز المكوكب وخدا بنواجٍ سريعة الإيغال[6]

عنتريس تعدو إذا حرّك السوط كعدو المصلصل الجوّال[7]

---

(1) العسير: الناقة التي لم ترض. ادماء: بيضاء. حادرة: غليظة. خنوف: تضرب برأسها من النشاط. عيرانه: مشبهه بحمار الوحش. شملال: خفيفة.

(2) من سراة الهجان: من الإبل البيض. طويلة الاقامة بدون لقاح.

(3) وان هذه الناقة سليمة فلم يعالجها (عبيد) وهو طبيب للإبل من مرض الخمال.

(4) ركب ناقته في مهمه من الصحراء يخاف فيه الراكب من ظله لوحشته.

(5) مرحت: نشطت. القنطرة: الجسر. وقال إنها كجسر الرومان لشدة بنائهم. والأرقال: ضرب من السير.

(6) الأمعز: الأرض التي فيها حصى وحجارة. والمكوكب: الذي تلمع أحجاره كالكواكب. والنواج: سيقانها لسرعتها.

(7) العنتريس: كثيرة اللحم. المصلصل: حمار الوحش.

لاحه الصيف والطّراد واشفاق على صعدة كقوس الضال[1]
ملمعٌ وإلهُ الفؤاد إلى جحشٍ فلاه عنها فبئس الفالي[2]
ذو أذاة على الخليط خبيث النفس يرمي عدوّه بالنّسال
غادر الوحش في الغبار وعاداها حثيثا لصوّة الأوحال
ذاك شبهتُ ناقتي عن يمين الرعن بعد الكلال والأعمال
وتراها تشكو إليّ وقد صارت طليحاً تحذى صدور النعال
نقب الخف للسُّرى فترى الأنساع من حلِّ ساعة وارتحال
أثّرت في جآجيءِ كاران الميت عولين فوق عوجٍ رسالِ[3]
لا تشكّى إليّ من النسع ولا من حفي ولا من كلال
لا تشكّى إليّ وانتجعي الأسود أهل الندى وأهل الفعال

حيث بعد ذلك ينتقل إلى ممدوحه كما هي عادة شعراء العرب، إلى آخر القصيد وهو طويل.



(1) شبه ناقته بالأتان الوحشية التي أضمرها حر الصيف والطراد.
(2) الملمع: الناقة التي ترفع ذيلها للفحل لتريه أنها عشراء.
(3) الجآجيء: جمع جؤجؤ وهي عظام الصدر. والإران: النعش.
(4) يطلب من ناقته ألا تشتكي إليه من الحفا، وآلام سيور المحمل.
(5) يريدها أن تصل إلى ممدوحه حيث تستريح.

ويقول الشاعر امحمد بن الطلبة اليعقوبي من بلاد شنقيط في قصيد طويل نختار منه ما يلائم الغرض، يقول:

يــا خــلـيــلــي هــجــرا لــلــرواح	وارحـــلا كـــلّ بـــازلٍ مِـــلْـــوَاحِ[1]
يا خليلي ما شفى النفس شافٍ	كـاعـتـمـال الـجُـلالَـة الـسـرداح[2]
قـد تـخـيّـرت لاهـتـمـامـي مـنـهـا	جـسـرة طـال عـهـدهـا بـالـلـقـاح[3]
ربـعـت فـي مـجـادل الـكـرب تـرعـى	جـلـهـاتٍ بـهـنّ حُـوُّ الـبـطـاح[4]
يـبـدرُ الـطـرف بـغـيـهـا كـلـمـا لا	ح لـهـا لائـحٌ مـن الأشـبـاح[5]
فـكـأنـي إذا الـهـواجـر شـبّـت	كـلُّ حـزنٍ عـلـى شـبـوبٍ لـيـاح[6]
مـغـرد بـالـلّـوى يـروم دمـاثـا	لـم يـردهـن غـيـر هـوج الـريـاح[7]
زعـلٍ بـات طـاويـاً بـكـنـاسٍ	بـلّـلَـتـه الـذهـابُ هـاري الـنـواح[8]
فـاسـتـفـزتـه مـطـلـع الـشـمـس غـضْـفٌ	أرسـلـت مـن يـدي قـنـيـصٍ شـحـاحِ[9]

---

(1) ارحلا: أي اجعلا عليه الرحل. والبازل: الذي طلعت نابه. والملواح: الطويل الضامر.

(2) الجلالة: العظيمة. والسرداح: الناقة الطويلة القوية.

(3) الجسرة: الناقة العظيمة. ومعنى طال عهدها باللقاح أنها عاقر.

(4) ربعت: أقامت زمن الربيع. ومجادل الكرب: جبالها وهي منطقة (بتيرس). وجلهات: جمع جلهة وهي ناحية الوادي. وحو البطاح: نباتها الأحوى.

(5) صحيحة النظر سليمة.

(6) الهواجر: جمع هاجرة. وشبت: أوقدت. والحزن: ما غلظ من الأرض. والشبوب: ثور الوحش. ولياح: أبيض.

(7) يرود: يذهب ويجيء. والدماث: الأماكن السهلة. وهوج الرياح: جمع هوجاء، وهي الرياح القوية التي تقلع البيوت.

(8) الزعل: النشط. الذهاب: المطر الضعيف.

(9) استفزته: استخفته للفرار. وغضف: جمع أغضف وهو مسترخى الأذنين. ويقصد كلاب الصيد.

فـتـجّـهـدْن إثـره طـاويـات	واسـتـمـرّت بـه حـنـون الـمـراح[1]
فاخـتـشى مـن لـحـاقـهـا ثـم انـحـى	نـحـوهـا كـرّ ذائـد مـلـحـاح[2]
فـكـلا بـعـضـهـا وبـعـضـا رآه	وانـبـرى في الـقـفـار كـالـمـصـباح[3]
فـعـسـى تـلـك وادّلاج الـلـيـالـي	ودؤوب الإمـسـاء والإصـبـاح[4]
تَـبـلـغـنّـي ديـار أم أبـيّ	ولـحـسـبـي بـلـوغـهـا مـن نـجـاح[5]



(1) فتجهدن: أجهدن أنفسهن في الجري وراءه.
(2) خاف أن تلحقه فتراجع نحوها ليطعنها.
(3) أي ضرب بعضها على الكلية. ورآه: ضربه على الرئة.
(4) يذكر أنه يدلج الليالي ويسير صباحاً ومساءً.
(5) ليبلغ ديار ام أبي وحسبه من نجاح حين بلوغها.

ويقول الشاعر امحمد بن الطلبة اليعقوبي في قصيد آخر. نأخذ منه وصفه للناقة حيث يقول:

وبيُّوت همٌ ضاقني فقريته	مسافة سيرٍ دائبٍ متنعنعِ[1]
على زورة مثل الفنيق مُدلّةٍ	نهادٍ منيفٍ كالسّقيفةِ جُرشعِ[2]
تذبُّ بشمراخٍ كأن فروعه	قرون هَدِيٍّ فُتّلِتْ يوم زعزعِ[3]
كأن قتود الرحل غِبّ كلالها	على ذي وشومٍ رائح أو هجنّعِ[4]
تعارضه رُبْدٌ تزفُّ عشية	إلى زعر حفّارٍ ببيداء بلقعِ[5]
اذلك أم جون السراة مكدّم	يقلّب حُقبا من نحوصٍ وملمعِ[6]



---

(1) البيّوت: الأمر الذي يبيت له صاحبه مهتماً.

(2) الزورة: الناقة التي تنظر بمؤخر عينها لشدتها وحدتها. والفنيق: الفحل. ومدلة: تدل على سيرها بطول عنقها وهو هاديها. والسقيفة: خشبة السفينة وبها تشبه أعناق الإبل.

(3) تذب: تخطر بذنبها. والشمراخ: العثقال الذي عليه بسر شبه به ذنب الناقة في وفور شعره. والهدى: العروس. ويوم زعزع: يوم ريح.

(4) غب كلالها: بعده بيوم. وذووشوم: ثور وحش. والهجنع: الظليم.

(5) تعارضه: تباريه في جريه. وربد جمع ربداء وهي النعامة.

(6) جون السراة: السراة الظهر. وجونها أسودها. ومكدم: كدمته الحمير. حقب: جمع حقباء، وهي الأتان التي في بطنها بياض.

ويقول الشاعر امحمد بن الطلبة اليعقوبي في قصيد آخر مطلعه:

قف بالمرابيع من جو المبيديع   سقى المبيديع مرباب المرابيع

إلى أن يقول بعد أن ارتحل القوم وابتعدوا عنه:

أراقب الحي حتى إذ رأيتهم   جدُّوا سراعاً وما عاجوا لتوديعي

وأجمعوا الأمر أن لا وغي إذ رحلوا   عن جانب السبخة الشرقي ذي القيع

رصدتهم بالثنايا الخضر أرقبهم   كيما يقيلوا مقيلي بعد تفجيعي

فحاد بالظعن عن قصدي وروّعني   حادٍ لهم كان معنياً بترويعي

ما زلتُ اتْئِر طرف العين نحوهم   فالعين قد مسّها طرحى بترسيع[1]

حتى إذا الشمس ألقت في الظلام يداً   وجَدّ أعلامها منه بتلقيع[2]

أتبعتهن سبنداة عرندسة   تنضو الجياد بموضوع ومرفوع[3]

تربعت بين أصواء الثديّ إلى   خبتِ الدويّه في غُفْل مماريع[4]

كأنها لقوة شقواء عادية   للصّيد نُطّقَ جنباها بتوليع[5]

بينا تقحّم في الظلماء جافلة   لاحت لها النار بالعليا من الرّيع[6]

---

(1) اتئر طرف العين: أتبعه إياهم. والترسيع: التصاق الأجفان.

(2) بمعنى أقبل الظلام.

(3) السبنداة: الناقة الجريئة الصدر. والعرندسة: الشديدة العظيمة. تنضو الجياد: أي تسبقها رافعة الرأس أو خافضته.

(4) تربعت: أي رعت في الربيع. الأصواء: جمع صوة وهي الصحراء الخالية.

(5) اللقوة: العقاب السريعة الخفيفة. والشقواء: العقاب الفاضل منقارها الأعلى على الأسفل. ونطق جنباها: أي تخللها توليع وهو تخطيط من بياض وسواد.

(6) تقحم: ترمي بنفسها. والريع: التل.

إذا سجت هبَّ هبُّ الريح يصفقها صفقاً وألوى بها ريع المبيديع[1]
كان بالجو شملالا تصفُّ بها صفًا وتقبض من فُتْخ الملاميع[2]

إلى آخر القصيد الذي ينتقل فيه إلى غرضه الأساسي وهو الغزل واللحاق بمحبوبته.



(1) سجت: ارتفعت. هب: شرع. وهبّت الريح هبوبها. ويصفقها يرد ضوءها. وألوى بها: رفعها وأضاءها له. والمبيديع: موضع.

(2) الجو: ما بين السماء والأرض. الشملال: الناقة السريعة. وتقبض: تسرع في طيرانها. وفتخ: جمع فتخاء وهي لينة الجناحين. والملاميع: جمع لمّاعة بالتشديد، وهي العقاب السريعة الاختطاف.

ويقول الشاعر محمد بن الشيخ سيديا الآيري الشنقيطي في قصيد مطلعه:

أَدَمْعَا تبقيان بغرب عين ... وقد عاينتما دار الكنين

إلى أن يصل إلى وصف الجمل فيقول:

وقد يُلفى إذا الجُلّى أدلهمّت ... أسامة من يظُنّ أبا الحصين[1]

ومهما يَعْرُني للهمّ ضيفٌ ... يجرُ من البلابل ضيغنين

جعلتُ قراه أكْوَم قيسريًا ... هجان اللون جون الذفريين

كأن صنانه المنياع نقشٌ ... تحدّر من جوانب قمقمين

على ليتين كالترسين مُدًا ... إليّ كالقصر رحب القصريين

يُزمّ عن الكلال وكل نعتٍ ... يعاب سوى انفتال المرفقين[2]

رعا روض الحمى غصناً نضيرا ... فلم يحتج لماء الدُحرضين[3]

وعن صدًا له السعدان أغنى ... إلى أمد انسلاخ جماديين[4]

له افترّ الكمام بكل ثغر ... وبكّاه الغمام بكل عين

فملّكه الرعاة الأمر حتى ... كساه النّيّ نسج المشفرين

تثبّطه أداهمُ من حديد ... ينوء بها مُداني الساعدين[5]

إلى أن كاد وهو بلا جناحٍ ... يطير بقوّةٍ في المنكبين

(1) الجلّى: الداهية. أسامة السبع. وأبا الحصين الذئب.

(2) يزم عن الكلال: أي يأنف منه/ وقوله سوى انفتال المرفقين مدح بما يشبه الذم.

(3) الدحرضان/ ماء قال فيهما عنترة (شربت بماء الدحرضين ما صبحت
زوراء تنفر من حياض الديلم).

(4) صداء من القول (ماء ولا كصداء) وكذلك السعدان من قولهم (مرعى ولا كالسعدان).

(5) أي تعوقه من كثرة المشي. وأداهم جمع أدهم وهو الحديد الذي يقيد به الجمل.

هناك علوته بقتود رحلٍ ... حماه الكثر مسّ المتنيين[1]
فحاول أن يبازي في البراري ... هجفّيْ سابقٍ بالدونكين[2]
يسير الخيطفى حيناً وحينا ... يراوح بين كلتا الخيزلين[3]
يولّى المعز أخفافاً خفافاً ... تغادر كل صخرٍ فلقتين
تقاذف بينها الظّران شتى ... تقاذف أيمنين وأعسرين[4]
به أُخيي التداني كل حين ... وأدنو للتنائي كل حين
أغادره وقبلي مستبحيل ... عليه الأينُ ذا ظِلَعٍ وأين
وأُرحِلُه سليماً فيسماه ... وأرجِعهُ رثيم المنسمين
ولو لم ألقه أصلاً لطارت ... بي العزمات بين الخافقين
فللعزمات أجنحة تداني ... كلمح الطرف بين الشاحطين
فشطر المشرقين تأمُّ آناً ... وآونة تأمُّ المغربين
وليس لمثلها وزرٌ لِلاقٍ ... من الدهر ازورار الجانبين
فما طَرٌّ يقرُّ بدارِ هونٍ ... ولو كانت مقرّ الوالدين

إلى آخر القصيد وهو طويل.



(1) قتود الرحل عيدانها؛ والكتر: السنام المرتفع،
(2) هجف: هو الظليم المسن. والدونكان موضع.
(3) الخيطفى: السرعة في الجري. والخيزلين: تثنية الخيزلي وهو ضرب من المشي.
(4) المعنى مأخوذ من قول امرىء القيس (كأن الحصى من خلفها حذف أعسرا).

ويقول الشيخ محمد ولد الشيخ سيديا أيضاً من قصيد مطلعه:

طالَ في أربع القرار قراري ليت شعري مالي ما للقرار

إلى أن يقول:

طرقتك الهموم وهي سوار فبماذا لطيفها أنت قار
ما قرى طارق البلابل قار مثل أعمال يعملات المهار
صحبتي شمروا فلم يبق إلا شدَّ فتل المطي بالأكوار
قرّبوها بويزلات عليها من ذراها كعاليات المنار
فذاراها لركبها ضامناتٌ بعد شحط المزار قرب المزار
ملّكتها رعاتُها الأمر دهرا ترتعي ما شاءت من الأزهار
فهو طورا باقحوانٍ وحمض وهي طوراً بقرقدٍ وجدار
سلخت في الربيع شهر جمادى تتوخى مواقع الأمطار



يقول الشاعر محمد بن حنبل البوحسني الشنقيطي:

شدّوا المهاري بأكوار وأحداج ... وأدلجوا تحت ليل ألْيلٍ داج

وأصبحت دارهم قفرا معطّلة ... مبكى دواعي هديل شجوها شاج

تلوح آثارُ من بانوا بمعهدها ... مثل البرود وشتها كفُّ نسّاجِ

فما علمت ولم أشعر بينهم ... إلا بجونٍ من الغربان شحّاج

فظل يشحج فاهتاج الفؤاد له ... لله ماهاج شحّاجٌ لمهتاج

تبّاً لعيسٍ نأت عني بناعمة ... غيداء ريّانة الحجلين مغناج

تُسبي فؤاد الحليم المرعوي بدُجى ... ليلٍ ووجهٍ كضوء الصبح مغناج

كما يقول في قصيد طويل آخر:

أشاقتك بعد تولي الصبا ... حمولٌ بكرن بأدم الظبا

بدعج اللواحظ بيض الوجوه ... ثقال المروط ثقال البُرى

فأوقد في القلب نار الغرام ... أن آذن بالبين داعٍ دعا

فبتُّ كظيماً وبات الحسانُ ... مستبشرات بقرب النوى

فلما طوى الصبح ثوب الظلام ... مسحن الكرى عن بدور الدجى

وقُرّب بَزْل من آل الجديل ... شم الكواهل شُم الذرا[1]

فشُد الحدوج ومُدّ الخدور ... عليها وتحت الخدّور المهى

وحثّ الحداةُ بها أسطرا ... ثمانيةٍ من نخيل روى

(1) آل بمعنى أهل.

فأمست منازلهم بلقعاً يُرجّع فيها الحَمام الغنا
فأعملتُ في إثرهم جسرةً أنيلت محالا كصُم الصّفا[1]
عسوج الصباح وسوج الرواح نعوب الهجير خبوب السرى[2]
كأني ورحلي على قارحٍ من الحقب جأب خميص الحشى[3]
أقام بمربعه قائماً على أربعٍ كقسي السرى
فلما حدا النجم هادى الصباح وآنفهن نِصال السّفَى
حدا بخائصه قارباً أشدّ الحداء ذنابى الشّبَا
فباتت تُباري فلما انجلى تبيّن ماءً خلال الأشا[4]
وعند شمائلها نابلٌ خفيٌّ حرام عليه الكرى
أبو دردقٍ سبعة مالها من الكسب إلا بنات الملا[5]
فجئن السّريّ على هيلة فلما سلكن شطور الشوى
طوى شخصه فرمى رمية تنتها عن الحقب أيدي المنا
فنادى الثبورُ وأعلا العويل وخال السماحيج برقاً خفا[6]



(1) الجسرة: الطويلة الضخمة. والمحال: فقار الظهر.
(2) عسوج: مدت الناقة رقبتها في المشي. وخبوب: فعول من خبت.
(3) الحقب: جمع أحقب وهو الذي في حقبه بياض.
(4) الأشا: صغار النخل.
(5) الدردق: الصبيان الصغار. وبنات الملا الوحش.
(6) الثبور: الهلاك والخسران. والسماحيج: وهي الأتان الطويلة.

يقول الشاعر محمد محمود الشنقيطي في قصيد طويل:

دع العيس والبيداء تذرعها شطحا ... وسمها بحور الآل تسبحها سبحا

ولا ترعها إلا الذميل فطالما ... رعت ناضر القيصوم والشيح والطلحا

ولا تصغ للناهين فيما نويته ... وخف حيث يخفى الغشّ من يظهر النصحا

فكن قمرا يغري الدُّجى كل ليلة ... ولا تك كالقمري يستعذب الصّدْحَا



ويقول الشاعر مولود اليعقوبي الشنقيطي:

لمثلها من عتاقٍ شعشعانات	قضى اللبانة معني اللبانات[1]
ملموج شُدت لطياتٍ بأرحلها	ويلمّها إيلا شُدّت لطيّات[2]
راحت برحلي من فزلّ واكتفلت	تلك العشية بالسبع الأخيّات[3]
طوى برحلي أجواز الفلا يقِقٌ	عركْرَكٌ من ذوات العجرفيات[4]
جأب الشراسيف ينبو عن وليّته	كالأخدريّ يُباري أخدريّات[5]
إذا النجائب أمست لا حراك لها	تحت الوليّات أشباه البليّات[6]
نجبٌ ينجيننا من كل مهلكة	لم يقتحم هولها إلا ابن مقلات[7]
زوى الأريب عنها خوفها فخلت	إلا الوحوش جماعات جماعات
ولو تراهن يفرين الفريّ بنا	منا بكل فتى كالنصل مصلاة
ضخم الدسيعة لا ينفك ديدنه	نيط المسرّات أو ميط المضرّات[8]

---

(1) الشعشعانات: الطوال. واللبانة: الحاجة.

(2) الموج: اسم موضع بعينه.

(3) فزل: اسم موضع. واكتفلت: جعلتها على كفلها.

(4) الأجواز: جمع جوز وهو الوسط. واليقق: الأبيض ـ والعركرك. الجمل القوي الشديد. والعجرفيات: جمع عجرفية وهي سير في نشاط.

(5) جاب: غليظ. والشراسيف: وهو جمع شرسوف وهو غضروف معلق بكل ضلع. أو هو مقط الضلع. وهو الطرف المشرف على البطن. وينبو: يرتفع. والوليه: البرذعة أو ما تحتها. والأخدري: حمار الوحش.

(6) البليات: البلية الناقة التي تعقل عند الميت.

(7) المقلات: التي لا يعيش لها ولد.

(8) الدسيعة: العطية. والديدن: العادة. ونيط المسرات: جلبها والميط: الإزالة.

معصوصبات على معصوصبٍ خشِنٍ   ما بين وهمٍ علندىً أو علنداة[1]
ما لي أراني مذ يومي وليلاتي   تامت فؤادي إحدى الآدميّات[2]
أدمانة من بني المبروك حُمّ بنا   منها لعمري إدمان الصبابات



(1) معصوصبات: جادات في السير. والوهم: الذلول في ضخم وقوة. والعلندي: البعير الضخم الطويل الشديد. والعلنداة: أنثاه.

(2) اللادميات: امرأة من قبيلة (لادم) وهي من القبائل المعروفة في الصحراء الكبرى ومشهورة بتربية الإبل.

قال (محمد بن سيدي محمد) من رقيق شعره:

شَـمِّـرْ لـعـلَّ دَسِـيـمَ الايْـنُـقِ الـذلـل ... من بعد عشرين بُدنى ساكتي العُقُلِ[1]

سر مدمناً عبر أمواج الهجير وسر ... تحتَ الدُّجى ثَالث البيداءِ والإِبِلِ

واعص العذول فمشتاقُ الأحبةِ مَنْ ... ما أنْ يُميز بين العذرِ والعَزَلِ

واصحب دليلاً من الشوق المبرح إن ... مال القطا عن سبيل القصد لم يمل

واجعل مهادك بطن الرحل من جمل ... جون المؤخَّرِ أو وجناء كالجملِ

دَعتْ من الروض في أكتاف دُومِسَ ... ما لم ترع منه بجنَبيْ هضبةَ الوعِلِ



وقال عندما عزم الحج:

تـجـلّـدْ جـهْـدَ نـفـسـك لـلـفـراق ... وكـفـكـف غَـرْبَ سـافـحـةِ الـمـآقِ

وجـرِّد مـن عـزيـمـك مـا يـوازي ... مُـتِـرَّات الـمـهـنـدة الـرقـاق

ونَـكِّـبْ عـن مـقـال أخـي الـهـويـنـا ... وعـنـهـا فـهـي خـاسـرة الـصـفـاق

وعـن بـاكٍ وبـاكـيـة أراقـا ... دمـوعـاً لـيـس واكـفـهـا بِـراق

إلى البيت العتيق بنص إحدى ... عـتـاق الـكـوم أو أحـد الـعـتـاق

بـنـص شـمـلـة تـعـدو بـعـالـي ... قَـراهـا عـدو مـنـفـرد لـهَـاق[2]

أجـادت خـلـف غـاريـهـا بـنـاء ... يـدا صـفـو الـمـراتـع والـمـسـاق

تـبـاري الـريـح جـافـلـة وتـطـوي ... عَـريـضـات الـفـلا طـيّ الـطـبـاق

(1) العقل: مواضع معروفة لها آبار غير طويلة. بالنسبة لما يقال له بئر في عرفهم.

(2) القرا: الظهر. واللهاق: الثور الوحشي الأبيض.

لـو أرسـلـهـا وقـد لـحـقـت كُـلاَهـا	عـلـى خـرجـات أيـقـن بـالـلـحـاق
فـلا تـبـرح تـروحُ بـهـا وتـغـدو	وتـدلـج لا تـنـاخ سـوى فـراق
إلـى أن تـسـتـحـيـل عـلـى حـنـايـا	فـقـار الـظـهـر لاصـقـةَ الـصِـفـاق
وتـحـسـبـهـا إذا بـغـمـت لُـغـويـاً	مـن الأدلاج ثـاغـيـة الـعـنـاق[1]
وعـاشـر كـل مـنـتـدب لـيـرقـى	مـن أبـنـيـة الـعـلـى صـعـب الـمـراق
بـه حـمـلـت مـفـزعـةً نـوازٌ	عـلـى الأحـكـام مـن حـبـك الـنـطـاق
أأحـبـابـي أعـاد الـلـه مـنـي	ومـنـكـم بـعـد فـرقـتـكـم الـتـلاق
إلـى أرض الـحـجـاز أحـلـت عـنـكـم	صـفـيـحـة وجـه وجـدي واشـتـيـاقـي

قال في غرر قصائده يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

زارت مُعَرَّسَ سَفْرٍ بعد ما ارتحلوا	شهراً رواحاً وتهجيراً ومبتَكرا
تهوى بهم راقصات العيس طاوية	أخفافها من عِراض اليد ما انتشرا
تعلو الهضاب وصمَّ الصخر خافيةً	ما إنْ ترى نَقَباً فيها ولا دَبَرا
بَزْلا سمى النيُّ في أثباجها وعلى	غربانها لبدت أذنابها الخطرا
عهدي بها لم تزر جاراتها كسلا	واهاً لها كيف باتت تسلك الوعرا
باتت تشق ظلام الليل نحوهُم	يا عظم ما كَلَّفَتْ أوصالها الفترا
يا أنس لا أنس والأيامُ مولعةٌ	بفرقة الشمل إذ خالستها النظرا
فأومأت بكحيل الطرف باسمة	نحوى لكيما أرى أن الرقيب يرى
أيام أحس رحيق الوصل آمنة	نفسي أن أحسوسم الصرم والصبرا
ما كنت أحسب هذا الدهر تحدث لي	أحداثه من ليالي صفوه كدرا

(1) بغمت: صوتت. واللغوت: الأعياء. والثغاء: صوت الشاة. والعناق: أنثى الجدي.

قال الشاعر «امحمد بن محمد» من شعراء موريتانيا:

فدبَّتْ حَميا الشَّوق في النفسِ واصْطَلَتْ	تَباريحُ إلاتُودِ بالنفس تُلْعِج[1]
عَشِيَّةَ لا أستطيع صبرا ولا بُكا	فأشفى غليلي والبُكا مفزع الشجي
وقد أعسفُ الخرق المهيب اعتسافَهُ	بخرقاء من سر الهجان عفنجج[2]
مُبينَةِ عِتْقِ الحرتينِ وخَطْمُهَا	يُبَاري السّنان غير أنْ لم يُزَجج[3]
عَجَمْجَمَةٌ روعاء زيافة السُّرى	أمُونٌ: كبرج الأندري، المؤدَّج[4]
إذا زُعتها بعد الكلال تغشمَرت	وَحَطّتْ حِطاطَ الجَنْدَلِ المتدحرج[5]

---

(1) قوله: فدبت حميا النفس: أي تمشت. والحميا: شدة الشوق مأخوذ من حميا الكاس وهي سورتها وشدتها. اصطلت: اتقدت. وتباريح الشوق: توهجه، وهو من الجموع التي لا مفرد لها. وقيل: واحدها تبريح، وتود بالنفس: تذهب بها، وتلعج: تحرق. يقال: ألعج النار في الحطب، أوقدها، أو من لعج الجلد: أحرقه.

(2) قوله: وقد أعسف إلخ. العسف: قطع الأرض في ابتغاء حاجة من غير هداية. والخرق: القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. والمهيب: الذي تهابه الناس. وأصله المهيوب. والخرقاء: النشيطة التي لا تستقر، مأخوذة من الخرق. وهو ضد الرفق. وقوله من سر الهجان، السر: يقال للأصل. والمحض: النسب وأفضله. والعفنجج: الناقة السريعة.

(3) قوله: مبينة عتق الحرتين. يعني بالحرتين: الأذنين. ومعناه أن أذنيها دقيقتا الأعلى. وهذا من أمارة العتق في الإبل. قال طرفة:

مؤللتان تعرف العتق فيهما … كسامعتي شاة بحومل مفرد

وخطمها: مشفرها. ومعنى مباراته للسنان: أنه عتيق يشبه السنان في دقته. وقوله غير أن لم يزجج: يعني أن شعره عليه بخلاف السنان.

(4) قوله عجمجمة أي شديدة، أو هي القوية على السير. وروعاء: كثيرة الفزع لنشاطها. وزيافة: كثيرة التبختر في السرى. وأمون: وثيقة الخلق، والبرج في الأصل الحصن، والأندري البناء العالي. مأخوذ من أندرون. التي في معلقة عمرو بن كلثوم فإنه قيل إنها جمع أندري. والمؤدج: الذي عولي بناؤه.

(5) قوله إذا زعتها، إلخ. زعتها حركتها بزمامها لتسرع، والكلال: التعب. وتغشمرت:

كأني إذا أخليتها الخرق وارتمت يَدَاها بِرِضراض الحصَا المُتأججِ[1]

على لؤلؤان اللون سنعاء لاعها تشمّمُ أشلاء بمصرع بحرج[2]

من الخنس قد باتت وأضحت تعله بعمياء لا تخشى بها من مُهيّج[3]

فلما رمته في المعاضل نَغْسَةً إلى بطن حقفٍ بالصريمة أعوج[4]

تراخت بها عنه المراعي فأحدقت به بؤسٌ ما إن لها من مهجهج[5]

بنو قفرةٍ طُلس الملا مِنْ عصابةٍ إذا أقدمَتْ في غرةٍ لم تحجحج[6]

شرابُهُم دَمُ العبيط وزادُهم فريسٌ طريدٌ لحمهُ غير مُنْضَج[7]

فراحت لعَهْدٍ كان منه فلم تجد سوى جلدٍ أو رأسِ عَظم مشجج[8]

فجالت قليلاً وانثنت تستخيره ولم تدْرِ أن من يعلق الحتف يخلج

فطاقت له سبتاً تُرجي إيابه وأنى لها هيهات ما هي ترتجي[9]

تقحمت الأوعار من نشاطها مأخوذ من غشمر السيل: إذا أقبل. وحطت: انحدرت في سيرها. والجندل: الحجر، والمتدحرج: المنحط من أعلى.

(1) قوله: كأني إذا أخليتها إلخ. الخرق: المفازة. والرضراض: صغار الحصى التي يجري عليها الماء. والمتأجج: المتقد من حرارة الشمس.

(2) قوله: على لؤلؤان اللون إلخ. هو خير كان في البيت قبله، ومعناه على بقرة وحش يتلألأ لونها. وسنعاء: أي شاحبة من حزنها على ولدها الذي أصيد. مأخوذ من المرأة السنعاء، وهي التي بذلت نفسها في القيام على ولدها، وتركت الزينة. وتشمم: من الشم. والأشلاء جمع شلو بالكسر. والمراد عظامه. والبحرج: ولد البقرة الوحشية، وتقدم ضبطه في هذه القصيدة.

(3) قوله: من الخنس إلخ. الخنس: جمع خنساء. وهي فعلاء من الخنس بالتحريك. وهو تأخر الأنف مع ارتفاع قليل في الأرنبة. وتعله: ترضعه مرة بعد مرة. والعمياء: الأرض التي لا يهتدى فيها، والمهيج: الذي يهيجها.

(4) قوله: فلما رمته إلخ. الحقف: المعوج من الرمل. والصريمة: القطيعة من معظم الرمل.

(5) قوله: تراخت بها إلخ. أحدقت: أحاطت به. وبؤس جمع بائس. يعني: القناص ومهجهج: زاجر. يقال: هجهج بالسبع: صاح به، وبالجمل زجره.

(6) قوله: بنو قفرة، إلخ. الطلس جمع أطلس، وهو الوسخ. والملا جمع ملاءة، وهي الربطة أي هم وسخوا الثياب. ولم تحجحج: لم تنكص.

(7) قوله: شرابهم دم العبيط. إلخ. الدم العبيط: الخالص الطري، والدم بالتشديد لغة والفريس: القتيل من الدواب، وغير منضج: غير محكم الشيء.

(8) قوله: فراحت في بعض النسخ: فجادت لعهد، إلخ. الجلد بالتحريك: لغة من الجلد.

(9) قوله: وانثنت تستخيره: أي انثنت تصوت له ليجيبها من شدة ولهها عليه. ويخلج: يجذب إلى الهلاك.

فـلـمـا ذوت قِـرْدَانُ درّتـهـا طـوت — على عله يأساً مُبيناً لمن شجي[1]
فـبـاتـت عـلـى فـرد أجـمُ كـأنـهـا — تـلألـؤ مِـقْـبَـاسٍ يُـشَـبُّ لـمُـدلـج[2]
تـقـطـع مـن عـزفِ الـفـلا جـراراً لـهـا — جِذاراً فمهمي يَعْزِفِ الدوتمعج[3]
تـغـص بـهـا مـا أن تـكـادُ تـسـيـغـهـا — فتلقى لفاظاً من لُغام ورجرج[4]
فلما سرى عنها الدجى الصبح آنست — به جرس ذي طِمْرَين بالصيد مُلهج[5]
أخـي سـبـعـة أو تـسـعـة قـد أعـدهـا — لأمـثـالـهـا مـن كـل شـهـم مـحـرّج[6]
يـحـثّ ضـراء كـالـحـات كـأنـهـا — قـداح مُـفـيـضٍ بـالـمـغـالـيقِ مـفـلّـج[7]
مَـضَـاريـعَ وحـش ضـاريـات تـعـودت — مُغارَ الصباح من ضراء أمن الأعوج[8]
فـمـا ذرَّ قَرْنُ الـشـمـس حـتـى عـشـيـنـهـا — وجـدت نـجـاء غـيـر نـكـدٍ ولاوج[9]

---

(1) قوله: فلما ذوت قردان درستها، إلخ. يعني لما يبس ضرعها وجف ما به من اللبن. وقوله: طوت على علّه يأساً. أي يئست من رجوعه مرة أخرى.

(2) قوله: فباتت على فرد أجم إلخ. على فرد: أي كثيب من الكثبان. وأجم: لا نبات عليه. وقوله: كأنها تلألؤ مقياس، يعني أنها براقة اللون. والمدلج: الساري.

(3) قوله: تقطع من عزف الفلا، إلخ. العزف والعزيف: صوت الجن. وهو جرس يسمع في المفاوز بالليل، والفلا: جمع فلاة، وهي القفر أو المفازة لا ماء فيها وجرر: جمع جرة وهو ما تخرجه من كرشها فتأكله ثانية.

(4) قوله: فتلقى: أي تطرح، ولفاظ: جمع لفاظة بالضم فيهما، وهو ما ترميه من فمها. واللغام زبد البعير الذي يرمى به، وهو في الظبية مجاز، ويوجد في بعض النسخ من لعاع ورجرج. واللعاع: نبت ناعم في أول ما يبدو، والرجرج بكسرتين: جمع رجرجة، وهي اللعاب. يقال فلان كثير الرجرجة: أي البراق.

(5) قوله: فلما سرى إلخ. أي فلما كشف عنها الصبح. الدجى: وهو جمع دجية، وهي الظلمة. وآنست سمعت. وذي طمرين. ذي ثوبين باليين. وملهج: مولع.

(6) قوله: أخي سبعة أو تسعة إلخ. أي هو أخو سبعة كلاب أو تسعة، وقد أعدها لأمثالها أي لأمثال هذه الظبية، والشهم: السريع النشيط القوي. والمحرج: الكلب المقلد بالحرج وهو الودعة.

(7) قوله: يحث ضراء أي كلا بالضراء من الضراوة، وكالحات: عابسات. وقداح: جمع قدح وهي أعواد الميسر، والمقبض الذي يفيضها، أي يرسلها ويدفعها. والمغاليق: أصله المغالق بغير ياء، ومفاعيل ومفاعل، وهي من نعوت القداح التي يكون لها الفوز وليست من أسمائها، وهي التي تعلق الحطر، فتوجبه للقامر الفائز كما يغلق الرهن لمستحقه.

(8) قوله: مصاريع وحش إلخ. أي تصرع الوحش كثيراً، وضاريات: من الضراوة، ومغار من الإغارة. وضراء: جمع ضار، وابن الأعوج: فالص مشهور.

(9) قوله: فما ذرّ قرن الشمس. إلخ. أي فما طلع. وجدت: اجتهدت في الجري ونجاء ما ناب عن المصدر من جدت، وغير نكد: غير نزر. والوجى: الذي به وجى، وهو أن =

فـألـقـت مـعـاً أرواقـهـا وتـمـطـرت | عـلى إثرها مستضرمات بعرفج[1]
فـأقـصـرت عـنـهـا بـعـد شـأوٍ مُـغـرّبٍ | ومرّتْ كمصباح السّماء المدَحْرج[2]
تـسـاقـطـن حَـسْـرى بـيـن وانٍ مـغـوَّرٍ | وكـابٍ بـمـكـنـون الـحـشـا مـتـضـرج[3]
تـأنـى إذا مـا شـبـت الـمـعـز نُـورُهـا | عـلى تـلـك أو هـيـق هـجـف هـزلـج[4]
أزج مـن الـزُّعـرِ الـظـنـابـيـب مُـعـرِسٍ | بـخـرجـاءَ هـوجـاء الـبُـرايـة عَـوْهَـج[5]
يـعـودان زُعـراً بـالـخـمـيـلـة دردقـاً | ومرْصُوص بَيْضٍ حولها لم ينتج[6]

= يرق الحافر أو الفرسق. أسند الوجى إلى النجاء، ومراده: الظبية نفسها.

(1) قوله: فألقت معاً أرواقها، إلخ. الأصل: فألقت أرواقها معاً، يعني: أنها بالغت في عدوها، ومعنى تمطرت: أسرعت. ومستضرمات: بمعنى مشتعلات. وهو حال من الضراء. والعرفج شجر سريع الاتقاد. شبه جري الكلاب به في سرعته ودوِيّ صوته.

(2) قوله: فاقصرن عنها إلخ. الشأو: الطلق. ومغرب: شديد. ومراده بمصباح السماء: النجم الذي سقط من السماء. والمدحرج المرمي.

(3) قوله: تساقطن تترى إلخ تساقط أي تساقطت: متتابعة. ووانٍ: من الونى وهو التعب، ومغور أي ساكن ليستريح. يقال: غور المسافر تغويراً: إذا نزل نصف النهار هنيهة ليستريح. وهذا المعنى مأخوذ من قول امرىء القيس يصف الكلاب والثور:

وغورن في ظل الغضا وتركه | كقرم الهجان النادر المتشمس

والكابي: الساقط، ومكنون مستور. والوتيق: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه ومضرج: ملطخ. وفي بعض النسخ مكنون الدماء.

(4) قوله: تأنى إذا ما شبت المعز، إلخ. شبت: أوقدت، والمعز: جمع معزاء. وهي الصخرة. ونورها جمع نار. وهو جمع غير مقيس لاعتلال عين المفرد. ومعناه وقت اشتداد الهاجرة، وعلى تلك: إشارة إلى الظبية المتقدمة. والهيق: الظليم. والهجف بكسر الهاء وفتح الجيم وشد الفاء: الظليم المسن، أو الجافي المستقل، وهزلج: كعملس غليظ.

(5) قوله: أزج من الزعر إلخ. الأزج من النعام البعيد الخطو، وقيل: الزجج في النعامة طول ساقيها وطول خطوها. والزعر: جمع أزعر وزعراء. المصدر: الزعر بالتحريك وهو في النعام. أن يقل شعره ويتفرق، وذلك إذا ذهبت أصول الشعر وبقي شكيره: قال علقمة: (كأنها خاضب زعر فوادمه... أجنى له باللوى شرى وتنوم). وهذا البيت نسبه تاج العروس إلى ذي الرمة. وكذلك لسان العرب. وهو غلط منهما؛ والظنابيب: جمع ظنبوب بالضم، وهو حرف الساق من قدم بضمتين، أو هو ظاهر الساق أو عظمه والخرجاء: هي التي لون سوادها أكثر من بياضها كلون الرماد، وهوجاء من الهوج. وأصله الطيش والتسرع، وأصل البراية بالضم: النحاتة. ويقال: ذات براية. أي ذات شحم ولحم، أو ذات بقاء على السير، وقيل: هي قوية عند برى السير إياها. وهذا الأخير أنسب، لأنه يقول: إنها باقية على برى السير إياها والعوهج: الطويلة العنق من الظلمان.

(6) قوله: يعودان. أي الظليم والنعامة. وزعر تقدم تفسيره آنفاً، والخميلة المنهبط من الأرض. أو رملة تنبت الشجر: والدردق كجعفر: أولاد النعام، وأكثر ما يستعمل في

يَظلاّنِ في آءٍ وشرى طباهما	بأفرح من أدى الرواعد أدعج[1]
تزايله طوراً وتأوى فأمسيا	بمنزحٍ والشمْسُ بالمتعرج[2]
فهاجهما جُنحَ الظلام أدكاره	فرقا له في أنفِ نكباءَ سيهج[3]
وقد أصحب القومَ الكريمَ نجارُهم	وخيمهم من كل أروع معنج[4]
يحوط المداعي والمساعي مُرُزءٌ	تقيٌّ تقيُّ اللون غير مُزلج[5]
عليه قبول يغمر الحيّ سيبُهُ	إذا لم يكن في الحي ملجأ لملتج[6]
كرام صفت أخلاتهم وتمحضت	وليس الصريح المحضُ مثل الممزّج[7]
أولئك أخداني فأصبحت بعدهم	أسايرُ خلقا نهجهم غير منهج[8]
يرون جميلاً ما أتوا من قبيحهم	فيا للإله للسفاه المروّج

الأطفال. ومرصوص البيض. الذي بعضه فوق. ولم ينتج: لم يفلق بعد.

(1) قوله: يظلان في آءٍ وشرى. إلخ. التثنية عائدة على الظليم والنعامة. والآء كالعاع: تمر السرح على الصحيح. ويسميه أهل الصحراء العنب، بكسر العين وسكون النون والباء. والشرى: الحنظل أو شجره. وطباهما: دعاهما. والأفرح: المكان الذي في وسطه نوارة بيضاء، أو الذي بدأ نبته. والآرى من السحاب. وأدعج: أسود، وهو أكثر ماء من غيره.

(2) قوله: تزايله، أن تزايل الظليم تارة، وتأوي إليه أخرى. وبمنتزح: بمكان نازح. وقوله والشمس بالمتعرج: جملة حالية، معناه أنها جنحت للغروب.

(3) قوله: فهاجهما أي حركهما، وجنح الظلاء: وقت جنوح الشمس للغروب. وأدكار: تذكره، والضمير للبيض. وزفا: أي فأسرعا. وفي أنت نكباء: أي في أول ريح نكباء. وهي التي تهب من ريحين وسيهج: شديدة.

(4) قوله: قد أصحب القوم. إلخ. النجار: الأصل. والجيم ـ بالكسر ـ السجية والطبيعة والأروع: الذي يروعك بجماله. والمعنج كمنبر: المتعرض للأمور.

(5) قوله: يحوط المساعي إلخ. المساعي: جمع مسعاة. وهي المكرمة والمعلاة، والمداعي جمع مدعاة وهي في الأصل الدعوة إلى الطعام. ومراده أنه يطعم الناس ويقري الضيوف. ومرزء: كثير الرزء في ماله. ونقى العرض: لم يفعل ما يذم بسببه والمزلج: الملصق بالقوم وليس منهم. وقيل: هو المدعي، ويقال الذي ليس بتام الحزم وللناقص الضعف، وللناقص الخلق، مزلج وقيل هو الدون من كل شيء.

(6) قوله: يغمر الناس، أي يعمهم وسيبه: عطاؤه.

(7) قوله: صفت أخلاقهم وتمحضت: أي خلصت. والممزج: المشوب.

(8) قوله: أولئك أخداني. إلخ. الأخدان: الأصحاب والخلف ـ بالفتح والسكون ـ للأشرار والخلف بالتحريك: ضده.

يقول الشماخ بن ضرار الغطفاني:

وداويَّة قفر تمشَّى نعاجُها كمشيِ النصارى في خِفافِ اليَرندج[1]
قطعتُ إلى معروفها منكراتها إذا خبَّ آلُ الأمعز المتوهج[2]
وأدماءَ حُرجوجُ تعاللت موهناً بسوْطيَ فأرمدت فقلت لها عج[3]
إذا عبج منها بالجديل ثنت له جراناً كخوط الخيزران الممؤَج[4]
وإن فترت بعد الهباب ذعرتها بأسمر شختٍ ذابل الصدر مدرج[5]
كأن على أكسائها من لُغامها وخيفة خطمى بماءٍ مبحزج[6]

---

(1) قوله: وداوية: أي رب داوية وهي الفلاة الواسعة الأطراف. والقفر: المفازة لا ماء فيها ولا نبات، وتمشي: أصلها تتمشى، والنعاج: جمع نعجة وهي بقرة الوحش، والخفاف: جمع خف، وهو ما يلبس في الرجل. واليرندج: شبه أسوق النعام في سوادها بخفاف الأرندج، وهو الجلد الأسود وخصّ بها النصارى لأنهم معروفون بلباسها.

(2) قطعت: حبث. وهو جواب ربّ، مع أن سيبويه استشهد بالبيت في حذف جواب ربّ، لأنه سمع البيت وحده ممن أنشده مفرده، ومعروفها: ما يعرف منها، ومنكراتها: ما ينكر لعدم معرفته، وخبّ: اضطرب، والآل: السراب أو هو خاص بما في أول النهار، والأمعز: المكان الغليظ الذي به حصى، والمتوهج: من الوهج أو التوهج وهو حرارة الشمس أو النار من بعيد.

(3) قوله: وأدماء: أي ربّ ناقة أدماء، أي في لونها أدمة بالضم، وهي في الإبل لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح، والحرجوج: بالضم الناقة السمينة الجسيمة. وقيل غير ذلك، وجمعها حراجيج، وتعاللت: أخرجت ما عندها من السير، والموهن: نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه، وأرمدت: من الارمداد وهي سرعة السير، وعج: أمر من عاج بالمكان إذا عطف عليه.

(4) قوله: إذا عيج، إذا عطف. والجديل: الزمام المحكم الفتل. وثنت: عطفت، وجران البعير بالكسر: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره، جمعه جرن ككتب وأجرنه، والخطوط بالضم: الغصن الناعم، والخيزران بضم الزاي: شجر هندي، ولا ينبت بأرض العرب، وإنما ينبت ببلاد الروم.

(5) الفتور: السكوت بعد حدة، ولين بعد شدة، والهباب بالكسر: النشاط، وذعرتها: أفزعتها. والاسم الذعر بالضم. والأسمر: السوط الذي في لونه سمرة، والشخت: الصلب الشديد. والذابل: اليابس.

(6) الأكساء: النواحي.. واحدها كسى. وهو مؤخر العجز. وقيل مؤخر كل شيء. ولغامها: زبدها، والوخيفة: ما أوخفته أو ضربته، والخطمي: نبات معروف له رغوة يغسل به الثياب، والمبحزج: الماء المغلي النهاية في الحر، شبه لغامها برغوة الخطمي.

يقول الشاعر امحمد بن الطالب اليعقوبي الشنقيطي في قصيد طويل:

فلست بناس يوم ولت جمالهم   وسال بهن الفج بالظعن عوما
هجائن بيض من عقائل عامر   جمعن إلى الأحساب حُسْناً وميسما
تخيرن للأحداج كل منوّق   من البزل نعماً قيسراً عثمثما
يزيف بمبهاج كأن مروطها   تخال برثم من عشيواء أرثما
جعلن على الأحداج خملا وكلّة   وعالين رقماً عبقرياً منمنما
تضلّ عتاق الطير في كل رحلة   إليه مديمات عكوف وحوّما
كأن العيون اللامحات إذا بدا   تمج عليه أرجوانا وعندما
فلم أرَ يوماً كان أحسن منظرا   وأهوى هوى يقتاد صبّاً متيما
وآنس أنساً لو يرام مناله   والهي لهيًّا للصديق وأصرما
ولله عينا من رأى مثل سيرها   إذا رجّع الحادي بهن وهمهما[1]
سَلَكنَ جِواءَ الفجُّ ثم تطلعت   من الصخرة البيضاء نجداً مُهَضَّما[2]
جَعَلْنَ قَنان الوُطسِ نَصب عُيونِها   وكان لهُنَّ الوطس قدما مُيمَّما[3]
ويامن عن نجدِ الغريرْ وياسرت   عن الأبق نُكباً سيرها لن يُثمثَما[4]
فحلَّتْ ببطن الأتو مُسياً وما به   علاق فبات الظهر حَدْبا مُزمَّما[5]
وأنكرن يخبطن الجفاجف غدوةً   كإصرام عيدان أنّى أن تصرَّما[6]

---

(1) الترجيع ترديد الصوت في الحلق. والهمهمة تطريب الحادي للإبل بصوته لتسرع.

(2) قوله: سلكن جواد الفج. الجواد: كجبال، جمع جو. وهو ما انخفض من الأرض.

(3) القنان: جمع قنة. وهي أعلى الجبل، والوطس: جبال معروفة. وأفرد الضمير باعتبار لفظ الجمع أي كان لهن أماكن الوطس. ولو أنث كان أحسن.

(4) يامن: سار عن يمينه، والنجد: ما ارتفع من الأرض، والغوير: موضع بعينه. ومعنى ياسرت سلكت عن يسار، والأبق فيما يظهر: اسم موضع، ونكباً: جمع نكباء، وهي التي بها نكب بالتحريك ولم يثمثم: لم يتروح قليلاً.

(5) حلت: نزلت، والأتو. بالضم: موضع بعينه. والعلاق جمع علاقة كسحاب وسحابة وهو ما تتبلغ به الماشية من الشجر، والظهر: الركاب التي تحمل الأثقال في السفر على ظهورها. وحدباً: أي مناخة معقلة، ومزمماً: مجحولة فيه أزمته من شدة الجدب.

(6) قوله: وابكرن. . إلخ. الضمير للظعائن، ويخبطن: يسرن على غير هدى، والجفاجف: جمع جفجف وهي الأرض المرتفعة ليست بالغليظة. والأصرام: مصدر أصرم. أي حان أن يصرم. وأصله للنخل، فاستعاره للعيدان. وأنى: بمعنى حان، وأن تصرم: أن تقطع، يقال تصرم أي تقطع.

فالوت على الكنوين من نسج سدوها ... هجيراً برأى تحكم النسج اقْتَما[1]

يحاولن بالسَّبع الأضيّات مشربا ... من الغُدرِ أو عينا بجلواء عيلما[2]

وروضاً بأكناف الأماكر زاهراً ... قد أرزم فيه الرعد سبتاً وزمزما[3]

فألقت عِصيَّ السير فيه وخيَّمت ... بحيثُ بعاعُ المزن سَحَّ وخيَّما[4]

عسى الله يُدني بعد مزارهم ... فيأنس صَبٌّ بعد حُزنٍ وينعما

فهل تُبلغينهم نجائب وُخد ... شوازِبُ لا يبقين لليل محرما[5]

نجائب يحدوها سُرًى وتَهجُّر ... يُبَارِي بها الدوُّ النَّعامَ المخزَّما[6]

نجائب لا يُعظِمنَ للهول كلما ... تغولُ مجهول التنائف مُعْظما[7]

تخيَّرتُ منها لاهتمامي عرندساً ... يُخالُ على الترحالِ والحل مُقرما[8]

---

(1) ألوت: انعطفت. والكنوين: موضعين. والنسج معروف. والمراد شحمها الذي نسجت منه أسنمتها وأضافه إلى السدو، وهو أن ترعى مهملة. يقال ناقة سدى. أي مهملة وهجيراً: وقت الهاجرة. وبرأى محكم النسج: أي برأى مصمم. والأقتم في الأصل: الأسود والمراد أن هذا الرأي الذي ارتكبت في سيرها، أسود لما يؤدى إليه من ارتكاب المشاق.

(2) يحاولن: هو من المحاولة، والأضيات: جمع أضات، مسمى به وأصله: الأضيات السبع. فتقدم النعت، فصار المنعوت بدلاً منه. والغدر: جمع غدير وهو قطعة من الماء يغادرها السيل، والعين: مصب ماء القناة، وهي كظيمة تحفر في الأرض تجري بها المياه، وجلواء: اسم موضع. والعيلم: الماء الذي عليه الأرض، وقيل الذي علته الأرض وهو المندفن.

(3) الروض: معروف، والأكناف: النواحي، والأماكر: مواضع، وزاهر: به الأزهار، وأرزم صوت صوتاً شديداً، أو زمزم بمعناه.

(4) الضمير في ألقت، للظعن، يعني أنها أقامت به، وبعاع المزن: ثقلة. وسح: صب الماء متتابعاً، وخيم: أقام. وقد غالطه بعض العلماء في هذا البيت، وقال إن حيث يشترط في إضافتها إلى الجملة الاسمية، أن لا يكون عجزها فعلاً ماضياً، وهو سهو، لأن ذلك في إذ، وذلك الشرط في إذ، إنما هو شرط استحسان فقط.

(5) قوله: فهل تبلغينهم... إلخ. الوخد: جمع واخدة من الوخد، وهو الاسراع، وشوازب جمع شازب وشازبة، بمعنى ضامر وضامرة، ولا يبقين لليل محرما: أي حرمة.

(6) قوله: نجائب يحدوها، أي يسقوها، والدو: الفلاة، والنعام: معروف، والمخزم: الذي جعلت في آنافه الخزائم.

(7) قوله: نجائب لا يعظمن.. إلخ. أي لا يرنيه عظيماً لقوتهن على السير فيه، وتغول تلون على سالكه، المجهول: الذي لا يعلم، والتنائف: جمع تنوفة. وهي الأرض الواسعة البعيدة الأطراف، ومعظم: ما يعظمه من رآه لصعوبته وهو مفعول به ليعظمن.

(8) تخيرت: اخترت. ولاهتمامي: أي لما أهتم به. والعرندس من الإبل: الشديد. ويخال: =

بُـوَيْـزِلُ عـامٍ كـالـمَـصَـادِ عُـذافِرٌ كـأنَّ عـلـيـه خِـدْرَ حِـدْجٍ مُـخـيِّـمـا[1]

ذِفَـرٌ خَـرُوسٌ لَـوْ تُـولـى لـرَحْـلِـهِ بـحـدِّ الـمـواسـي ذَمَّ أن يـتـزغـمـا[2]

كـأنـي أداري إذ عـلـوت قـتـودهُ بـه أبـلـق الـكـشـحـين جـأباً مكـدمـا[3]

قـويـرحُ عـامٍ أو ربـاع خـلالـه مـجـرٌ بـحـنَّـانٍ مـن الـدلـو أسـحـمـا[4]

كـأن ربـاه والـهـجـول تـجـلَّـلـت زرابـيّ أو وشـيـاً يـمـسـانِ مُـسَـهَّـمـا[5]

يـديـن بـه حـقِـبٌ سـمـاحـيـج بـاكـرت لـمـع تـنـاهـى روضـه حـيـن وشّـمـا[6]

كـأن صُـرَخ الـمـسـتـغـيـث سـحـيـلـه بـكـل صـبـاح غـيـر أن كـان أعـجـمـا[7]

يـدنّ لـه حـتـى قـريـن ذُنـابـهُ وأحـسـن لِـقـحـاً عـن حـيـال مُـكـتَّـمـا[8]

وقـد جـعـلـت لـيَّـا بـأذنـابـهـا لـه إلى السلم من بعد المناورات سُلَّمَا[9]

يـحـوزهـا فـي كـل فـج كـأنـهـا وسيقة ناج من عِدّى نال مغنما[10]

يصف الشاعر ناقته وجريها وسنها فهي قارح لسنة أو رباع، وإنها تشبه حمار الوحش الذي يشبه نهيقه نداء المستغيث في الصحراء يسوق أمامه مجموعة من الأتن رفعت ذنابها مستسلمة له وهو يسوقها أمامه كأنه ناج ساق غنيمة أمامه.



= يظن. والترحال: الرحيل. والمقرم: الذي ترك للفحالة ولم يمتهن.

(1) بويزل: تصغير بازل. وهو الذي بزل نابه، أي طلع، وذلك أكمل ما يكون ومعنى بازل عام: أنه بزل منذ سنة. والمصاد: الجبل. وعذافر: عظيم شديد. ومعنى كان عليه خدر حدج مخيما: أنه عظيم السنام.

(2) قوله: ذفر خروس.. إلخ. الذفر: عظيم الذفرى، وهو العظم الشاخص خلف الأذن، وخروس: لا يسمع له رغاء، والمواس: جمع موسى الحديد، وزم: تكبر. وأن يتزغم: أن يردد رغاءه في لهازعه.

يظل رقيباً حولهن كأنه ... رُبَيٌ علا من ميفع متسنّما
فلما جرت هيف الجنائب بالسّقا ... وأيقن أن الجزء فيه تصرّما
ولوّحها هيج السموم وسومها ... فظلَّت صفونا بالظواهر صيّما
توضّ بها عيناً روى قد تعوّدت ... بها الريّ قِدما بالمصائف مَعْلَما
فشَجّ بها الحزّان شجّا كأنما ... تشبُّ على الحزّان غاباً مضرّمَا
أو أزوَح هيقاً خاضباً متروحاً ... يبادرُ أغوال العشي مصلّمَا
تهيّج للأدحيّ من نازح غدا ... يجول له في يوم ريح تغيّما
فلما دنا الإمسَاء والشمس حيّةٌ ... تذكر أقواباً وقيضاً محطّما
تحطّم عن زعر القوادم خُرّقٍ ... كمثل أروم من حُليٍّ تجرثما

والشاعر هنا يصف ناقته بأنها مثل حمار الوحش الذي كان يقود أتانه في المرعى المعشوشب حتى إذا ما أقبل الصيف وصافت الأعشاب قصد بها عينا جارية سبق له أن ارتوى بمائها في سنوات سابقة.

ثم يصفها بأنها كذكر النعام الذي تذكر فراخه عند المساء فأسرع إليها قاطعاً المسافات الشاسعة.

ولعل الشاعر (طرفة بن العبد) أشهر من أن يعرّف في وصف ناقته (المهرية) التي امتطاها ليصل إليها إلى مقصده. يقول طرفة:

وإنّي لأمضي الهم عند احتضاره ... بعوجاء مرقالٍ تروح وتغتدي[1]
لها فخذان أكمل الخض فيهما ... كأنهما بابا منيف ممرد[2]
وطي محالٍ كالحفي خلوفه ... وأجرنة لزّتْ بدأي منضد[3]
لها مرفقان أفتلان كأنما ... تمر بسلمَيْ دالجٍ متشدد[4]
كقنطرة الرومي أقسم ربها ... لتكتنفن حتى تشاد بقرمد[5]

---

(1) إذا أدركني الهم تخلصت منه بناقة ضامرة سريعة الركض تصل الليل بالنهار.

(2) أكتنز لحم فخذيها حتى كأنهما مصراعا باب قصر عال أملس.

(3) وفقرات ظهرها (محال) مطوية متراصفة، وضلوعها كالقوس، وعنقها مضموم الفقرات (كناية عن قوته) الخلوف: الضلوع، والحني جمع حنية: القوس. والمحال: جمع محالة: فقرة الظهر. والأجرنة: جمع جران باطن العنق. .

(4) ومرفقاها قويان متباعدان عن جنبيها كبعد دلوي ناقل الماء الشديد القوي.

(5) شبه الناقة في علوها ومتانتها بقنطرة الرومي التي بنيت جوانبها بالقرميد.

صهابية العتنون مؤجدة القرا بعيدة وخد الرِّجْل موّارة اليد[1]

أمرّت يداها فتل شزر وأضحت لها عضداها في سقيف مسنّد[2]

جنوح دفاق، عندلٍ ثم أفرعت لها كتفاها في معالي مصعّد[3]

كأن علوب النسعِ في دأياتها موارد من خلقاء في ظهر قردد[4]

تلاقى وأحياناً تبين كأنها بنائق غر في قميص مقدد[5]

واتلع نهّاضٍ إذا صعدت به كسكان بوصي بدجلة مصعد[6]

وجمجمة مثل العلاة كأنما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد[7]

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر كسبت اليماني قدّه لم يجرد[8]

ويستمر طرفه في وصف ناقته إلى أن يصل إلى قوله واصفاً طاعتها له:

وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافة ملوي من القدِّ محصد[9]

وإن شئت سامى واسط الكور رأسها وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد[10]

أحلت عليها بالقطيع فأجذمت وقد خبّ آل الأمعز المتوقد[11]

---

(1) شعر لحييها أحمر في بياض قوية الظهر (مؤجدة القرا) خطواتها واسعة، وحركة يديها سريعة.

(2) أمرت: الأمرار أحكام الفتل، ويقول: أحكت يداها كفتل الشزر وهو الفتل من أسفل الكف إلى أعلى، وهو أقوى أنواع الفتل، وعضداها أميلتا (أجنحت) أي إن عضديها بعيدان عن كلكلها. وقوله في سقيف مسند يعني أن عضديها تحت سقف قوي أسندت لبناته إلى بعضها، ويقصد به زور الناقة.

(3) كبيرة الرأس، فارعة الطول، عالية الكتفين، تتدفق في سيرها نشاطاً.

(4) كأن آثار النسع (السير الذي يربط الرحل مشدوداً بالضلوع). كآثار المياه المنحدر من صخرة ملساء في أرض غليظة.

(5) تتلاقى أحياناً وتتباعد أخرى كأنها قطع من نسيج أبيض في قميص شق ووصل (أي رقع).

(6) وعنقها الطويل إذا رفعته كأنه دفة سفينة مصعّدة في دجلة.

(7) ورأسها كالعلاة (السندان) وكل ملتقى بين فصائل الرأس كحرف المبرد.

(8) وخدها أملس كقرطاس الشامي (المقصود أهل الكتاب) ومشفرها كجلد البقر اليماني المدبوغ بالقرظ مع لين شعره واستقامة قطعه.

(9) فإن شئت سيرتها على مهل. وإن شئت أرقلت أي ركضت خوف السوط.

(10) وإن شئت شددت رأسها حتى يسامت وسط الرحل وسبحت بعضديها مسرعة كإسراع ذكر النعام.

(11) صبيت عليها ضربات السوط فأسرعت في أرض خشنة شديدة الحرارة مضطربة السراب.

فـذالـت كـمـا ذالـت ولـيـدة مـجـلـس   تُـري ربـهـا أذيـال سـحـل مـمـدد[1]

ويقول الشاعر أبو دؤاد الإيادي يصف إبله التي يفاخر بجودة مرعاها وتمام صـحـتـهـا.

إبـلـي الإبـل لا يـحـوّزهـا الـرا   عـون مـجُّ الـنـدى عـلـيـهـا الـمـدام

سـمـنـت فـاسـتـحـش أكـرعـهـا   لا الـنـي نـيٌّ ولا الـسـنـام سـنـام

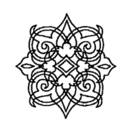
فـإذا أقـبـلـت تـقـول: أكـام   مـشـرفـات بـيـن الأكـام أكـام

وإذا أعـرضـت تـقـول: قـصـور   مـن سـمـاهـيـج فـوقـهـا آطـام

وإذا مـا فـجـئـتـهـا بـطـن غـيـث   قـلـت: نـخـل قـد حـان مـنـهـا صـرام

فـهـي كـالـبـيـض فـي الأداحـي مـا يـو   هـب مـنـهـا لـمـسـتـتـم عـصـام

فهي إبل لا يسوقها الرعاة السير الشطط، سمنت وبذلك ظهرت أرجلها رقيقة للرأي وعظم سنامها، فإن أقبلت تراها كالهضاب، وإن استعرضت تراها كالقصور، وإذا ما سارت مجتمعة فهي كالنخل المثمر. وهي مصونة كالبيض خوف إيذائها.



(1) فماست في سيرها كجارية رقصت أمام سيدها جارّة ذيل ثوبها الأبيض.

الإبل في الشعر الشعبي

الشعراء الشعبيون في مختلف بقاع الوطن العربي، هم ألصق الجميع بالإبل وتربيتها ومعاشرتها. ولهذا نراهم يخلدونها في قصائد مطولة يصفونها فيها ويمتدحون طباعها وأهميتها، ويتحدثون عن طريقة الاهتمام بها. وقد سمعت في صغري قصيداً لشاعر شعبي يتمنى جملاً يريد الذهاب عليه للحج. ويصف ذلك الجمل، بأنه طويل الرقبة، غليظ الركبتين، صغير الأخفاف، طويل الأذرع، طويل الذروة، سمن في مرابع هطول الأمطار، واصطاف يشرب من عين عذبة. وعند الخريف وجده صاحبه فكاد لا يعرفه من تغير لونه وسمنه وقوته. فوضع الرسن في رأسه، وقاده حيث وضع عليه الرحل والزاد والشراب، وتوجه ضمن الركب لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بالصبر وإلا بامتطاء مثل هذا الجمل. ولم يعلق بذاكرتي إلا مطلع القصيد الذي يقول:

الـلـه وعـلـم لاصـيـت جـمـل   عـلـيـه قـبـر الـهـادي نـوصـل

وقد استمعت أيضاً لتسجيل لقصيد رائع للشاعر التونسي محمد الطويل المرزوقي من قبيلة المرازيق المشهورة بتربية الإبل، يذكر فيه محاسن الجمل وشروط جماله وقوته، كما ذكرها أيضاً أغلب الشعراء الشعبيين، وتغنوا بمعاركها وطرق استياقها ولحوق أهلها للسائقين، ونشوب المعركة وإرجاع الإبل والزغاريد التي تسمع للدلالة على الانتصار، والطبل الذي يُقرع للفزع.

وقد خلّد الموسيقيون الشعبيون هذه الطريقة لحناً على آلة (المقرونة) ويسمونها (طريق البل) فتسمع في اللحن صراخ الراعي، وحوافر الخيل، وضرب الطبل، وفزع الفرسان، وأصوات الرصاص، والهاجاه حيث يقول المهاجي:

هـوكـا بـغـوهـا وأهـلـهـا مـايـابـوا   سـود الـمـنـاسـم دونـهـا نـتـنـابـوا

وأخيراً الزغاريد وإرجاع الإبل ورغاؤها أثناء إناختها، وصراخ النسوة على الأموات. كل هذا يسمع في لحن المقرونة في طريق البل. وقد خلدها أيضاً الشعراء الشعبيون شعراً. ولنذكر في هذه المناسبة قصيداً للشاعر الشعبي عبد المطلب الجماعي الذي

يتحدث عن الإبل وما تحتاج إليه من عز وفروسية، وفرسان يحمون طوارفها من الاغارة.

يقول الشاعر عبد المطلب الجماعي في قصيدة بعنوان (الإبل) المنشورة في كتاب (ديوان الشعر الشعبي)، المجلد الأول كلية الآداب ـ لجنة جمع التراث.

البل تعز النفس وأنعم بيها — وهي عزها بالخيل تتبع فيها

*

عز وهيبة — وهي عزها غاشي كثير سبيبه[1]
وفارس اليافرّغ يعوق طليبه — ما هو عجولي مليّته يخليها[2]
بارود تاناكه اللي مالي به — وحاره على المرواس درّجْ فيها[3]
وصوّانته خبطت بعد تركيبه — على حفرة البرمه حجر ساقيها
وزناده الياهيّف يدير لهيبه — هشيمة أجداري والهوا زاويها
وجت سابقة تصرد اتقول نحيبه — بعيد شاوْها شاشت يهدّي فيها[4]
وهو فوقها عنده طلب شاقى به — ماهوش ناسي له زمان يبيها
وقصّر القدّامي وخب خبيبه — والخيل الجنازة ما يجودن بيها
رشق مرافقه تم البعيد قريبه — وفي يْديه شد اللّي المَقَل خاطيها
وجا غاط منظاره تقول نشيبه — على صارم القصعة المتكفُّيها[5]
وله لخقاته بالخطا اللّبيبة — وخضته كما خضّت الرايب بيها[6]
لهب بوكراسي ساهل التهليبه — هيّف على المشطة زقر داويها
وضربه وين مضرابه يكيد طبيبه — منين قصّرن لكتاف في جواجيها[7]
وحذّر على راسه تقول صليبه — وجا للوطا داهش ومو واعيها

---

(1) الغاشي: كثرة الناس والنجوع. وسبيبه: خيله.
(2) اليافرّغ: إذا أطلق النار. يعوق طليبه: يقتل منافسه.
(3) يصف الشاعر في هذا البيت وفي الأبيات التي تليه بندقية (أبو صوانه) وهي بندقية كانت أيام العهد التركي، تملأ بالرصاص من فوهتها، وكذلك البارود. وتوضع تحت ذلك حجرة صوانة، عندما يصيبها الزناد تقدح الشرر فتنطلق البندقية.
(4) النحيبة: الغزالة التي تقود قطيع الغزلان يصف بها الفرس.
(5) الصارم: خياط يربط نصفي قصعة السرج.
(6) شبه الشاعر القتيل بشكوة اللبن التي همزها الماخض.
(7) يرى الشاعر أن العدو هارب، وبذلك جاءته الضربة من الخلف.

وجاب السلاح وعودته الكليبه تروّح وراه وهو يقوّد فيها[1]
متنوعة تحلف عروس عجيبه بعد سبّعت زارت بما كاسيها[2]

*

تعز ديماديما وهي عزها قادر وفيه صريمه
عوجه وعوج أرقاب موش سقيمه وإن زال العوج ديما يحاذي فيها[3]
شومه امتاعت شوم ميش سليمه المواعيد ديما خاربات عليها

*

الميعاد ديما خاربات اوجوهه ويسير الخطا والفتن لاخزُوها[4]
وهي شعرة منخر وين ماسلُوها تجّرى شراب العين تدمع بيها
وهذى اسماها ع البلا سمُّوها مْغير اسمها بالجزم جا خاطيها[5]

*

عز الخايف وهي عزها سُبّق اسماح رهايف
يجن كيف عقدان القطا الولايف لانق خالي الجوف زوّم فيها[6]
مشاهير هلها والذيول عكايف محاسير جْوا شيّابها وصبيها
محاسير حتى الشايب وناقلين نية الموت في أم جنايب[7]
والشايب وهو ع الخيل ما هو شايب هن ركبته والعين يشيح بيها
عليهن يصلّبها مثيل الخايب عليه فرض لازم حقها يعطيها
والشايب اليامامات في ام جنايب حياته زهيدة ويش لله بيها[8]

*

(1) يصف الشاعر عودة الفارس صاحب الإبل بعد أن أرجع إبله وقتل سائقها ورجع بسلاحه، ويقود فرس القتيل.
(2) يصف الشاعر جمال الفرس المغنومة، فوصفها كالعروس التي أتمت أسبوعها الأول، وجاءت لأهلها في زيارة بكل زينتها، وبكل لباسها وحليها.
(3) يقول الشاعر إن الإبل عوجاء العراقيب وعوجاء الرقاب، وما يزال الاعوجاج يرافقها.
(4) يقول الشاعر إن الاجتماعات دائماً تخربها الإبل بمشاكلها.
(5) يقول الشاعر إن اسمها مشتق من (البلاء).
(6) نق خاوي الجوف: يقصد الشاعر الطبل الذي يقرع للفزع.
(7) أم جنايب: الإبل.
(8) يرى الشاعران الشيخ الكبير إذا ما لم يقتل في الإبل فحياته لا قيمة لها.

عـــــز الــــــــهـــــــارب وهـي عـزهـا سُبّق اتـجي تـتقـارب
وغـاشي كبيره شيخ ما هو خايب قـبـل حـجـتـه كُـلّـه ايـتّـبـع فـيـهـا[1]
اطبولـته ايزومـن م العـقال الضـارب يـدوّن كـمـا دي الـرعـود شـبـيـهـا[2]
فيه تسعمية خيل وألف امضارب ونـازل ضـفـايـف كـل حـد فـي جـيـهـه
هـذول مـنـيـة شـايـبـة لـغـوارب وهـذول هـم هـلـهـا الـلي تـحـمـيـهـا[3]

*

الـــعـــز كـــحـــيـــلـــه[4] وهـي عـزهـا فـي نـجـع واجـد خـيـلـه
إن صـار لـمـعـيّـط مـاتـفـوت جـفـيـلـه مـا يـلـزهـا نـيـن يـخـرق راعـيـهـا[5]
ايـجـنـهـا سـرايـا دايـرات ولـيـلـه صـقـوره عـلى قُـرّح سـمـاح نـصـيـهـا[6]

*

اصـقـوره عـلى قـرّح اسـمـاح تـلايـل وقـافـلات مـاهـن بـاطـلات نـجـايـل
غـزيـات جـنـهـا مـن بـعـيـد خـوايـل يْـبـنـهـا ولـقـيـن عـنـدهـا هـالـيـهـا[7]
وتـمـنّ عـلـيـهـا سـايـرات هـوايـل ويـارود يـفـقـص مـن جـعـب قـاديـهـا
وكـم طـفـل مـنـهـم طـاح دمّـه سـايـل سـقـط سـقـطـت الـعـرجـون مـن عـالـيـهـا

*

سقطت سقطت العرجون م اللي راقى مـن حَـب يـبـذْرم الـجـعـب صـرفـاقـي
ولـجـواد خـوف الـسـب فـيـه تْـتّـاقـى فـيـن الْـوطـا حـمْـيـت عـلى واطـيـهـا[8]

---

(1) نجع كبير، وشيخه عاقل.
(2) يشبه الشاعر طبول هذا النجع كرزيم الرعود، وبه تسعمائة مقاتل وألف خيمة.
(3) شايبة الغوارب: الإبل، لبياض غواربها من الحمول.
(4) كحيله: من أسماء الإبل، يطلق عليها لسواد عينيها.
(5) لمعيّط: صراخ الراعي ساعة استياقها.
(6) قرّح: خيول متقدمة في السن ومجرية في الحرب.
(7) يصف الشاعر في هذا البيت وما بعده من أبيات الخيل التي قدمت من مكان بعيد لاستياق الإبل، ولكنها وجدت أهلها متواجدين ومستعدين للحرب. فاشتبكت المعركة وتساقط الفرسان كعراجين النخيل المتقطعة.
(8) الشجعان يخافون الشتم فيتقدمون.

وميدان محسر ما اهناك امتاقى   والذلآل ما عنده عذار لقيها[1]

*

عـــز وخـــيـــره   وهي عزها قادر شلوق مسيره
جواد كالفه مولاه موش جشيره   مضيّع صوابه نورته طافيها[2]
يجى بيه يبلع كان صار مغيره   فجوج الخلا في ساعته يطويها
إن حسّ اللّيَنْ يقفز يمزّق ديره   لولا الشريحة عدّته يرميها[3]
والا شلوق اتطير كيف الطيره   لاي حارزه لامهر يرضع فيها[4]
عابي على النوفه وع التّدبيره   سيدها الثنا والصيت يسعى فيها
وغنايا على البل راه غير نذيره   على سوْها والشُّوم ديما فيها
وراه كل ما قلته صحيح اتْديره   في ما مضى وأخرى جديد يجيها
ان صارت الذّبّة ما تجي بالشيره   ولاي بغايةَ اللي قال ما نبغيها[5]
وتبقى البل كيف السّدا والنّيره   يِمْشَن بنات الريح ويجن بيها[6]
ويبقى يفتّح عاد كل شفيره   هاناك جيب الخيل له يشريها

*

عـــز الـــبـــايـــر   وهي عزها سُبّق اتجى تسّاير
ووين ما يقولوا صار والاصاير   وثوّب رقيق النبغ في عاليها[7]
يجنها سرايا دايرات مراير   على كل مكرومه سماح يديها
على كل مكرومه عريض كفلها   ومطبّقه من لربعه بانعلها

---

(1) أما الجبان فإنه لم يجد عذراً يتقي به، لأن ميدان المعركة في أرض براح.
(2) يصف الجواد الذي أطعمه صاحبه ولم يبخل عليه بالطعام.
(3) يصف سرعة الجواد إذ لولى الحزام وقوته يسقط سرجه من سرعة العدو.
(4) كما يصف الفرس اللاحقة، فهي أيضاً ليست حارزة (حامل) ولا يرضعها مهر فيضعفها.
(5) إذا صارت المعركة ليست باختيار أحد، ولا برغبة من لا يرغب فيها، فالجميع فيها سواء.
(6) يصف الإبل أثناء المعركة تجيء وتروح كسدا النول ونيرته.
(7) رقيق النبغ في عاليها: التراب الذي يقذف به الراعي في مكان مرتفع ليشعر أهل الإبل أن إبلهم استاقها العدو.

ما هو على كيل المرا تاكلها — تكمّل عقاب الليل ويعشّيها[1]
عليه غاليه كيف زوجته حافلها — كل وحدةً في نوعها حاضيها[2]
هذي بْعِدّه والبب قزْولها — وعاد منية الخاطر اللي يبغيها
وهذيك في كرمود فوق جملها — دوب مايزازي بالبتات وبيها
بنت بيتٍ من منسل مليح نسلها — ماهي نجيله ضالّه لاقيها
بهيّة اوصاف وكمّلت بعملها — عشيرة هنا للجوز ومهنيها
يروحّ عليها صقر في منزلها — وافى الطبايع عينها ماليها

*

يعزوا هلها — وهي عزها شقرا اسماح حجلها
وفي ظهرها شملول يوم وحلها — يزم راسها في وسطهن يرميها[3]
وفي ليد جوهر قاصده ناقلها — ان ناض بخشها لا بد يخلّف بيها[4]

*

ان ناض بخشها ضرّابه — فيدطفل دامي ع البلا واعطابه
دوم الفخر سابق عليه اصحابه — يجيب الفرس ماله مغالط فيها
تحته شلوقه جيْده مطرابه — لايجا ملنها لا يطقّن فيها[5]
تجى بالعَصَرْ ما يلومها بركابه — وتقيم بعْدْ وقَربْ كيف يبيها[6]

*

عز وهمّه — وهي عزها سابق شلوقه صمّه[7]

---

(1) هذه الفرس المكرومة يقوم صاحبها على رعايتها، ولا يتركها على اهتمام النساء اللواتي لا يقدرنها حق قدرَها.
(2) هذه الفرس يعزها فارسها كمحبته لزوجته التي يركبها هودجاً على جمل ذلول، وفرسه يزينها بسرج فاخر.
(3) شملول: فارس شجاع، يدفع بها في المعركة.
(4) جوهر: نوع من البنادق ظهر أيام الأتراك يقال له (جوهردار).
(5) يصف الشاعر الفرس أن الخيل لا يستطعن مرافقتها ولا يلحقن بها.
(6) هذه الفرس تجري دون أن يمسها الركاب، وتستطيع اللحاق بالعدو إن بعد وإن قرب.
(7) الصماء: التي لا يوجد بجبهتها بياض فيكون لونها كلّه واحداً.

وفارس اليا فرّغ مع بن عمه — لهاليب نار الشايطه يطفيها
عز وزينه — وهي عزها سابق شلوق سمينه
ولاهيش للتّراس بوكر عينه — ملاس ثينته م القوم ما يحميها[1]
الخيل يخطفنها من قبالة عينه — والبل مع اللي صار مشكفّيها
ويجي عاد كيف الكلب هو هاوينه — اللي بالمحمّض كرشته ماليها
يجري نصيب ويبردن ركبينه — وهي تفوت تطّوّى طوال اخطيها

*

وهي تفوت تطّوّى اطوال اخطاها — لاهيش للتّراس مويالاها[2]
والخيل كان جت للبل تفوت ضناها — مْفِيت من يحِسْ الجري ومعَاديها
وان كان سيدها راكب جواد اعماها — ما يفوتها لازم يعازي فيها
أمّا فكها وروّح وجاب ثناها — والامّات خلاّها الله واليها
هللّي مثيل المزن طبع اذراها — الرُّوس الغوالي يدفعوهن فيها
وهذي سبب لسوَاوْ يوم بلاها — هي والنسا لفتان ينشن بيها

*

تعز من يكسبها — وهي عزها بالخيل عند عربها
وفارس يحاميها نهار عطبها — منين سوقها في أثمانها يغلّيها
أمّا حدر ساقط مع منكبها — والاّ فكْها سالم وروّح بيها[3]
والافكها سالم وبيها روّح — وخلاً صبايا واجدات اتنوّح
يبكن على فارس رقد مطوّح — قعد في المدنّه والفرس جوْا بيها
باتت حزينه جوزته وتنوّح — خذا عزها غار الزمان عليها[4]

*

---

(1) يستهزىء الشاعر من الرجل الذي لا يملك جواداً. فهو يقول إن الخيل تنهب إبله، ولا يستطيع اللحاق بها. ويحتقره في الأبيات التالية، ويصفه بالكلب الذي ملأ بطنه باللبن الحامض الذي لا يستطيع الجري.

(2) يقول إن الإبل طويلة الخطا. تسرع مبتعدة ولا يستطيع الراجل اللحاق بها إلا على جواد. تلك الإبل التي ترى ذراها كالسحاب، والتي تدفع الرؤوس في حقها.

(3) إن فارس الإبل إذا لحق بها، إما أن يموت أو يعود بإبله سالماً.

(4) يقول إذا ما رجع فارسها سالماً فإنه حتماً سيترك العدو ملقى على الأرض تنوح نساؤه عنه

خذا عزها غار الزمان الغاير   ومن قبل هو الغوّار يا مودايرر[1]
عليه لايشه مولى الجبين الناير   بيه والعه كانت ووالع بيها
وباتت حزينه لاويه الضّماير   خلوج سامره مابا النوم يجيها

*

تعز السبادي   وهي عزها مكروم بو الفنادي
أيام الهناوي يحوزها بوجادي   وان صكّ الحصان يتم حاير فيها

*

يتم فيها حاير   وخايف عليها م السبيب الغاير
وهي مُمَثله ع الكيروان الطاير   هللي الوطا ماهوش ممّن بيها
ان كان طار خايف م العقاب الغاير   وان جا للوطا يخاف الوطا تجفيها[2]
تعز الشايل[3]   وهي عزها سَبّق سماح تلايل
وفرسان ناس املاح موش وذايل   يحموه سوقها تصعب على شاريها
والفرسنه والجود راه نفايل   ولا يقدروا بعض الرجال عليها
ولجواد ما سمّيت إلاّ بفعايل   املاح زايده ع الناس فازوا بيها[4]
ديما على الشارق عناهم طايل   منين خيلهم ناضت عطت بقفيها
وان كان جيتهم مسيول والاسايل   منهم تروّح حاجِتك قاضيها[5]

*

تعز ودايد   وهي عزها سُبّق شمان جوايد
ان صار الشلش[6] يلفن عقاد عقايد   منين شافهن يقصر اللي ناويها

لأنه قتل عزيزهن.
(1) يصف الشاعر في هذه الأبيات حزن زوجة القتيل ومحبتها له.
(2) بوالفنادي: الجواد القوي.
(3) يصف الإبل بأنها كطائر (الكيروان) الذي لا يليق في الأرض ولا في السماء.
(4) الشايل: من أراد الرحيل.
(5) يقول الشاعر إن الرجال الأجواد لم يشتهروا إلا بفعالهم.
(6) هؤلاء الأجواد يغيثون الشارق أثناء المعركة. وكذلك بكرمهم لمن يطلبهم.
(7) الشلش: يوم الخطر.

وفي ظهورهن ركبوا عيال ندايد والْعِين باللي جِمْته حاضيها
وشاربين من قيرة شفاه برايد وكل من شرب كيسان يسكر بيها[1]

*

ووين زغرتن يكبر ضلال بزايد ويتموا على النيران يرموا فيها
عز العشه وهي عزها سبّق تجى تطّش[2]
عليهن سروج اسماح ماهن قَشه وركابات كيف النجم يضون فيها[3]
وزناد بوسطرين طالق بشّه مركّب على مليون لايق بيها[4]

*

مركّب على مليون بيها لايق وناصح سْطَاويّه وعقله رايق
فيدمن وهوع الخيل بيها عايق عليه غاليه من قصدها باغيها
دوم فارسه دمّه يفوج دفايق مبرّم امصدّر فيه والا فيها[5]

*

يا فيه يا في العوده ما يرد سالم لا فقص باروده[6]
وفي صفحة الفرسان هي الميجوده إلا كان قوّ الملي خالف بيها
والطفل جاسر والسليم قصوده والسابق سقيمه جاه يصلي فيها

*

البل تحض غنايا بافعالها زينات للقنّايا[7]
وتحض قول القايلين معايا موش كذب قول القايلين عليها

---

(1) قيرة: هي عسل النحل. والشاعر يقول إن لهؤلاء الشباب حبيبات عندما يزغردن يتقدمون للمعركة، ويدخلون النيران.
(2) تطّش: تتبختر.
(3) قشّه: السرج البائد.
(4) مليون: بارود لين.
(5) يصف الفارس بأنه إما قاتل وإما مقتول.
(6) إما أن يقتله أو يقتل فرسه، فهو يجيد الرماية إذا ما أطلق النار سيصيب.
(7) القنّايا: الذين يمتلكون الإبل. أي يقتنونها.

قوّالة الحدا في السوق والطّلاّيا	ما حدّدُوش احدود معانيها[1]
بطيب الخصايل مالهاش نهايه	نعمه من المولى رزقنا بيها
مغير نارها في ذيلها ضوّايه	ياحينها لو كان ماهي فيها[2]
إن صار الغلا في الميرللشرّايه	يديروا غرايرها ويمشوا بيها
كيف المراكب بيك في الوهطايه	تدير عزم وتخشى السريره بيها[3]
وان كان لُمتها وان السرا سرّايه	ما هي بخيله في الوطا تطويها
وتشيل الشراب ومونتك بكفايه	الا هي عزيمه ما عليكش فيها
ويعدُّوا لها في غيابها الرجّايه	وتجي دون م الميجال سلم بيها
ووين مالفت خلّت ابيوت ملايا	ويطير شرهلها وين يلفوا بيها[4]
وإن كان روّحوا بيها اللي فلاّيه	يروي المحل والجار واللي يجيها[5]
وكسب البل همّه لها تعلايه	حتى ان ريتها بالعين تزهى بيها
والبل خلقها وعزها مولايا	على حسن صورتها اللي جت فيها
هي والسما والأرض جن في لايه	ونزلت في القرآن يتلو فيها[6]

وبالرغم من أن الشاعر عبد المطلب الجماعي صرف أغلب همه في القصيدة في مدح الخيل والفرسان، فهو بهذا يزيد من مكانة الإبل وقيمتها، وطرق حمايتها إذ تحتاج لفرسان أقوياء أشداء في الحرب يحمونها من الأعداء.

تلك الإبل التي تحمل الزاد والشراب، وتقطع الفيافي، وتجلب تموين العائلة من الأماكن البعيدة للأطفال الذين ينتظرونها بفارغ الصبر وهي التي تعتبر عند البدوي

(1) الحدا: الرجال الذين يحدون الإبل. والطلاية: الذين يطلونها من الجرب، فجميعهم لم يأتوا على ذكر محاسنها

(2) بالرغم من أنها نعمة، إلا أن النار تشعل في ذيلها دائماً لمعارك النهب التي كانت أيام الشاعر.

(3) إن الإبل إن غلا المير تستطيع أن تحمل عليها تموين أهلك من مكان بعيد، فهي تسير الليل والنهار تطوي الأرض طياً تحمل الزاد والشراب، ويحسب لها الذين ينتظرونها فتقدم قبل الموعد.

(4) عندما تصل الإبل تملأ البيوت بالخير.

(5) الفلاية: الرعاة، أي إذا رجعت من المرعى فإنها تترك الأوان ملأى بلبنها تروي أهل البيت والجيران والضيوف.

(6) يقول الشاعر إن الله عز وجل ذكرها في القرآن كما ذكر السماء والأرض في آيات يقرأها القارئون.

الصحراوي من أعز مكسوباته التي يحافظ عليها. ويهون من أجلها عمره ويدفع رأسه هيناً في سبيلها.

وللشاعر عبدالمطلب الجماعي قصيد آخر في المصدر السابق يتحدث فيه عن الإبل ويصف معاركها.

يقول الشاعر:

يـرحـم بـوي خـلاّنـي هـواوي	كيف النجم في قلب السما[1]
لالـي غرس منبوتـه سناوي	ولا زيتون معصاره زوا[2]
ولانـي من قَصيرين الخطاوي	ولانـي من حماميل الضّغا
ولانـي من عديمين الفتاوي	تُصلّي بالتراب احذا الما
كيف البوم يبقوا في الخلاوي	نين يموتوا تحت الُغْطَا
وحتى الصقر ركّاز العلاوي	إن جاه الضيم من وكره جلا
ونا هو الطير لريد بو الجلاوي	عندي البعد والداني سوا[3]
بوادي بر في منع الشهاوي	نقيموا صبح وانشيلوا غدا
ارقاب الرال واخشوش الفجاوي	ياتن بالفرج اللّي مشى[4]
دوا للحي ما كيفه امداوي	اركوب القود هزتها شفا[5]
تفضّي البال لاجت في السراوي	وتصبح في ضحا ضيحاً أخرى
مراكب مو معدلها اسطاوي	قصوراً موا معلّيها بْنَا[6]
طيور امغير ريشهن هبهباوي	تطوي لرض كي طي الكْسَا[7]
وتشيل الزاد وتشيل الرواوي	وتركّب سيدها وقتاً عيا
ويشفق سيدها ع الزّاد شاوي	وياكل وهي خذاه معقّلاً
صبّاره على منع الشهاوي	لا ماخص مرتوع الوطا

(1) هواوي: لا جذور له تمسكه بالأرض.

(2) أي إنه ليس فلاحاً يرعى الأرض والزيتون ويتحمل المواقف المذلة والمشينة. فهو بدوي صحراوي يستطيع أن ينزل أرضاً اليوم، ويرحل عنها في الغد.

(3) يمثل الشاعر نفسه بالصقر الذي يستوي عنده القرب والبعد.

(4) الرال: صغار النعام يشبه بها رقاب الإبل.

(5) القود: من أسماء الإبل.

(6) فهي سفن لم يصنعها أسطى. وقصور لم يبنها بناء.

(7) فهي كالطيور بدون ريش لقطعها للصحراء.

يـا مـكـسـوب مـن لالـه تـقـاوي	يـا جـدّة قـزازيـن الـضـنـا[1]
تـزازي بـيـه فـي اكـثـار الـخـطـاوي	وتـمـشّـي دمـعـتـه وقـتـاً بـكـى[2]
وتـبـقـى بـاركـه والـجـوف خـاوي	ويـصـبـح راكـبـك بـيـن الُـعُـرَا[3]
وتـحـطّـي ثـمـر مـن روس الـذراوي	وتـصُـبِّـي بـر مـن ثـديـك شـفـا[4]
اجـواد ومـا تـمـلّـي م الـعـطـاوي	سـوق مـديـنـتـك كُـلّـه رَخَـا
انـت خـيـر مـن كـنـز الـجـداوي	عـطـيّـةْ رب عـاطـيـنـا بْـهـا
فـي الـراحـات تـبـغـيـلـك شـفـاوي	دريًـا مـا يـشـيّـلـهـا خـوَا[5]
مـرابـط بـو عـمـامـه بـودعـاوي	دايـر لُـهـا حـديـده فـي الُـعَـصَـا
يـرقـى بـهـا بـسـاطـاً جـنـدلاوي	ويـاكـل بـهـا دويـرات الُـعَـفَـا
وفـي الـكـربـات تـبـغـى ديـد بـاوي	خْـشُـوم الـنـجـع مـا يـفـارق بـهـا[6]
وراكـب فـوق مـن عـالـي الـشـواوي	وان جَـتْـهـا قـوم عـنـهـا يـعـنـهـا
وفـزّن خـيـل مـن هـلـهـا مـقـاوي	سـمـان مـسـكـنـه مـا هـي غـيَـا
مـقـفـولات ديـهـا بـالـحـثـاوي	ع الـكـابـاش تـمـشـي سـايـرا[7]
وزام الـطـبـل مـولـه الـحـس داوي	ورف عـلامـهـن فـوق الـعـلا
ودارن ريـم مـن خـوف الـخـطـاوي	نـيـنْ اجّـامـلـن بـالـلـي ورا[8]
وجـاجـا سـوسـهـن كـيـف الـتـبـاوي	جـسـور الـعـقـل مـشـهـور الـشِـمَـا[9]

---

(1) يصفها بأنها حنونة كالجدة للأطفال الأيتام.

(2) فهي تركب الأطفال، وتسكتهم بإحضارها الطعام لهم على ظهرها.

(3) العرا: جمع عروة. وهي مقبض الغرارة على البعير، والشاعر يعني أن صاحبها يركب فوق حملها فلا تتعب.

(4) ويقول إن الإبل تجلب التمر على ظهورها وتدر اللبن من ضرعها، وهو خير طعام وشفاء للمرضى.

(5) يقول لها إنك في الراحة تحتاجين إلى رجل لين لا يحملك ولا يتعبك.

(6) وفي ساعة الكرب تحتاجين إلى فارس جيد لا يفارق بك ساحة النجع، ويرجع عنها الأعداء.

(7) الحثاوي: والكاباش: يعني النعالات للخيل.

(8) يقول الشاعر إن القوم سمعوا الطبل فتسارعوا من كل الجهات، ووقفوا ينتظرون بعضهم البعض إلى أن اجتمعوا.

(9) الجاسوس: يقصد النذير الذي رأى العدو وخبر أراضيهم.

كيف الذيب حذرى في العلاوي كثير الشبح قُدّام وورا[1]
كمي للسر ما يبدّد لغاوي قليل البسم ع الناشد عصى
طويل الصّمت عقله موهواوي عليه الصّد فارس م القشا
عفيف البطن كي صقر النداوي رفيع الشوق ما عمره سَطَا
عزيز النفس واطي ع الشهاوي بْحَاري غير يسّمّى فتى
في الظلمات بنجوم الضواوي ورّدهن على منهل فيه ما[2]
طقرهن نين بيتهن خلاوي وحجرهن في محاجير الوطا
عقاب الليل نوّضهن يهاوي وخايف موش ناصح في الهْوَا[3]
وقال المال واجد شي داوي ولكن هَلّه فرساناً اقْسَا
صغار السّن طمعوا في السعاوي والعُقّال عدُّوا ماورا[4]
وصار اللّيُ وصار الملاوي والشلشين طابن ع الغزا
قليد الغزي طخ يمين قاوي بُكره انتم نا وهلها سوا
وطابن ع المغيرة بالسواوي وشالن ليلهن كله شرّا
صلاة الصبح دوب الضي ضاوي انهدّن كيف هدّات الغْذَا
شققة نجع خلّتها شظاوي جث في غيظهن فثيت فْنَا
شويْ صار لمعيّط والمهاوي وزام الطبل في جيهه أخرى
وتمّن يجردن فوق العلاوي وجَن غيّار مي ساعة ونا
ورسّم سوقها عند الصخاوي البايع باع والشاري شرا
تسمع حس زنداته الداوي اتقول ارعود مزنه ماطرا
ذخيره كيف تبرور التقاوي سبيبه كيف ثيران الوْسَا[5]

---

(1) بدأ الشاعر يذكر فضائل هذا الرجل الذي أرسلوه إلى العدو ليخبر أراضيهم. فهو كمي السر، صموت، شجاع، كريم كالصقر.

(2) إن هذا الخبير يعرف مواقع النجوم ويخبر بها الطريق.

(3) في آخر الليل وقد هجع بهم في أرض مستورة، أيقظهم ليخبرهم بأن الإبل كثيرة، ولكن أهلها فرسان أقوياء.

(4) الشباب طلبوا الهجوم، ولكن كبار السن نصحوا بالتريث. وأخيراً اتفقوا على الهجوم حيث هاجموا المخيم عند الفجر.

(5) تبروري: البرد عند المطر. ثيران الوسا: ثيران الحقول.

تحلف خيل هلها ع الجلاوي كما جرّاني في خيط السّدَا
يردن تقول ما سكاتهن رساوي ويهدّن سريعات الخُطَا
يهدّن بيض من لبس الكساوي ويردّن حمر من نَغْر الدما
يوماً شين يا عوج اللغاوي مع لجواد ناره شايطا[1]
تمراري.نين تبقى حنظلاوي وتحلى نين تبقى سكّرا[2]
وعاد الخيل واطفال العشاوي والمرْدان واصحاب اللّحى
عذق وديان جابهن سيل قاوي ع الجّالات راميهن عذا[3]
واللي مات داروا له عزاوي عليه الطّار ينقح بالعصا[4]
والمجروح جابوله امداوي وطقّ عليه عودي ولكْسَا[5]
وباتن خيل هلها في هناوي وبات الغلب ع اللي ما سعى

*

يا مولاي يا عوج اللغاوي اجعنّه يومكن حاضره أنا
تحتي كوت أريد ديد حاوي فيدي تونسي بزنادها[6]
يا امّا انموت وانزور المناوي والاّ هن يفوتنها اقسا
واللي يفوتها سالم العضاوي انعنّه ديّره الخيل الغْدَا
ونوصّيك يا فاهم الوصاوي كما كيّات ع الفاهق دوا[7]
رفْع الشوق ومنوع الشهاوي راهُ املاح في حق الفتى
وجوه السُّوْ واصحاب الدواوي عمرك ما تحاذيهم بدا[8]
ان كان لك جهد عاديهم عداوي وان مالك جهد جافيهم جفا
يمّا اتطيح في بعض الدعاوي وإلاّ يطب في عينك حصى

---

(1) عوج اللغاوي: الإبل.
(2) تصيرين مرة كالحنظل عند الحرب، وتصبحين حلوة كالسكر عند الانتصار.
(3) عزف: غثاء السيل.
(4) الطار: الطبل الذي يضرب عند ندب الميت.
(5) المجروح وضعوه في هودج مغطى بالأكسية.
(6) إربد ديدحاوي: حصان لونه أسود قوي البنية.
(7) الفاهق: الألم في الصدر.
(8) يوصي الشاعر بعدم رفقة أصحاب السوء وينصح بمجافاتهم.

ويقول الشاعر ابراهيم بن علي الطرودي[1]، يتمنى جملاً مهرياً قوي البنية يذهب عليه لأداء فريضة الحج.

الـــلـــه لا مـــخـــزوم	مـــن الـصـغـر لا مـــن لـكّـه
يـــجـعـل امـنـايـا يــدوم	قـــلـــبـي تـــمـــنـى هِـكـه
نـــعـزم عـــلـيـه الـيـوم	انـــزور الـــنـبـي ومــكـه

*

الـــلـــه لـــمـــذْوب	قـــاوي عـــلـــى أول قـــرحـــه
لاحـــاوزه مـــقـــلـــوب	لا مـــن دعـــا فـــي ســـرحـــه
لا هـــز ثِـــقـــل احـــبـــوب	لا عـــمـــر طـــيّـــب درخـــه
لاغـــاربـــه مـــعـــطـــوب	لا مـــن يـــداوي جـــرحـــه
امـــخـــرّف عـــلـــى الـــخـــرُوب	مـــن الـــحـــاذّة لـــلـــمـــرخـــه
فـــي ويـــن طـــاح اشـــبـــوب	تـــمـــيِّـــك يـــعـــطـــي طـــرحـــه
بـــدنـــه اتـــقـــول الـــثُّـــوب	الـــرُّقـــيَـــة مـــشـــايـــل لـــرخـــى
ذرعـــيـــه والـــعـــرقـــوب	تـــا يـــطـــيـــر زي الـــفـــرخـــة
بـــيـــه نـــعـــزمـــوا فـــي الـــصُّـــوب	قـــدا شـــور كـــاثـــر ربـــحـــه
نـــزور الـــنـــبـــي الـــمـــحـــبـــوب	نـــهـــار الـــجـــمـــوعـــة إلـــصـــبـــحـــه
عَـــقـــب الـــمـــزار انـــتـــوب	والـــذنـــب كـــامـــل يُـــمـــحـــى
يـــارب يـــا مـــطـــلـــوب	الـــيـــعـــقـــل عـــلـــيـــك اتـــفـــكّـــه
فـــي خـــاطـــري مـــشـــغـــوب	روحـــي بـــدت فـــي حُـــكّـــه

*

الـــلـــه لا زوزال	اشـــقـــر مـــتـــيـــن الـــذروه
لا عـــمـــر هـــز أثـــقـــال	لا لا هـــداتـــه عـــروه
لالاج فـــي مـــرســـال	لا حـــاوزوه الـــذروه
ديـــمـــه رفـــيـــق الـــرّال	لا حـــابـــســـاتـــه شـــروه
مـــصـــفّـــي مـــشـــيـــل غـــزال	صـــافـــي بـــدن وجـــلـــوه

---

(1) طرود قبيلة عربية تقطن بين تونس والجزائر على الحدود.

جيته اطياح الفال — نلقاه كابر غَلْوه
وانطاع لي ميثال — لافيه ساس امعزوَه
جَزيةْ عَرَقْ حلال — او مال صافي دلوه
ربّي عدل الحال — البُكرة عزمت بسزوَه
للشُّور ديمه دال — لانميح لا نتّكَى
نزور النبي العدّال — في حُرمته نشكَى

*

الله لزقلاف — مدُّ وب راسه حامي
في خطوته حدّاف — كيف نردسه بأقدامي
لاهَزْ ثِقل ارداف — لا بات ليله ظامي
لا وقّفه وقّاف — لاخش سوق صرامي
وين شيّر الخطّاف — نبّت حشيش نجامي
في رتعته قطّاف — من السلسله لقظامي
وين السّراب اجراف — هو والبقر امسامي
نشدَتْ لامن شاف — الصيّاد والحوّامي
عقّبت له المخراف — درته قشطت احزامي
جيته هدر وزاف — كرعيه غير تشامي
عيّطت ع لشرف — سقته مشي قدّامي
حلقه حديده ناف — قَدّيت شغل نجامي
لو كان ربّي راف — سقّم عَوَجْ أيامي
إن شا الله يقولوا طاف — نزمزم عليه عظامي
نوصل جبل الأعراف — نزور النبي التهامي
نمحي الذنوب نظاف — تافي عليّ العَكّه
لا نهزتي لهتاف — ولا يلعنوا لي سِكّه

فالشاعر يتمنى جملاً مهرياً مخزوماً مربى عنده، ولم يضره راع بحلب أمه، ولم يحمل حملاً ثقيلاً، ولم يربط لدرس الحبوب، ولا عطب ظهره الحمل. فاحتاج إلى الأدوية يقضي خريفه يرعى الأعشاب حيث سقطت الأمطار أبيض اللون رقبته كرقبة النعامة.

إذا جرى رأيت قوائمه كأنها تطير في الهواء لأصل به إلى الحج يوم الجمعة.

ثم ينتقل إلى وصف الجمل مرة أخرى، فهو يتمناه جملاً خصياً ليحتفظ بقوته، أشقر اللون، متين الظهر، لم يحمل ثقلاً في حياته، ولا مسّت جلدته عروة الأكياس، ولم يترك متردداً على الماء لعطشه، ولم يعبث به الصبيان. فهو دائماً رفيق النعام، ولا نزلت به ليلة برد وقر، فهو كالغزال صافي البدن والمظهر، أتيته أول الخريف فإذا به هائج متمرد، ولكنه أطاعني وهو من رزق الحلال ومشترى بمال حلال مكتسب بعرق الجبين. وأنعم عليّ الله فسريت به ليلة بدون أسف على الفراق، وكلما ظمئت شربت في طريقي لا أميل ولا أتردد حتى أزور النبي صلى الله عليه وسلم وأشكو له حالي.

وفي الفقرة الأخيرة يتمنى مهرياً سريع الخطا كلما حرك رقبته بقدميه، ولم يحمل أثقالاً أو بات جائعاً، أو ظامئاً، ولم يعرض للبيع في الأسواق، بل عاش في أماكن الغيث والخصب وأعشاب السلس والقطامي رفيقاً للبقر الوحشي، حيث يغمر الأرض السراب، سألت الصيادين والرواد فلم يدلني عليه أحد. وفي أواخر الخريف شرعت في البحث عنه حتى وجدته فهدر وتمرد حين رآني. فاستنجدت بالصالحين وسقته فانساق أمامي مطيعاً، ووضعت في أنفه الرسن، وإذا شاء الله أن يمنّ عليّ بسعادة الأيام أركبه إلى مكة المكرمة وجبل عرفات والمدينة المنورة حتى أمحو ذنوبي، وأتوب من أعمال جلبت لي`نقد الناس ولعناتهم[1].



(1) الشرح للأستاذ المرحوم امحمد المرزوقي. والقصيد منشور في كتابه (الأدب الشعبي في تونس)، ص 147 ـ 148 ـ 149.

ويقول الشاعر الشعبي من الجزيرة العربية من (نجد) يصف حاله وسهره. يقول الشاعر عبدالله العلي الحرير من بلدة (الرّس) في نجد*

الله يعن العشير اللي معينن ادعان مثل الخلوج تبالي الأسلافي(1)
إلى بغيت انحره ما تغمض العين يوم ولد الردي في مرقده غافي(2)

*

ويقول الشاعر خالد رميلة من منطقة برقة مخاطباً الإبل عندما اعتقل الايطاليون سكان برقة بمواشيهم في معتقل (العقيلة):

بعد امراضها في عفادير بدري شموس والعام خايب(3)
عفا بغو طالق بهارير نوّاره امسوّي ضبايب(4)
شماريخ روسن بعاثير وهن اتقول فلاّت رايب(5)
اللي اتجيه تنساه وتحير ع اللي احذاه لاخر يعايب(6)

(*) من ديوان (شعراء الرس النبطيون) للكاتب فهد الرشيد، الطبعة الثانية، الجزء الأول، مطبعة خالد حسن الطرابيش، دمشق 1396 هـ. 1976.

(1) يطلب الشاعر من الله أن يعين (العشير) المتألم طوال الليل كالناقة (الخلوج) وهي التي مات ولدها آخر الليل. فتبيت تحن طوال الليل.

(2) تلك الناقة التي نحر حوارها، فلم تغمض عينها طوال الليل تحن عليه، وقد داهمه الردى في منامه الغافي.

(*) القصيدة من كتاب (أغنيات من بلادي) للأستاذ المرحوم عبد السلام ابراهيم قادريوه.

(3) بعد أن كانت سعيدة في مرابعها والسنة خصبة.

(4) عفابغو: عشب طري. بهارير: ألوان الأزهار التي تبهر النظر.

(5) وهن: يقصد الإبل وهي ترعى مطمئنة في تلك الأزهار.

(6) من شدة إزهار الأرض وخصبها، تظن أن الأرض التي تأتي إليها هي التي تركتها خلفك.

وتلقى الخلف فيه الخواوير   على غراه شايل صلايب[1]
اتقول فوق منّه كواديـر   غارقات فيه الجنايب[2]
وتلقى فيه هش المواخير   تيّار ثديها اتقول عايب[3]
جشّى حنينها في التقاذير   على أحوارها بالرجايب[4]
نواقيس ضرب النّقاقير   أجراس فيشطه يوم نايب[5]
يبقن ألوانها فيه تصوير   تفصيل لونها بالخضايب[6]
البيض كيف قلب الجماهير   اللي نشوا بأثمار طايب[7]
وفيهن عتاتى دواوير   سبيب سود داير قضايب[8]
والحُمُر لُكْ صبّاغ تمغير   والا ادموم سفك النشايب[9]
والزرق كيف فحم البوابير   والآ اصباغ نيل العصايب[10]
والخضر كيف طبع الجنازير   اجنان فوق بردى سكايب[11]
والصفر كيف جمّاعة القير   نحلةْ مير والجج طايب[12]
سبيب شعلها م التعنزير   يورّي ألوان العجايب[13]
حسك مغربيّة مشاتير   عليه جاد غيث السحايب[14]

---

(1) الخلف: النياق التي ترضع أولادها. والفرق: النياق التي فارقتها حيرانها كانت تحمل فوق ظهورها حمولاً من السمن.

(2) أو تظن أن فوق ظهور الإبل (جحافاً) لطول ذراها.

(3) يصف صوت الحليب عند حلب النوق لغزارته.

(4) ويتذكر صوت النوق وهي تستدعي حوارها للرضاعة.

(5) ويصف أصوات النوق والحيران بالنواقيس في يوم حفلة.

(6) ويستغرب من جمال ألوانها المختضبة بكل الأشكال.

(7) فالبيضاء كوسط النخلة الأبيض (الجمار).

(8) والقوية الضخمة شعر ذيلها أسود طويل.

(9) والنوق الحمر لونها كالصبغ الأحمر (اللك) أو (المغرة) وهي الغراء الأحمر أو الدم.

(10) أما الزرق فلونها فاحم كلون الفحم الحجري (فحم البوابير) أو كصبغة (العصائب) التي تلبسها النساء في البادية.

(11) والخضر ألوانها كمعدن (الجنزارة) أو الحدائق المحفوفة بنبات البردى.

(12) أما الصفر فلونها كملكة النحل.

(13) أما الشعل فلون شعر ذيلها في غاية الجمال.

(14) فهو يشبه أهداب السنابل في القمح المغربي المزروع في أرض السيل.

بـــدريّـــة وفـــورار وامـــشـــيـــر   عـلـى أثـر مـارسـه جـن عـصـايـب[1]

قـمـاشـات مـن شـبـهـة الـزيـر   حـجـل حـجـول بيـض الـلـهـايـب[2]

ومـعـاهـن تـفـاصـيـل كـشـمـيـر   عـلـى لـون ريـش الـعـبـايـب[3]

وفـحـلـهـا ان زق الـبـنـاديـر   وتـمّـت جـلايـب جـلايـب[4]

تـجـيـه كـيـف عـرض الـطـوابـيـر   تـشّـالا امـشـالات غـايـب[5]

تـحـلـيـق الـفـرق والـمـجـاسـيـر   عـلـيـه كـيـف طـار الـنـدايـب[6]

وهـو كـيـف مـا تـلـبْـس الـمـيـر   الـلـي مـن أمـيـار الـعـرايـب[7]

بـرنـوس مـلـف زقـزا تـبـيـطـيـر   نـواشـيـن خـرجـه كـعـايـب[8]

تـصـريـدة أنـيـابـه صـفـافـيـر   تـجـي بـقـرن مـنـهـا لـهـايـب[9]

والـيـوم عـنـد بـراكـة الـطـيـر   جـفـايـا عـراض الـجـنـايـب[10]

إنـتِ فـيـه مـا تـنـظـري خـيـر   واحـنـا نـزمـطـوا فـي هـزايـب[11]

ولـو كـان مـوتـنـا جـت بـالـتـحـاريـر   مـعـاهـم وفـي عـون طـايـب[12]

الـقـنـو فـوق سُـبّـق مـشـامـيـر   جـانـبـات والا جـنـايـب[13]

مـرّة يـطـوحـن بـالـمـنـاذيـر   ومـرّة يـخـلـطـن فـي لـدايـب[14]

---

(1) هذا القمح جاد عليه الغيث في كل الأشهر فبراير ومارس.

(2) أما النياق الحجل فبياض قوائمها كالقماش الأبيض.

(3) وهذه النوق مختلطة، تظهر كالسجاد الكشميري، أو كلون ريش طير الهدهد المزخرف.

(4) وفحل هذه الإبل تسمع صوت هدير كالبندير، وهي مجموعات حوله.

(5) تتقدم نحو فحلها كطوابير العسكر، وترفع ذيولها كما ترفع الأيادي فرحة بقدوم غائب عزيز.

(6) وترى الإبل التي فارقها أولادها، والتي تطلب الفحل دائرة حوله كدائرة النساء عند ندب الميت.

(7) أما الفحل فهو كأمير من أمراء العرب لجماله وحسن صورته.

(8) يلبس هذا الأمير البرنس المزخرف بالفضة ومصدر بالذهب.

(9) وأناب هذا الفحل لصوتها صفيراً مميزاً.

(10) وهذا اليوم مسجونه هذه الإبل عند (براكة الطير) مكان.

(11) فالإبل لا ترى خيراً، وأهلها يتحملون الغصائص والكرب.

(12) ولو أن موتنا جاء مع من مات من الشهداء لكان أفضل لنا.

(13) ونحن على خيل مطهمه أما تقود خيل العدو، أو أن العدو يقودها.

(14) ونحن مرة نقاتل على بُعد ومرة نختلط في القتال.

ولا حبسنا وهالتقهقير … وفقدةْ امسامي حبايب[1]

م المغاربة والعواقير … اسماح العنا والدرايب[2]

وكسّارة اخشوم المناقير … والطام كل مسرف وعايب[3]

وركابة على كل قنتير … حصى لرض في يديه ذايب[4]

غزير النصي بوجراجير … عريض صدر وافي النجايب[5]

على مرافقه بولشابير … منين خمّله بالنهايب[6]

قنّاد للطواريف والدير … وين ما جفل جن هذايب[7]

وهل بيوت ملفى خطاطير … واليوم عاد راحن زرايب[8]

اللي ما جلا وخش السرير … مشي الوطن ثاني غرايب[9]

والقاعدين تحت التسوقير … وما لهم مع الروم نايب[10]

وحق بوقبب بيض م الجير … وكل شيخ عابد وتايب[11]

عليهم إن جبت التفاكير … ادموعنا يتمّن كبايب[12]

وتخطر علينا مخاطير … الليل ناخذه بالحسايب[13]

واللي عاد جر المقادير … ولكل شي جاعل سبايب[14]

انعن غمامها طل ويطير … بعون من رياح الهبايب[15]

---

(1) أحسن لنا من السجن وفقد أحبابنا.

(2) من قبائل المغاربة والعواقير الأبطال.

(3) الذين يؤدبون كل متغطرس، ويحنون هامة كل مصعر.

(4) الذين يركبون الخيل الجيدة التي تذيب حصا الأرض بأقدامها.

(5) طويلة شعر ناصيتها، عريضة الصدور والأجناب.

(6) إذا أحس بالركاب يقفز وينهب الأرض نهباً.

(7) فيقطع سيور الدير لقوة اندفاعه.

(8) وأهل البيوت التي يقصدها الضيوف، والآن أصبحت هذه البيوت خراباً.

(9) فالذي هاجر وقطع الفيافي، والذي لجأ إلى أوطان أخرى غريباً.

(10) أما الذين بقوا مع العدو فها هم تحت الاقفال وليس لهم مع (الروم) (الطليان) أي احترام.

(11) يقسم الشاعر بالولي صاحب القبة البيضاء وبكل شيخ وعابد، وتائب.

(12) إنه عندما يتذكرهم تتساقط دموعه.

(13) ويتذكر أفعالهم فيسهر الليل، ويبيت يحسبه إلى الصباح.

(14) وأخيراً يرجع الشاعر إلى أن كل شيء مقدر من الله، وجعل له أسباباً.

(15) ويطلب الله أن يجعل ما حدث غمامة وتنقشع بسرعة برياح من مسخر الأرياح.

وصـلاتـي بـعـدهـا الـتـفـكـيـر علـى شـفـيـع يـوم الـعـتـايـب[1]

والصحراويون العرب دائماً يتغنون وهم مع الإبل. فالغناء والإبل صنوان عند بدو الصحراء.

إذا سافروا لجلب التموين يتغنون خلف الإبل يحدون بأغانٍ كلها مدح للإبل وصفاتها ومميزاتها. فنسمعهم يتغنون مخاطبين زوجاتهم المنتظرات في الخيام.

يـا واقـفـة فـي الـبـيـت يـا تـواقـه وغـيـراشـبـحي مـاجـاب ولـد الـنـاقـة

ويقولون مفتخرين بقوتها وتحملها ونشاطها.

كـل مـا حـذيـنـاهـا وقـالـت سـوقـوا ونـخلات (بوعـجيلـة) قريـب يتـوقوا

أو يقولون في وصفهم للإبل بالقوارب:

الـريـح بـحـري والـجـمـال قـوارب واكـتـابـهـا دفـات فـوق الـغـارب

ويقولون:

هـبـهـب عـلـيـهـا يـا هـبـوب الـبـارد وامنـع اكحيله من السبيب الجارد

أي يطلب لها الرياح الباردة لتقيها من الحر. وأن يمنعها من غزوات الفرسان أو:

مـدّي ارقـابـك واشـربـي لـريـاحـي وانـشـاالـلـه بـعـد الـشـقـا تـرتـاحـي

يطلب من الإبل أن تمد رقابها لتشرب الرياح باذلة الجهد للوصول إلى المنتجع، حيث تستريح من مشقة السفر.

أو يقولون:

يـا عـوجـة الـسـيـقـان يـا مـداده ويـا سـعـد مـن قـعّـد وراك ازنـاده

*

يتحدثون عن صفتها بأن سيقانها (عوج) وهي تمد في الطريق ويفتخرون بمن يستطيع أن يقاتل في سبيلها.

كـل مـا حـذيـنـاهـا وقـالـت سـوقـوا ومـاذا قـطـعـنـا مـن افـجـوج يـتـوقـوا

يتعجل من قوة تحملها، ومن قطعها للفجاج البعيدة.

*

(1) ويختم الشاعر قصيده بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سوق الجمل والا انجيه انسوقه   جمل من يكركرع الندى بخنوقه

يشجع صاحبه بأن هذا الجمل هو جمل الفتاة الجميلة التي يلبس (البخنوق)، فإما أن تسوقه أو أذهب أنا لسوقه في القافلة لجلب الميرة من المكان البعيد. ونسمعهم أيضاً يقولون بعد أن غادروا سوق (باجه) بتونس متوجهين إلى وطنهم في غرب ليبيا بمنطقة (الأبرق):

اجنابها والمطارق   بعد أن قطت كل حاجه

ويا مقربك يا ليبارق   ويا مبعدك يا سوق باجه

*

وعندما تمرض الإبل بالجرب يقومون بطلائها في مهرجان كبير يقرضون بالأجلام الوبر، ويطلونها بالقطران وهم يتغنون فنسمعهم يقولون:

يا نار قلبي غزاله   جربها فات الرقايد

ناقت كبير الزماله   مولى لقصاع التّمايد

*

فهو يمتدح الناقة التي تشبه (الغزال) ويمتدح صاحبها صاحب العمامة الكبيرة، وكبير القصعة للأضياف ونسمعهم أيضاً يقولون:

يا راقدة اتقول خيمه   سلُوا عمدها وطاحت

وأنتِ قعدتِ امقيمه   ولذواد مدّت انزاحت

تَرَة لوْجِي يا اميمه   اخشوم العرب وين ماحت

والمعنى أيتها الراقدة كخيمة نزعوا أعمدتها فسقطت على الأرض.. وأنت بقيت منطرحة، والإبل ذهبت بعيداً إلى مرعاها. فانظري يا عزيزة أين ذهب رؤساء العرب وأين نزلوا بخيامهم. ويقولون أيضاً:

يا ريت جربك سريه   وأنا امقابله على جوادي

من الفجر حتى العشيه   وأنا فيه قايم اجهادي

فهو يتمنى أن يكون جربها سرية من جيش العدو، يهاجمه على جواده ويقاتله طوال اليوم، إلى أن ينتصر عليه وينجيها منه.

ويقولون:

هاتوا الطلا واشعلوا النار   وبالمهل نطلوا جربها

ناقت الياصار ما صار يخش نارها على سببها

*

والملاحظ أن أوزان شعر (الطلاء) تختلف عن أوزان شعر المهاجاة (الحدا)، فالأول رباعي، والثاني بورجيله.

والبنات في البادية يتغنين بالإبل في الليالي المقمرة سواء في (البرّاش) أي عند سمرهن في ضوء القمر خارج الخيام، أو عند (رحي) (الرحى) في أواخر الليل، فتسمعهن يتغنين.

البل عوج العراقيب اليا شيعت ما تواطى
وتطوى الوطى طي على طي طوي حصير لبساطي

*

أي إن الإبل ذات العراقيب العوج، تحمل أثقالها ولا تمل وتطوي الأرض طياً كما تطوى حصر البساط. أو قولهن:

البل يا (بن حديدان) لا تنزل الطرف بيها
راهي كما قدحت النار ومن ساقها راح بيها

وهنا تخاطب المرأة (ابن حديدان) الذي قد يكون ابنها أو زوجها أو أخاها، وتوصيه بألا يبتعد بالإبل عن حماية النجع، فلأن الذين يسوقونها سيبتعدون بها ولا يلحق بهم أحد.

وتسمعهن يقلن:

والبل يامن قنى البل واللي قنى البل كثرة سعوده
واللي ماقنى البل في الدار يخترش بعوده

*

أي إن الذي يمتلك الإبل سيتقوى سعده وحظه. أما الذي لا يمتلك الإبل فسيبقى في الديار حزيناً لأنه لا يجد حيواناً يرحل عليه.

وتقول النساء في غنائهن على الرحى، أو الفتيات في غناء السمر (البرّاش):

يا زينها ما اتدرّج في أحوار والا احواره
وهي علينا اتفرّج الياشح مير الغراره

أي إن الإبل يا لجمالها وهي تدارج أولادها، وهي مفرجة الكرب على الأسرة عندما يفرغ التموين من الغرارة. ويقولون:

يــا زيـــنـــهـــا فـــوق لـــدوار وحـيــرانـهــا فــي الــســمــاحــي

كــحــيــلــة تــبــي شــعــب نــوار ولا فــيــه غــيــر الــمــداحــي

ما أجمل الإبل وهي ترعى فوق المرتفعات، وصغارها في الأرض المنبسطة، فهي تريد أرضاً معشوشبة لا يوجد فيها أي أثر للحيوان إلا أدحية الطيور.

ويقولون:

يــامــا شــربــتــي مــن الــنــقــر هــلــلّــي امــصــقّــع شــرابــه

ويــامــا قــتــلــتــي مــن الــصــقــر هــلــلّــي امــعــورج انــقــابــه

لطالما شربت من آبار طويلة نقرت في الحجارة، وصار ماؤها بارداً لطولها، ولا يجيذ منها هذا الماء إلا الرجال الأشداء، وكم قتل في سبيلك من رجل شهم فارس صنديد.

*

الــحــايــلــة ســفــروهــا وجــابــت بــنــيــن لــيــكــالــي

والــشــايــلــة شــمّــلــوهــا مــلــوا حــجــرهــا بــالــشــمــالــي

تفتخر المرأة برجال أسرتها وقبيلتها في أنهم أرسلوا القوافل من الإبل القوية لتأتي بالتموين والتمر من بلاد فزان البعيدة، وشملوا النياق الوالدة ليحلبوا الحليب للنجع.

*

جــابــوك يــا عــبــســة الــذيــل بــعــد ايــســوا حــالــبــاتــك

وقــعــدوا الــرجــاجــيــل والــخــيــل مــحــاريــف غــري امــبــاتــك

تتحدث المرأة عن الإبل التي أرجعوها بعد أن استاقها الأعداء، وبعد أن يئست النسوة من رجوعها. ولكن بعد أن سقط الفرسان والخيول في أطرافها قتلى.

كــحــيــلــة تــبــي خــوت ســربــه يــعــولــوا لــهــا فــي أرشــاهــا

واحــد يــجــيــب الــجــراري وواحــد يــمــقّــس أدلاهــا

وواحــد عــلــى جــالــة الــحــوض نــزرويــن مــا شــح مــاهــا

وواحـــد عـــلــى ظـــهــر مـــدوب يـــروّد لـــهـــا فـــي عـــشـــاهـــا

*

الإبل تحتاج إلى مجموعة من الإخوة الأشداء، كل واحد منهم يعرف واجبه. فأحدهم يسقيها، والآخر يرعى بها، والثالث ينهنهها عند الشرب. . أما الرابع فيكون فارساً يمتطي صهوة جواده، ويبحث لها عن الكلأ.

يـــشـــاكـــمـــوا بـــالـــمـــذوّب ويـــدّاكـــمـــوا بـــالـــغـــدارة

فـــي ســـوقـــتـــك يـــا كـــحـــيـــلـــه مـــن الـــدم لـــبـــســـوا صـــداره

إنها معركة بالسلاح الأبيض والبنادق والغدارات، وذلك يوم استباق الإبل. فلقد لبس أصحابها صدريات من الدماء.

بـــشـــراك يـــا جـــعـــد لـــويـــار مـــرســـيـــط جـــي مـــن ارقـــابـــه

وقـــــرزه وزمـــــزم وزطـــــار جـــن رامـــيـــات لـــعـــصـــابـــه

يبشر الإبل بالسيل العرمرم حيث سالت أودية (مرسيط) و(قرزه) و(زمزم) و(زطار) مما يبشر بالربيع الزاهر لتأكله الإبل.

*

مـــن (أم الـــرثـــم) (لـــلـــشـــمـــيـــشـــيـــر) الـــيـــاويـــن تـــدفـــع زكـــاكـــر

فـــحـــلـــهـــا اتـــرجـــم كـــمـــا مـــيـــر عـــلـــيـــه طـــاقـــات الـــعـــســـاكـــر

تصف مراعي الإبل من (ام الرثم) إلى (الشميشير) إلى نهاية وادي (زكاكر)، حيث تتواجد الإبل، وفحلها يهدر فيها، كأمير العسكر تحوط به الإبل.

مـــا يـــنـــزلـــوا غـــيـــر رقـــراق ســـريـــر وســـرابـــة تـــلاقـــه

لاعـــقـــلـــوا فـــيـــه حـــشـــيـــان ولا بـــهـــلـــوا فـــيـــه نـــاقـــه

تصف الأرض البعيدة التي يسكنها أهلها، والتي لم يعقل بها أحد قبلهم بعيراً، ولا حلب ناقة لبعد المسافة.

*

أما المرأة الأخرى فهي حزينة تعاودها الهموم، وتتجمع عليها ليلاً. فتشبهها بالإبل الكثيرة (الركيب) الذي يسرح نهاراً، ويتجمع ليلاً، فتقول:

أنـــا داي مـــثـــل الـــركـــيـــب الـــيـــا لـــمـــدوا طـــارفـــاتـــه

فـي الـصـبـح يـصـبـح مـغـيّـب   وفـي الـلـيـل يـعـمـد امـبـاتـه

وتفتخر المرأة البدوية برحيل أهلها، وانتجاعهم الأراضي الخصبة في حماية فرسان القبيلة فتقول:

مـرحـول جـا فـي الـمـرقّـم   وفـيـه الـحـلـق فـي بـتـاتـه
مـع وادي الـطـلـح سـقّـم   وجـن يـلـعـبـن رايـداتـه

هذا المرحول الذي حمل على ظهور الإبل، وظهرت فوق أحماله (المراقيم) وهي نوع من البسط المزركشة. ولمعت حلقات الفضة في أثاث النساء، نزل مع وادي الطلح، ولعبت خيوله الرائدة.

مـرحـول مـن ظـهـرة اسـهـيـل   حـس الـرغـا فـيـه عـايـل
تـريـسـه يـهـزوا حـجـاجـيـل   لـيـن مـاح ظـل الـقـوايـل

هذا المرحول الذي حمل أثقاله من آخر الليل عند ظهور نجمة (سهيل)، وهي تخرج في الخريف في آخر الليل، وتسمع رغاء الإبل التي يحملون عليها، ورجاله يشدون أحزمتهم ساهرين يحملون الأمتعة حتى منتصف النهار.

مـا يـرحـلـوا غـيـر بـالـطـبـل   ومـا يـذبـحـوا غـيـر حـايـل
ومـا يـنـزلـوا غـيـر فـي الـجـود   دلال امـات الـشـوايـل

هذا النجع يرحل بعد أن يضرب شيخه الطبل رمز الزعامة، ويذبحون للضيوف النعاج (الحائلة) أي السمينة التي لم يصعفها الولد ولا إرضاعه. ولا ينزل هذا النجع إلا في الأرض المعشوشبة، ليدلل النياق (الشوائل) الحلوبة.

*

قـالـوا نـزل فـي الـهـذالـيـل   ورّد عـلـى بـوفـهـيـقـه
عـشـاره كـمـا قـطـعـة الـنـيـل   ولا عـاقـبـه ولا رقـيـقـه

هذا النجع نزل في منطقة (الهذاليل) ويسقي في إبله على معطن (أبي فهيقة)، وعشار إبله جميلة سمينة وكثيرة عندما تقدم يراها الرائي كالبحر الطامي ليس فيها هزيلة أو ضعيفة لاهتمامه برعيها.

*

يـا مـا نـزل بـي وتـلال   ويـا مـا حـلـب مـن شـوايـل

ويــا مــا اركــب فــوق ذقّــال   وكــمّــه مــع الــريــح جــايــل

هذا الفارس الذي قتل في إحدى معارك الإبل، كم له من مآثر مشهورة، فلكم نزل بنجعه في أودية (بي) و(تلال) وكم حلب للضيوف من نياق (شوايل)، وكم ركب من جواد سريع، وأكمام أثوابه تسفوها الرياح.

وتقول أخرى في مناسبة أخرى:

عــيــب الــجــمــل قــلّــة الــثــقــل   وعــيــب لــحــصــان الــحــرانــه

وعــيــب الــولــد خــفــة الــعــقــل   اتــطــلّــع جــوارح الــســانــه

إن عيوب الجمل أنه لا يستطيع حمل الأثقال، كما أن عيوب الجواد أن يحرن ولا يجري. أما عيوب الرجل فهي خفة العقل حيث يخرج لمستفزّيه أسراره.

*

أتــريــتــه الــجــمــل مــا يــحــنّــن   عــلــى الــهــازلــة والــمــريــضــه

وتــريــتــه الــحــنــانــه مــن الأم   أمــا بــوي كــبــده غــلــيــظــه

تقول المرأة إن الجمل لا يعطف على الناقة الهزيلة أو المريضة. وهي هنا تشبه الجمل بالرجل. أما العطف فهو من الأم، وأما الأب فهو متماسك العواطف.

اثــبّــتّــن واشــجــن زيــن   طــلــحــات والأبــعــايــر

ولا كــان ريــتــن الــغــالــي   يــا مــالــكــن مــن بــشــايــر

تخاطب المرأة عينيها أو زميلاتها بقولها انظرن جيداً ليستطلعن الطريق التي سيقدم منها رجلها الغائب في السفر. فهل تلك الخيالات هي شجرات طلح أو إبل (جمع بعير) (بعاير). فإذا كانت إبلاً فمعناها أن المسافر عاد وستقدم لهن الهبات فرحاً بقدومه.

يــا خــوي تــمــلّــي الــحــويّــه   عــلــى شــابــك الــنــاب هــايــج

تــعــنّــى وانــشــد عــلــيّ   مــا حــامــلــه مــن عــوايــج

تخاطب أخاها ليربط الحويه على ظهر الجمل ويركب عليه، ويقدم إليها ليسأل عن حالها، حيث إنها لدى زوجها تحمل الكثير من الظروف الصعبة والمشاكل.

بــوي جــمــل حــمــل لــعــذال   خــبــار الــرفــق مــا يــلايــم

وبــويــا عــلــى وســعــة الــبــال   قــلــبــه شــديــد الــعــزايــم

تمثل الفتاة والدها بأنه (جمل الأثقال) يحمل الأصعاب وتعوصاتهم، واسع الصدر، شديد العزم[1]

يـــا زيـــن مـــد الـــعـــزيـــلـــة   عـــلـــى الـــكـــاف داير ظـــبـــابـــه

ويـــا زيـــن ركـــبـــة ابـــن أمـــي   الـــيـــاجـــي امـــصـــفـــح اركـــابـــه

فهي تستعجب من جمال الإبل عند رؤيتها، وقد ارتفعت فوق المرتقع كالعصابة التي تغطي الرأس أو تحيط به. وكذلك فخورة ومعجبة برؤية أخيها، وقد صفّح ركابه وهو على ظهر جواده.

احـــمـــيـــري امـــكـــركـــد اوبـــرهـــا   ومـــربـــاعـــهـــا فـــي الـــجـــداري

وســـمـــعـــوا الـــظـــراري خـــيـــرهـــا   جـــوا ســـالّـــيـــن الـــعـــذارى

هذه الإبل الحمراء، الجعدة الوبر، والتي قضت الربيع في أكل شجر الجداري سمع الشبان بالعدو يقتنصها ففزعوا يحملون بنادقهم.

التهوليم:

عندما يحين وقت الصيف وتجف المراعي، ويبدأ فصل هبوب (رياح القبلى) الحارقة، يقترب رعاة الإبل من المعاطن، والمناهل ليسقوا إبلهم، ويسمون الفترة بين يوم السقي واليوم الثاني للسقي (ظمي)، وتجمع على إظماء. ويقولون إن الإبل (نقضت) أي شربت الماء بعد أن كانت (جوازي) أو (جازية) أي لا تشرب الماء لأنها تأكل العشب الأخضر.

فيذهب أحد الرجال للبئر، ويعقد الحبل في الدلو ويدليه، فإن كانت عميقة، يستعين على سحب الدلو بجمل يسوقه أحد الرجال ويربط فيه الحبل الذي في نهايته الدلو. وإن كانت البئر قليلة العمق، يسحب الرجل الماء بذراعه، أي يسحبه سحباً بمجهوده الفردي، ويسكب الماء في حوض حتى يملأه. ويقتطع الراعي الإبل مجموعات صغيرة حتى تشرب بدون مزاحمة، ويقولون عنه (يرسل الإبل).

أما الرجل الذي يسحب الماء من فوهة البئر، ويتلقى (الدلو) فهو يتغنى بغناء يناسب المقام، فيقول دائماً مخاطباً الإبل بأنها (أمّه)

مـــــاك اتـــــقـــــولـــــي   مـــــايـــــردولـــــي

---

(1) لقد أخذت هذه الأبيات الأخيرة لأغاني الرحى من كتاب الأخ الأستاذ أحمد النويري (حضور المرأة الليبية في المأثور الشعبي) الطبعة الأولى، (مطابع أديتار).

حـــــــد اوصـــــــولـــــي نـــــرمـــــي الـــــحـــــولـــــي

هـــــا أمّـــــا مـــــي

أي أن تقولي لا يردون لي، ولكن ساعة وصولي سارمي الحولي (الجرد) لاسقيك. هاه يا أمي خذي الماء.

ويقول:

مـــــا يـــــســـــقـــــيـــــهـــــا ش مـــــعـــــبـــــلـــــول الـــــجـــــاش

تـــــبّـــــي شـــــواش والـــــبـــــارد لاش

هـــــاه أمّـــــا مـــــي

أي لا يسقي الإبل مريض الصدر، فهي تحتاج لرجل نشط يقوم بالمهمة.

ويقول:

مـــــرتـــــع لـــــســـــنـــــاد خـــــلاّك أنـــــداد

هـــــاه أمّـــــا مـــــي.

أي إن المراتع الجيدة المعشوشبة التي يفلاها أهلك بك جعلتك متقاربة الأحجام للسمن والقوة.

زيـــــن فـــــحـــــلـــــهـــــا جـــــي فـــــي أولـــــهـــــا

هـــــاهْ امّـــــا مـــــي

ما أجمل فحلها وهو يسير في أولها نحو الماء، ومن الغريب أن الفحل في فترة الهياج يكون كثير العطش. ويقول متذكراً حبيبته وهو فوق البئر.

نـــــاقـــــت فـــــطـــــوم ع الـــــبـــــئـــــر اتـــــحـــــوم

تـــــبـــــغـــــي جـــــغـــــمـــــوم جـــــلاي اهـــــمـــــوم

هـــــاه امّـــــا هـــــي

إن ناقة (فاطمة) تحوم حول البئر وتحتاج إلى الشراب تجغمه جغماً يجلي همومها.

يـــــا دلـــــوا الـــــهـــــم هـــــات الـــــلـــــي تـــــم

صـــــافـــــي ورغـــــم

أي أيها الدلو الذي يتعبني أسحب ما في البئر ماء صافياً أو مغتراً، فإن الإبل لا تعاف.

يـــــا جـــــيـــــابـــــا ســـــمـــــح اصـــــخـــــابـــــه

يـــــا رقـــابـــا روس الـــــغـــــابـــــا
هـــــاه أمّـــــا مــــي

أي أيتها الإبل الحاملة النساء الجميلات فوق ظهورك، والراقبة المرتفعات، سأسقيك ماء نظيفاً.

تــــبــــغـــــي دعــــدوع فــــي الـــدلـــو نـــزوع
تـــاخـــذ قـــرطـــوع وهـــي ع الـــجـــوع
هـــــاه أمّـــــا مــــي

أي تحتاج إلى رجل قوي ينزع الدلو نزعاً ليسقيها شراباً يغريها يشربه حتى ولو كانت جائعة لتذهب إلى المرعى.

الإبل في الأحاجي:

في ليالي الربيع المقمرة، أو في ليالي الصيف، حيث يفرغ البدو من مشاغلهم، ويأوون إلى المتجع، يجتمع الصبيان والفتيات الصغيرات عند أكبر النساء سناً تحكي لهم القصص والأساطير، وتروي لهم قصص البطولات، وشعر الفرسان، وأغاني النساء اللواتي تغربن، أو اللواتي عشقن في حياتهن.

كما يتبارى الأطفال والفتيات في الأحاجي والتي يسمونها (خراف السمي)، أي (خراف التسمية).

وللإبل في هذا اللون من ألوان الأدب نصيب، فمن أحاجيهم في الإبل:

- أربع مطارق في بئر غارق
- وهم يقصدون الحوار في بطن أمه
- جملنا الهداء قعد في الدار

يقصدون به كومة الرماد التي تبقى في الديار بعد رحيل البدو.

- جملنا البارك وذروته في السما اتعارك

يقصدون به النار والدخان.

- من قدام نَفَسْ ومن تالي نَفَسْ، وفي الوسط حطب يابس.

يقصدون الجمل، والرجل وبينهما المحراث، وهو من الحطب.

- أربع روس: في برنوس، جاهم بوص يدّنّا

يقصدون بأخلاف الناقة الأربعة، والشمال كالبرنس والحوار الذي يتقدم لرضاعتها.

وقد جمعني ذات ليلة مجلس سمر مع مجموعة من شبّان الصحراء الكبرى، واستمعت إليهم وهم يتناظرون في معرفة الإبل، وكيفية التعامل معها.

فقال أحدهم: إذا كنت تسير وراء القافلة وشاهدت إحدى النياق ووقفت فجأة لمدة دقيقة تقريباً، ثم واصلت سيرها.

فما الذي أوقفها:

وكان الجواب أن الناقة تقف فجأة لسببين، إما أن غراباً وقف فوقها. أو أنها لقحة (عشراء) وصك الحوار في بطنها. قال الثاني: إنك تريد استياق ناقتك غير الذلوله من إبل إلى إبلك، ولا تريد تقييدها أو تذريعها، وهي لا تطاوع الرسن، فماذا تعمل؟

كان الجواب: إن وضع شوكة بين سني البعير الأماميتين تجعله ينشغل بتحريك لسانه لإزالة الشوكة، وبالتالي يسهى فيسير حيث تريده دون ممانعة.

قال أحدهم: عندك أربعة قعدان بنات لبون. اثنين ذكور، واثنتين أناث. وضلت من الإبل، وتتبعت أثرهم، ووجدت مباركهم بعد انفصالهم اثنين اثنين.

ووجدت مبرك اثنين منهم، فكيف تعرف أن هذين المبركين للإناث أو للذكرين.

وكان الجواب: أن الأناث تبرك متجانبة. أما الذكور فتبرك متقابلة. وإلى غير ذلك من الحديث عن طبائع الإبل وعاداتها.



الإبل في الأمثال العربية

- **إن يَدْمَ أَظَلُّكَ فَقَدْ نَقِبَ خُفِّي**

الأظل ما تحت منسم البعير، والخف واحد الأخفاف، وهي قوائمه. يضربه المشكو إليه للشاكي، أي أنا منه في مثل ما تشكوه.

- **إن تَسْلَم الجِلَّةُ فالنيبُ هَدَر**

الجلة جَمع جليل يعني العظام من الإبل، والنيب جمع ناب وهي الناقة المسنة، يعني إذا سلم ما ينتفع به، هان ما لا ينتفع به.

- **أَصُوصٌ عليها صُوصٌ**

الأصوص، الناقة الحائل السمينة، الصوص اللئيم. قال الشاعر:

فألفيتكم صوصاً لصوصاً إذا دجا ... الظلام وهيابين عند البوارق

يضرب للأصل الكريم، يظهر منه فرع لئيم ويستوي في الصوص الواحد والجمع.

- **أخذتِ الإبل أسلحتها**

ويروى رماحها، وذلك إن تسمن فلا يجد صاحبها من قلبه أن ينحرها.

- **إن ضَجَّ فزدْهُ وقراً**

ويروى إن جرجر فزده ثقلاً، أصل هذا في الإبل ثم صار مثلاً، لأن تكلف الرجل حاجة فلا يضبطها، بل يضجر منها فيطلب أن تخفف عنه فتزيده أخرى كما يقال: زيادة الأبرام تدنيك من نيل المدام.

● إنما القدم من الأفيل

القدم الفحل، والأفيل العضيل، يضرب لمن يعظم بعد صفره.

● إذا زحف البعيرُ أعيته أذناه

يقال زحف البعير إذا أعيا مجد فرسه عياء قاله الخليل. يضرب لمن يثقل عليه حمله فيضيق به ذرعاً.

● أوَّلُ الصَّيْدِ فَرعٌ

الفرع أول ولد للناقة، كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك، وكان الرجل يقول إذا تمت إبلي كذا غدت أول نتيج منها، وكانوا إذا أرادوا نحره زينوه وألبسوه. ولذلك قال أوس يذكر أزمة في شدة البرد:

شبَّه الهيدبُ العبام من الأقـ ... ـوام سقباً مجلّلاً فرعا

قال أبو عمر: ويضرب عند أول ما يرى من خير في زرع أو ضرع، وفي جميع المنافع. ويروى، أول الصيد فرح ونصاب، وذلك أنهم يرسلون أول شيء يصيدونه يتيمنون به. ويروى أول صيد فرعه أي أراق دمه، وأول رفع على تقدير هو أو هذا أول صيد فرعه. يضرب لمن لم يُرَ منه خير قبل فعلته هذه.

● آخِرُها أقَلُّها شُرْباً

أصله في سقي الإبل. يقولون إن المتأخر عن الورود ربما جاء وقد مضى الناس بعفوة الماء، وربما وافق منه نفاداً، فكن في أول من يرد فليس تأخير الورود إلا من العجز والذل. قال النجاشي أحد أبناء الحرث بن كعب يذم قوماً:

ولا يردون الماء إلا عشية ... إذا صدر الوراد عن كل منهل

● أشَدُّ الصدار يأتي دون الذِّيَارِ

الصدار، خيط يشد فوق الخلف والتويه لئلا يرضع الفصيل. والذيار بعد رطب يلطخ به أطباء الناقة لئلا يرتضعها فصيلها. فإذا جعل الذيار على الخلف ثم شد عليه الصدار، فربما قطع الخلف. يضرب هذا في موضع قولهم (بلغ الحزام الطبيين) يعني: تجاوز الأمر حده.

● **إحدى عَشيَّاتِكَ من سقى الإبل**

يضرب للمتعب في عمل.

● **إبلي لم أبع ولم أهب**

أي لم أبعها ولم أهبها. يضرب للظالم يخاصمك في ما لاحقَّ له فيه.

● **إنها الإبل بسلامتها**

قال يونس: زعموا أن الضبيع أخذت فصيلاً رازماً في دار قوم قد ارتحلوا وخلوه، فجعلت تجليه للكلأ وتأتيه فتغاره إياه، حتى إذا امتلأ بطنه وسمن أتته لتستاقه فركضها ركضة دقم فاها، فعند ذلك قالت الضبع: إنها الإبل بسلامتها. يضرب لمن تزدريه فأخلف ظنك.

● **أخذت الإبل رماحها**

ويروى أسلحتها. وذلك إذا سمنت فلا يجد صاحبها من نفسه أن ينحرها.

● **إن القلوص تمنع أهلها الجلاء**

وذلك إنها تنتج بطناً فيشرب أهلها سنتهم. ثم تنتج ربعاً فيبيعونه. والمراد أنهم يتبلغون بلبنها وينتظرون لقاحها. يضرب للضعيف الحال يجاور منعماً.

● **إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة**

الدقيقة: الغنم، والجليلة: الإبل وهي لا يمكنها أن تشبع، والغنم يشبعها القليل من الكلأ، فهي تفعل ذلك. يضرب للفقير يخدم الغني.

● **أبو وثيل أَبلت جماله**

يقال أبلت الإبل والوحش، إذا رعت الرطب فسمنت. يضرب لمن كان ساقطاً فارتفع.

● **إني ملبطُ الرفْدِ من عويمر.**

المليط: السقط من أولاد الإبل قبل أن يشعر. والرفد: العطاء. يريد اني ساقط الحظ من عطائه. يضرب لمن يختص بإنسان، ويقل حظه من إحسانه.

● إن كنت الحالبة فاستغزري

أي إن قصدت الحلب فاطلبي ناقة غزيرة. يضرب لمن يدل على موضع حاجته.

● إن أخا الخلاط أعشى بالليل

الخلاط أن يخلط إبله بإبل غيره ليمنع حق الله تعالى منها، وفي الحديث (لاخلاط ولا وراط) أي لا يجمع بين متفرقين. والوراط أن يجعل غنمه في ورطة، وهي الهوة من الأرض. يضرب للمريب الخائن.

● آخِرُ البزّ على القَلُوصِ

البز، الثياب، والقلوص الأنثى من الإبل الشابة.

● آبلُ من حنيف الحناتم

هو رجل من بني تيم اللات بن ثعلبة، وكان ظمىء إبله غباً بعد العشر، وأظماء الناس غبّ وظاهرة. والظاهرة أقصد الأظماء، وهي أن ترد الإبل الماء في كل يوم مرة، ثم الغب وهي أن ترد الماء يوماً وتغيب يوماً. والربع، أن ترد يوماً ويومين لا وترد في اليوم الرابع. وعلى هذا القياس إلى العشر. قالوا ومن كلام حنيف الدال على إبالته قوله: من قاظ الشرف وتربع الحزن وتشتى الصمان فقد أصاب المرعى. فالشرف في بلاد بني عامر، والحزن من زبالة مصعداً في بلاد نجد، والصمان في بلاد بني تميم.

● آبلُ مِنْ مالك بن زيد مناة

هو سبط تميم بن مرة. وكان يتحمق إلا أنه كان آبل أهل زمانه، ثم إنه تزوج وبنى بامرأته. فأورد أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها. فقال مالك:

أوردها سعد وسعد مستمل   ماهكذا تورد يا سعد الإبل

فأجابه سعد وقال:

تظل يوم وردها مذعفراً   وهي خناطيل تجوس الخضرا

● بعد خيرتها تُحتَفِظُ

ويروى، بعد خيرتها، والهاء راجعة إلى الإبل، أي بعد إضاعة خيارها تحتفظ

بحواشيها وشرارها. يضرب لمن يتعلق بقليل ماله بعد إضاعة أكثره.

● **بِئْسَ العِوَضُ مِنْ جَمَلٍ قَيْدُهُ**

وذلك أن راعياً أهلك جملاً لمولاه ثم أتاه بقيده. فقال: بئس العوض... إلخ.

● **بِحَسْبِهَا أَنْ تُمْتَذِقَ دعاؤُها**

امتذق، إذا شرب مذقه من لبن. يقال هذا في الإبل المراويد، وهي التي قلّت ألبانها. يضرب للرجل يطلب منه النصر أو العرف، أي حسبه أنه يقوم بأمر نفسه.

● **بَيْتٌ بِهِ الحِيتَانُ والأُنوقُ**

وهما لا يجتمعان. يضرب لضدين اجتمعا في أمر واحد.

● **بِشْرٌ كَحَنَّةِ العلوق الدَّائِمِ**

البشر، رونق الوجه وصفاء لونه. والعلوق، الناقة التي ترأم الولد بأنفها وتمنعه درها. يضرب لمن يحسن القول ويعتصر عليه.

● **أَبْغَضُ من الطَّلْياء**

هذا يفسر على وجهين. يقال: الطلياء: الناقة الجرباء المدلية بالهناء، ويروى هذا المثل بلفظ آخر، فيقال أبغض إليّ من الجرباء ذات الهناء. وذلك أنه ليس شيء أبغض إلى العرب من الجرب لأنه يعدي.

● **أَتْبِعِ الفَرَس لِجامَهَا والنَّاقَةَ زِمَامَهَا**

قال أبو عبيد: أرى معناه أنك قد وجدت بالفرس واللجام أيسر خطباً فأتم الحاجة، كما أن الفرس لا غنى بها عن اللجام. وكان المفضل يذكر أن المثل لعمرو بن ثعلبة الكلبي؛ أخي عدي بن جناب الكلبي. وكان ضرار بن عمرو الضبي أغار عليهم فسبى يومئذ سلمى بنت وائل الصائغ، وكانت يومئذ أمة لعمرو بن ثعلبة؛ وهي أم النعمان بن المنذر، فمضى بها ضرار مع ما غنم فأدركه عمرو بن ثعلبة، وكان له صديق فقال: أنشدك الأخاء والمودة ألا رددت علي أهلي. فجعل يردد شيئاً فشيئاً حتى بقيت سلمى، وكانت قد أعجبت ضراراً، فأبى أن يردها فقال عمرو يا ضرار اتبع الفرس لجامها فأرسلها مثلاً. قال غيره: أصل هذا أن ضراراً بن عمرو قاد ضبه إلى الشام فأغار على كلب بن بره فأصاب فيهم وغنم وسبى الذراري، فكانت في السبي الرائعة قينة،

كانت لعمرو بن ثعلبة، وبنت لها يقال لها سلمى بنت عطية بن وائل. فسار ضرار بالغنائم والسبي إلى أرض نجد، وقدم عمرو بن ثعلبة على قومه، ولم يكن شهد غارة ضرار عليهم فقيل له: إن ضرار بن عمرو أغار على الحلى فأخذ أفوالهم وذراريهم، فطلب عمرو بن ثعلبة ضراراً وبني ضبه فلحقهم قبل أن يصلوا إلى أرض نجد. فقال عمرو بن ثعلبة لضرار: رد عليّ مالي وأهلي. فرد عليه ماله وأهله ثم قال: رد عليّ قياني، فردّ عليه قينته الرائعة وحبس ابنتها سلمى، فقال له عمرو: يا أبا قبيصة اتبع الفرس لجامِها.

● اتَّخَذَ اللَّيْلَ جَمَلاً

يضرب لمن يعمل العمل بالليل من قراءة أو صلاة أو غيرها، مما يركب فيه الليل. وقال بعض الكتّاب في رجل فات بمالٍ وطوى المراحل: اتخذ الليل جملاً، وفات بالمال كملاً، وعبر الوادي عجلاً.

● التَّمْرُ في البِئْرِ وَعَلَى ظَهْرِ الجَمَلِ

أصل ذلك أن منادياً في ما زعموا كان في الجاهلية يقوم على أطم من آطام المدينة، حين يدرك البسر فينادي التمر في البئر. أي من سقى وجد عاقبة سقيه في تمره. وهذا قريب من قولهم: عند الصباح يحمد القوم السّرى.

● تُوَطِّنُ الإبلُ وَتَعَافُ المِعْزَى

أي إن الإبل توطن نفسها المكاره لقوتها، وتعافها المعزى لذلتها وضعفها. يضرب للقوم تصيبهم المكاره، فيوطنون أنفسهم عليها، ويعافها جبناؤهم.

● تركْتُهُ على مثل عِضرطِ العَيْرِ

عضرط العير عجانه. يضرب لمن لم تدع له شيئاً.

● أَتْمَكُ مِنْ سَنام

التموك، الارتفاع، والسمن والتامك من الإبل العظيم السنام وأتمكها الكلأ، أي سمنها يعني الناقة.

● أَتْخَمُ من فَصِيلٍ

لأنه يرضع أكثر مما يطيق، ثم يتخم، وكان الأصل أن يقال أوخم من وخم

يوخم، إلا أنهم بنوه من الإتخام توهّما أن التاء أصلية كما توهموها في التكلة والتهمة وأشباههما، فألزموها التاء في التصغير والجمع فقالوا: تكيلة وتهيمة وتكل وتهم.

● **أتعبُ من راكب فصيل**

لأنه غير مروض.

● **أَثْقَلُ مِنْ حِمْلِ الدُّهَيْمِ**

هواسم ناقة عمرو بن زبان

● **جذها جذَّ العَيْر الصِلِّيَانَة**

الجذ: القطع، والكسر والصليان: بقل ربما اقتلعه العير من أصله إذا ارتعاه. ووزنه فعليان. يضرب لمن يدع الحالف من غير تتعتع وتمكث، والهاء في جذها كناية عن اليمين.

● **جَلَّ الرَّفْد عن الهاجن**

الرفد: القدح، والهاجن: البكرة تنتج قبل أن يطلع عليها سن، ويراد جلت الهاجن عن الرفد. يضرب لمن يصغر عن الأمر ولا يقوى عليه. وقال بعضهم أصل ذلك أن ناقة هاجناً لقوم نتجت وكانت غزيرة، تملأ الرفد، فلما أسنت ونيبت قلّ لبنها، فقال أهلها للراعي ما لها لا تملأ الرفد كما كانت تفعل؟ فقال: جلت الهاجن عن الرفد. قال أبو عمرو: جل الرفد عن الهاجن. يضرب للرجل قليل الخير.

● **الجمل من جوفه يجترُّ**

يضرب لمن يأكل من كسبه أو ينتفع بشيء يعود عليه بالضرر.

● **أجرى من الأيهين**

قالوا: هما السيل والجمل الهائج.

● **حلب الدهر اشطره**

هذا مستعار من حلب أشطر الناقة. وذلك إذا حلب خلفين من أخلافها ثم يحلها الثانية خلفين أيضاً. ونصب أشطره على البدل، فكأنه قال حلب اشطر الدهر. والمعنى أنه اختير الدهر شطري خيره وشره، فعرف ما فيه. يضرب في من جرب الدهر.

• حبلك على غاربك

الغارب أعلى السنام، ولهذا كناية على الطلاق، أي اذهبي حيث شئت. وأصله أن الناقة إذا رعت وعليها الخطام ألقي على غاربها لأنها إذا رأت الخطام لم يهنئها شيء.

• حرامُهُ يركب من لا حلال له

ذكر المفضل بن محمد الضبي أن جبيلة بن عبدالله أخا بني قريع بن عوف أغار على إبل جرية بن أوس بن عامر يوم مسلوق، فأطرد إبله غير ناقة كانت فيها، مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها، وكان في الإبل فرس لجرية يقال لها العمود، وكانت مربوطة ففزعت وهربت، وكان لجرية ابن أخت يرعى إبله، فبلغ الخبر خاله والقوم قد ساقوا الإبل غير تلك الناقة الحرام. فقال جرية: رد عليَّ تلك الناقة لأركبها في إثْر القوم. فقال له الغلام: إنها حرام. فقال جرية: حرامه يركب من لا حلال له. يضرب لمن اضطر إلى ما يكرهه.

• أحلبت ناقتك أم أجلبت

يقال أحلب الرجل، إذا نتجت إبله إناثاً فيحلب ألبانها. واجلب إذا نتجت إبله ذكوراً فيجلب أولادها للبيع. والعرب تقول في الدعاء على الرجل: لا أحلبت ولا أجلبت. ودعا رجل على رجل فقال: إن كنت كاذباً فحلبت قاعداً، وشربت بارداً، أي حلبت شاة لا ناقة، وشربت بارداً غير ثقل.

• حِمْلُ الدُّهَيْمِ وما تَزْبي

الدهيم اسم ناقة عمرو بن الزبان التي حمل عليها رؤوس أولاده إليه، ثم سميت الداهية بها. والزبي الحمل. يقال: زباه وازدباه إذا حمله. يضرب للداهية العظيمة إذا تفاقمت.

• حَلوبةٌ تُثمِلُ ولا تُصَرِّحُ

الحلوبة: الناقة التي تحلب لأهل البيت أو للضيف. وأثملت الناقة إذا كان لبنها أكثر ثمالة من لبن غيرها، والثمالة الرغوة، وصرحت إذا كان لبنها صراحاً أي خالصاً. يضرب للرجل يكثر الوعيد والوعد، ويقل وفاؤه بها.

● **أحرُّ من القَرع**

هو بثر يأخذ صغار الإبل في رؤوسها وأجسادها فتقرع، والتقريع: معالجتها لنزع قرعها، وهو أن يطلوها بالملح وحباب ألبان الإبل. فإذا لم يجدوا ملحاً نتفوا أوبارها، ونضحوا جلدها بالماء، ثم جروها إلى السبخة. قال أوس بن حجر يصف خيلاً:

لـدى كـل اخـدود يـغـادرن فـارسـاً   يـجـر كـمـا جـر الـفـصـيـل الـمـقـرع

● **أحنّ من شارف**

الشارف الناقة المسنّة، وهي أشد حنيناً على ولدها من غيرها. قلت كذا أورده حمزة رحمه الله، حنيناً على، والصواب حنيناً إلى، أو حناناً على، إن أراد العطف والرأفة.

● **خذ منها ما قطع البطْحاء**

قوله: منها، أي من الإبل. والبطحاء: تأنيث الأبطح وهو مسيل فيه دقاق الحصى، والجمع بطاح على غير قياس، أي خُذْ منها ما كان قوياً. يضرب في الاستعانة بأولي القوة.

● **اختلفت رؤوسها فرتعت**

الهاء راجعة إلى الإبل، وإنما تختلف رؤوسها عند الرتوع. يضرب في اختلاف القوم في الشيء.

● **اخْتَلَط المرْعيُّ بالهَمَلِ**

يقال إبل همل، وهو همل وهمال واحدهما هامل، والمرعى التي فيها رعاؤها، والهمل ضدها. يضرب للقوم وقعوا في تخليط.

● **أخلفُ من بول الجمل**

هذا من الخلاف لا من الخلف لأنه يبول إلى الخلف.

● **أخف حلماً من بعير**

هو من قول الشاعر:

ذاهـــب طـــولاً وعـــرضـــاً   وهـــو فـــي عـــقـــل بـــعـــيـــر

ومن قول الآخر:

لقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي لكل وجه ... ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوي ... فلا غير لديه ولا نكير

● أخبطُ من عشواءُ

هي الناقة التي لا تبصر بالليل، فهي تطأ كل شيء، ويقال في مثل آخر إن أخا الخلاط أعشى بالليل. قالوا الخلاط: القتال. وصاحب بالليل لا يدري من يضرب.

● الذود إلى الذود إبل

قال ابن الأعرابي: الذود لا يوحد، قد يجمع أذواداً وهو اسم مؤنث يقع على قليل الإبل، ولا يقع على الكثير، وهو ما بين الثلاث إلى العشر إلى العشرين إلى الثلاثين، ولا يجاوز ذلك. يضرب في اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدي إلى الكثير.

● أذل من بعير سانيه

وهو البعير الذي يستقى عليه الماء. قال الطرماح:

قبيلة أذل من السواني ... وأعرف للهوان من الخصاف

يعني النعل.

● رعى فَأَقْصَبَ

يقال قصب البعير يقصب، إذا امتنع عن الشرب وأقصب الراعي إذا فعلت إبله ذلك، أي أساء رعيها فامتنعت عن الشرب، وليس في قوله رعى ما يدل على الإساءة والتقصير، ولكن استدل بقوله اقصب على سوء الرعي، وذلك أن الإبل امتنعت عن الشرب، إما لخواء أجوافها، وإما لامتلائها، وهما يدلان على إساءة الرعي. يضرب لمن لا ينصح ولا يبالغ فيما تولى حتى يفسد الأمر.

● رئِمتْ لهُ بَوَّ ضيْمِ

البوّ جلد الحوار المحشو تبناً، وأصله أن الناقة إذا ألقت سقطها فخيف انقطاع لبنها أخذوا جلد حوارها، فيحشى ويلطخ بشيء من سلاها، فترأمه وتدر عليه. يقال ناقة رائم ورؤوم إذا رئمت بوّها أو ولدها، فإن رئمته ولم تدر عليه، فتلك العلوق وينشد:

أنّى جزوا عامراً سوءى بفعلهم أم كيف يجزونني السوءى من الحسن
أم كيف ينفع ما تعطى الغلوق به رئمان أنف إذا ما ضنَّ باللبن

وأنشد المبرد:

رئمت بسلمى بوضيم وأنني قديماً لآبى الضيم وابن أباة
فقد وقفتني بين شك وشبهة وما كنت وقافاً على الشبهات

يضرب المثل لمن ألف الضيم ورضي بالخسف له طلباً لرضا غيره. واللام في له، معناه لأجله. واستعار للضيم بوًّا ليوافق الرئمان. يريد قبلت والفت هذا الضيم لأجله.

● إِرْقَ عَلَى ظَلْعِكَ

يقال: ظلع البعير، يظلع إذا غمز في مشيته. ومعنى المثل تكلف ما تطيق، لأن الراقي في سلم أو جبل إذا كان ظالعاً فإنه يرفق بنفسه. ويقال: قِ على ظلعك من وقي يقي. أي ابق عليه. يضرب لمن يتوعد فيقال له اقصد بذرعك وارق على ظلعك، أي على قدر ظلعك، أي لا تجاوز حدك في وعيدك، وأبصر نقصك وعجزك عنه. ويقال: ارقأ على ظلعك بالهمز، أي أصلح أمرك أولاً من قولهم: رقأت ما بينهم، أي أصلحت، ويقال معناه كفّ واربع وامسك من رقأ الدمع يرقأ. قال الكسائي: معنى ذلك كله اسكت على ما فيك من العيب.

قال المرار الأسدي:

من كان يرقى على ظلع يدارئه فإنني ناطق بالحق مفتخر

● رَكِبَ المَغَمَّضَةَ

أصلها الناقة ذيدت عن الحوض فغمضت عينيها، فحملت على الذائد فوردت الحوض مغمضة. قال أبو النجم. يرسلها التغميض إن لم ترسل.. وقال بعضهم: إياك ومغمضات الأمور، يعني الأمور المشكلة. قال الكميت:

تحت المغمضة العماس وملتقى الأسل النواهل

يضرب لمن ركب الأمر على غير بيان. وتقدير المثل، ركب الخطة المغمضة. أي ركب الخطة التي يغمض فيها، ويجوز أن يقال: أراد ركب ركوب المغمضة، أي ركب رأسه ركوب الناقة المغمضة رأسها.

● أرِها أَجْلَى أَنَّى شِئْتَ

أجلى، مرعى معروف. وهذا من كلام حنيف الحناتم لما سئل عن أفضل مرعى، وكان من آبل فقال: كذا وكذا، فعد مواضع ثم قال بعد هذا أرها، يعني الإبل أجلى أنى شئت، يعني متى شئت، أي أعرض عليها. ويروى أرعها أجلى. يضرب مثلاً للشيء بلغ الغاية في الجودة.

● ركبت عنذُ بحدج جَمَلاً

عنذ امرأة من طسم، سبيت فحملت في هودج يهزأون بها، والتقدير ركبت عنذ جملاً مع حدج، أو جملاً سائراً بحدج.

● أَرْخِ عِنَاجَهُ يُدَالِكَ

العناج، العنج وهو أن تثني بالزمام والمدالة، المداراة والرفق، أي أرفق به يتابعك وذلك أن الرجل إذا ركب البعير الصعب وعنجه بالزمام لم يتابعه، ويجوز أن يكون يدالك من الدلو، وهو السير الرويد، يقال: دلوت الناقة، أي سيرتها سيراً رويداً وقال:

لا تـقـلـواهـا وادلـواهـا دلـوا   إن مـع الـيـوم أخـاه غـدوا

● رَتْواً تحلبُ الأبكَارْ

قال الأموي: رتوت بالدلو، أي مددتها مداً رفيقاً، والأبكار جمع بكر، وهي من الإبل الناقة التي ولدت بطناً واحداً. ونصب رتواً على المصدر، أي أرفق رفقاً يلحق الأتباع.

● رَزَمَةٌ ولا دِرَّةٌ

الرزمة حنين الناقة. والدرة كثرة اللبن وسيلانه. يضرب لمن يعد ولا يفي.

● رَبَاعي الإبل لا يَرْتَاعُ من الجرَسِ

هذا مثل تبتذله العامة، والرباعي الذي ألقى رباعيته من الإبل وغيرها، وهي السن التي بين الثنية والناب. يقال رباع مثل ثمانٍ، والأنثى رباعية. قال العجاج يصف حماراً وحشياً: رباعياً مرتبعاً أو شوقباً، ويطلق على الغنم في السنة الرابعة، وعلى البقر والحافر في الخامسة، وعلى الخف في السابعة. يضرب لمن لقي الخطوب ومارس الحوادث.

● أَرجَلُ من خفٍ

يعنون به البعير، والجمع أخفاف وخفاف، وهي قوائمه.

● أساء رعياً فسقى

أصله أن يسيء الراعي الإبل نهاره حتى إذا أراد أن يريحها إلى أهلها كره أن يظهر لهم سوء أثره عليها فيسقيها الماء لتملأ منه أجوافها. . يضرب للرجل لا يحكم الأمر، ثم يريد إصلاحه فيزيده فساداً.

● سير السواني سفر لا ينقطعُ

السواني، الإبل يستقى عليها الماء من الدواليب، فهي أبداً تسير.

● سلط الله عليه الأيهين

ويقال الأعين يعني السيل والجمل الهائج.

● شتَّى يؤُوبُ الحَلَبَةُ

وذلك أنهم يوردون إبلهم وهم مجتمعون، فإذا صدروا تفرقوا، واشتغل كل واحد منهم بحلب ناقته، ثم يؤوب الأول فالأول. يضرب في اختلاف الناس وتفرقهم في الأخلاق وشتى في موضع الحال، أي يؤوب الحلبة متقدمين وشتى فعلى من شئت يشت إذا تفرق.

● شِقْشِقة هَدَرَتْ ثم قرَّت

الشقشقة شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج. وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة، فإنما يشبه بالفحل. ولأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خطبه تعرف بالشقشقية، لأن ابن العباس رضي الله عنهما قال له حين قطع كلامه: يا أمير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث أفضيت. فقال: هيهات يا بن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرَّت.

● شرُّ الضروع ما درَّ على العصَب

وهو أن يشد فخذ الناقة حتى تدر. ويقال لتلك الناقة عصوب.

• شرُّ دواء الإبلِ التَّذْبيحُ

وذلك أن السنة إذا كانت مجدبة يخاف منها على الإبل ذبحوا أولادها لتسلم الأُمّات. يضرب لمن فر من أمر فوقع في شر منه.

• شرٌّ مرغُوب إليه فصيل رَيَّانُ

وذلك أن الناقة لا تكاد تدر إلا على ولد أو على بُوٍّ. فإذا كان الفصيل ريان لم يمدها فبقي أربابها من غير لبن. يضرب للغني التجأ إليه محتاج.

• أشأم من طير العراقيب

هي طير الشؤم عند العرب، وكل طائر يتطير منه للإبل فهو من طير عرقوب لأنه يعرقبها.

• أشأمُ من وزْقاءَ

يعنون الناقة، وهي مشؤومة، وذلك ربما نفرت فذهبت في الأرض، وهذا المثل ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام، ولم يعتل فيه بأكثر من هذا. قال حمزة: قلت روى أبو الندى أشأم من زرقاء. وقال: هي اسم ناقة نفرت براكبها فذهبت في الأرض.

• أشرَبُ من الهيم

وهي الإبل العطاش. قال الله تعالى: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ وهو جمع الهيم، وهيماء من الهيام. وهو أشد العطش. وقال الأخفش: هي الرمل. جعله من الهيام وهو الرمل الذي لا يتماسك في اليد. قلت: هذا وجه جيد، إلا أن جمعه هيم، مثال قذال وقذل. ثم يجوز أن يقدر سكون الياء فيصير فعلاً مثل قذل وسحب، في تخفيف قذل وسحب، ثم فعل به ما فعل بعين وبيض ليفرّق بين الواوي واليائي. والمفسرون على أنها الإبل العطاش. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي التي بها الهيام، وهو داء، فلا تروى. قال الشاعر:

ويأكل أكل الفيل من بعد شبعه   ويشرب شرب الهيم من بعد أن يروى

• اشأمُ من سَرَابَ

قالوا: هو اسم ناقة البسوس.

● صدقني سن بكرِهِ

البكر، الفتى من الإبل. ويقال صدقته الحديث، وفي الحديث يضرب مثلاً في الصدق. وأصله أن رجلاً ساوم رجلاً في بكر فقال: ما سنه، فقال صاحبه بازل، ثم نفد البكر فقال له صاحبه: هدع هدع، وهذه لفظة تقال يسكن بها صغار الإبل، فلما سمع المشتري هذه الكلمة قال: صدقني سن بكره. قال أبو عبيد هذا المثل يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه أتى فقيل له إن بني فلان وبني فلان اقتتلوا فغلب بنو فلان فلم يُصَدِّقْ ذلك، ثم أتاه آتٍ فقال: بل غلب بنو فلان للقبيلة الأخرى، فقال علي: صدقني سن بكره. وقال أبو عمرو: دخل الأحنف على معاوية بعد ما مضى علي رضي الله تعالى عنه، فعاتبه معاوية وقال له: أما إني لم أنسَ ولم أجهل اعتزالك يوم الجمل ببني سعد، ونزولك بهم سفوان وقريش تذبح بناحية البصرة ذبح الحيران. ولم أنسَ طلبك إلى عليّ أن يدخلك في الحكومة لتزيل عني أمراً جعله الله لي وقضاه، ولم أنسَ تخصيصك بني تميم يوم صفين على نصره على كل يبكته. قال فخرج الأحنف من عنده فقيل له: ما صنع بك؟ وما قال لك؟ قال صدقني سن بكره، أي خبرني بما في نفسه، وما انطوت عليه ضلوعه.

● صَبْحَى شَكَوْتُ فاسْتَشَنَّت طالِقُ

يقال ناقة صبحى إذا حلب لبنها. والطالق الناقة التي يتركها الراعي لنفسه فلا يحلبها على الماء يقول: هذه الصبحى شكوتها إذا حلبت، فما بال هذه الطالق صار ضرعها كالشن البالي؟ يضرب للرجلين يعذر أحدهما في أمر قد تقلداه معاً، ولا يعذر الآخر فيه لاقتداره عليه إن عجز عنه صاحبه.

● أصولُ من جَمَلٍ

معناه أعض. يقال صال الجمل وعقر الكلب. قاله حمزة. قلت: وقال غيره صال إذا وثب صولاً وصولة وصيالاً. والفحلان يتصاولان، أي يتواثبان. وصال العير إذا حمل على العانة. فأما صال إذاً، فَمِمَّا تفرّد به حمزة. وأما قولهم جمل صؤل. فقال أبو زيد: صؤل البعير بالهمز، يصؤل صآلة إذا صار يقتل الناس، ويعدو عليهم فهو صؤل. وفي الحديث: إن المعرفة تنفع عند الجمل الصؤل والكلب العقور. وقال:

ولم يخشوا مصاءلة عليهم وتحت الرغوة اللبن الصريح

ويروى: ولم يخشوا مصالته عليهم. وهما رواية حمزة قلت: والصحيح ولم يخشوا مصالته عليهم، وهو مصدر صال، كالمقالة مصدر قال. والشعر لنضلة وأوله:

ألم تسلِ الفوارس يوم غول بنضله وهو موتور مشيح
رأوه فازدروه وهو حر وينفع أهله الرجل القبيح
ولم يخشوا مصالته عليهم وتحت الرغوة اللبن الصريح

أي صوله. قال المبرد: يقول إذا رأيت الرغوة، وهو ما يرغو كالجلدة في أعلى اللبن لم تدر ما تحتها. فربما صادفت اللبن الصريح إذا كشفتها، أي إنهم رأوني فازدروني لدمامتي فلما كشفوا عني وجدوا غير ما رأوا.

● ضَربَ أخماساً لأسدَاسٍ

الخمس والسدس من أظماء الإبل. والأصل فيه أن الرجل إذا أراد سفراً بعيداً عود إبله أن تشرب خمساً ثم سدساً حتى إذا أخذت في السير صبرت على الماء. وضرب بمعنى بيَّن وأظهر كقوله تعالى: ﴿ضرب لكم مثلاً﴾. والمعنى أظهر أخماساً لأجل أسداس، أي رقى إبله من الخمس إلى السدس. يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره. أنشد ثعلب:

الله يعلم لولا أنني فرق من الأمير لعاتبت ابن نبراس
في موعد قاله لي ثم أخلفني غداً غداً ضرب أخماس لأسداس

● ضرب في جَهَازه

أصله في البعير يسقط عن ظهره القتب بأداته فيقع بين قوائمه، فينفر منه حتى يذهب في الأرض. وضرب، معناه سار. وفي من صلة المعنى، أي صار عاشراً في جهازه. يضرب لمن ينفر من الشيء نفوراً لا يعود بعده إليه.

● ضَرَبَهُ ضَرْبَ غَرَائِبِ الإبل

ويروي: أضربه ضرب غريبة الإبل. وذلك أن الغريبة تزدحم على الحياض عند الورود، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله، ومنه قول الحجاج في خطبته يهدد أهل العراق: والله لأضربنكم ضرب غرائب الإبل. قال الأعشى:

كطوف الغريبة وسط الحياض تخاف الردى وتريد الجفارا

يضرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن.

• الضَجُورُ قد تَحْلِبُ العُلْبَةَ

الضجور، الناقة الكثيرة الرغاء، فهي ترغو وتحلب. يضرب للبخيل، يستخرج منه الشيء وإن رغم أنفه. ونصب العلبة على المصدر كأنه قيل قد تحلب الحلبة المعهودة، وهي أن تكون ملء العلبة.

• ظِئَارُ قَوْمٍ طَعْنٌ

الظئار، المظائرة. يقال ظأرت الناقة وظاءرها إذا عطفتها على ولد غيرها، وظأرت الناقة أيضاً يتعدى ولا يتعدى. وهذا مثل قولهم: الطعن يا ظأر. يضرب لمن يحمل على الصلح خوفاً.

• عَوْدٌ يُقَلَّحُ

العود البعير المسن، يقال عود تعويداً إذا صار عوداً، وهو السن بعد البذول بأربع سنين، ويقال سؤدد عود أي قديم وينشد:

هل المجد إلا السؤدد العود والندى ورأب الثأي والصبر عند المواطن

والتقليح، إزالة القلح، وهو خضرة أسنانها وصفرة أسنان الإنسان. يضرب للمسن يؤدب ويراض.

• عوْدٌ يُعَلَّمُ العَنْجَ

العنج بتسكين النون، ضرب من رياضة البعير، وهو أن يجذب الراكب خطامه فيرده على رجليه، يقال عنجه يعنجه، والعنج الاسم ومعنى المثل كالأول في أنه جل عن الرياضة كما جلّ ذلك عن التلقيح، وذلك أن العنج إنما يكون للبكارة. فأما العودة فلا تحتاج إليه.

• عَرَضَ عَلَيَّ الأَمْرَ سَوْمَ عالةٍ

قال الأصمعي: أصله في الإبل التي قد نهلت في الشرب ثم علت الثانية، فهي عالة، فتلك لا يعرض عليها الماء عرضاً يبالغ فيه. ويقال: سامه سوم عالة، إذا عرض عليه عرضاً ضعيفاً غير مبالغ فيه، التقدير: عرض علي الأمر عرض عالة، ولكن لما تضمن العرض معنى التكليف جعل السوم له مصدراً فكأنه قال: عرض علي الأمر فسامني ما يسام الإبل التي علت بعد النهل، ومن روى: سامني الأمر سوم عالة، كان على اللقم الواضح.

● عَرَفَ حُمَيْقٌ حَجَلَهُ

إني عرف هذا القدر وإن كان أحمق، ويروى: عرف حميقاً حجله، أي أن حجله عرفه فاجترأ عليه. يضرب في الإفراط في مؤانسة الناس ويقال: معناه عرف قدره. ويقال: يضرب لمن يستضعف إنساناً ويولع به فلا يزال يؤذيه ويظلمه.

● أعْديتِني فَمَنْ أعْداكِ

أصل هذا أن لصاً تبع رجلاً معه مال وهو على ناقة له فتثاءب اللص فتثاءبت الناقة، فتثاءب راكبها ثم قال للناقة: أعديتني فمن أعداك وأحس باللص فحذره، وركض ناقته. يضرب في عدوى الشر، والعرب تقول: أعدى من الثؤباء من العدوى.

● العُنُوقُ بعد النُّوق

العناق الأنثى من أولاد المعز، وجمعه عنوق، وهو جمع نادر والنوق جمع ناقة. يضرب لمن كانت له حال حسنة، ثم ساءت أي كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق.

● عشب ولا بعيرٌ

أي هذا عشب وليس بعيراً يرعاه. ويضرب للرجل له مال كثير، ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره.

● عَنِيَّتُهُ تشفي الجَرَبَ

العنية، بول البعير يعقد في الشمس يطلى بها الأجرب قلت هي فعيلة من العناء، أي يعني متى طلي بها وتشتد عليه. ويجوز تعنيه، أي تزيل عناءه الذي يلقاه من الجرب، فيكون من باب قدرته، أي أزلت قداده. يضرب للرجل الجيد الرأي يستشفى برأيه في ما ينوب.

● عيٌّ بالأسناف

قال الخليل: السناف للبعير بمنزلة اللبب للدابة. وقد سنفت البعير شددت عليه السناف. وقال الأصمعي: اسنفت ويقولون: أسنفوا أمرهم، أي أحكموه. ثم يقال لمن تحير في أمره: عيٌّ الأسناف. وأصله أن رجلاً دهش فلم يدر كيف يشد السناف من الخوف فقالوا: عيٌّ بالأسناف. قال الشاعر:

إذا ما عيَّ بالأسناف قوم   من الأمر المشبه أن يكونا

قلت قال الأزهري: الأسناف التقدم، وأنشد هذا البيت ثم قال: أي عيوا بالتقدم. وليس قول من قال أن معنى قوله إذا ما عيَّ بالأسناف أن يدهش فلا يدري أن يشد السناف بشيء، إنما قاله الليث.

● أعقِلْ وتوكَّلْ

يضرب في أخذ الأمر بالحزم والوثيقة. ويروى أن قال للنبي صلى الله عليه وسلم أرسل ناقتي واتوكل؟ قال اعقلها وتوكل.

● عجّل لإبلك ضحاءها

الضحاء مثل الغذاء. يضرب في تقديم الأمر.

● عُودِي إلى مباركِكِ

أي عاد إلى طريقه الأولى. يضرب في عادة السوء يدعها صاحبها ثم يرجع إليها.

● على غريبتها تُحدى الإبلُ

وطلك أن تضرب الغريبة لتسير فتسير بسيرها الإبل.

● عند رؤوس الإبل أَرْبَابُها

يضرب لمن يندرىء ويطغى على صاحبه. أي عندي من يمنعك.

● غدَّة كغدةِ البعير وموتٌ في بيت سلوليّه

يروى أغدة وموتاً، نصباً على المصدر، أي أوغد إغداداً وأموت موتاً. يقال أغد البعير إذا صار ذا غدة، وهي طاحونة. ومن روى بالرفع فتقديره غدتي كغدة البعير وموتي موت في بيت سلوليّه. وسلول عندهم أقل العرب وأذلهم وقال:

إلى الله أشكو أنني بتّ طاهراً   فجاء سلولي فبال على رجلي
فقلت اقطعوها بارك الله فيكم   فإني كريم غير مدخلها رحلي

وهذا من قول عامر بن الطفيل، قدم على النبي صلعم، وقدم معه إربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة العامري الشاعر لأمه فقال رجل: يا رسول الله، لهذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك؟ فقال: دعه، فإن يرد الله تعالى به خيراً يهده. فأقبل حتى قام

عليه فقال: يا محمد، مالي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم. قال: تجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: لا. ليس ذاك إليّ إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء. قال: فتجعلني على الوبر وأنت على المدد. قال لا. قال: فماذا تجعل لي؟ قال صلعم: أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها. قال: أوليس ذلك إلى اليوم؟ وكان أوصى إلى إربد بن قيس: إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف. فجعل عامر يخاصم رسول الله صلعم ويراجعه، فدار إربد من خلف النبي صلعم ليضربه، فاخترط من سيفه شيراً ثم حبسه الله تعالى فلم يقدر على سله، وجعل عامر يومىء إليه، فالتفت رسول الله صلعم فرأى إربد وما يصنع بسيفه، فقال صلى الله عليه وسلم: اللهم أكفنيهما بما شئت. فأرسل الله تعالى على إربد صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته، وولّى عامر هارباً وقال: يا محمد، دعوت ربك فقتل إربد، ووالله لأملأنها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مدداً، فقال رسول الله صلعم يمنعك الله سبحانه وتعالى من ذلك وابنا قيلة، يريد الأوس والخزرج. فنزل عامر ببيت امرأة سلولية، فلما أصبح ضم عليه سلاحه وخرج وهو يقول: واللات لئن أصحر محمد إليّ وصاحبه يعني ملك الموت، لأنفذتهما برمحي. فلما رأى الله تعالى ذلك منه، أرسل ملكاً فلطمه بجناحه فأذرأه في التراب، وخرجت على ركبته غدة، في الوقت عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية، ثم مات على ظهر فرسه. يضرب في خصلتين، إحداهما شرّ من الأخرى.

- **أغيرُ من الفحل ومن جَمَلٍ ومن ديك ومن عَقيل**

- **الغزوُ أدرُّ للقاح وأحدُّ للسّلاح**

- **فَتَلَ في ذُروتِهِ**

الذروة أعلى السنام وأعلى كل شيء. وأصل فتل الذروة في البعير هو أن يخدعه صاحبه ويتلطف له بفتل أعالي سنامه حكاً ليسكن إليه، فيتسلق بالزمام عليه. قال أبو أبو عبيدة: ويروى عن ابن الزبير أنه حين سأل عائشة رضي الله عنها الخروج إلى البصرة أبت عليه، فما زال يفتل في الذروة والغارب حتى أجابته. الذروة والغارب واحد. ودخل على مهني تصرف فيه بأن فتل بعضه دون بعض، فكأنه قيل: فتل بعض ما في ذروته. قال الأصمعي: فتل في ذروته، أي خادعه حتى أزاله عن رأيه. يضرب في الخداع والمماكرة.

• الفَحْلُ يحمي شَوْلَهُ معْقُولاً

الشول، النوق التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، الواحدة شائلة. والشول جمع على غير قياس، يقال شولت الناقة بالتشديد، أي صارت شولاء ونصب معقولاً على الحال، أي إن الحد يحتمل الأمد الجليل في حفظ حرمه وإن كانت به علّة.

• في مِثْلِ حُولاءِ السَّلَى

ويقال: حولاء الناقة يقال: فلان مثل حولاء الناقة، وهي الماء الذي يخرج على رأس الولد. والسلى جلدة رقيقة يكون فيها الولد. يضرب لمن كان في خصب ورغد عيش، وكذلك قولهم: في مثل حدقة البعير.

• فصيلُ ذات الزِّبن لا يُخيَّلُ

ذات الزبن الناقة التي تزبن ولدها وحالها، والتخيل أن تكون الناقة لا ترأم ولدها فيقال لصاحبها: خيل لها، فيلبس جلد سبع ثم يمشي على أربع يخيل إلى الأم أنه ذئب يريد أن يأكل ولدها، فتعطف عليه وترأمه. يقول فهذه التي تزبن ولدها لا يخيل لها لأنه لا ينفع. يضرب للسيىء المعاشرة طبعاً، فلا يؤثر فيه التودد إليه.

• انْقَطَعَ السَّلَى في البَطْنِ

السلى، جلدة رقيقة يكون فيها الولد من المواشي إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة يولد، عاش، وإلا قتلته، وكذلك إذا انقطع السلى في البطن، فإذا خرج السَّلى سلمت الناقة وسلم الولد وإلا هلكت وهلك الولد. يقال: ناقة سلياء، إذا انقطع سلاها. يضرب في فوات الأمد وانقضائه.

• قدِ استَنْوق الجمَلُ

أي صار ناقة. وكان بعض العلماء يخبر أن هذا المثل لطرفة بن العبد، وذلك أنه كان عند بعض الملوك والمسيب بن علس ينشد شعراً في وصف جمل، ثم حوله إلى نعت ناقة فقال طرفة: قد استنوق الجمل. ويقال إن المنشد كان المتلمس أنشد في مجلس لبني قيس بن ثعلبة، وكان طرفة يلعب مع الصبيان ويتسمع، فأنشد المتلمس:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ... بناج عليه الصيعرية مكرم

كميت كناز اللحم أو حميرية ... مواشكة تنفي الحصى بملثم

كأن على أنسائها عذق خصبة   تدلى من الكافور غير مكمم

والصيعرية سمة توسم بها النوق باليمن. فلما سمع طرفة البيت قال: استنوق الجمل. قالوا: فدعاه المتلمس وقال له: أخرج لسانك. فأخرجه فإذا هو أسود فقال: ويل لهذا من هذا. قال أبو عبيد: يضرب هذا في التخليط.

• قَطَعَتْ القَافِلَة وكانَتْ خيِّرَةً

• كأنّما أنشط من عِقَالٍ

الأنشوطة، عقدة يسهل انحلالها مثل عقدة التكة ونشطت الحبل أنشطة نشطاً، عقدته أنشوطة وأنشطته حللته. والعقال ما يشد به وظيف البعير إلى ذراعه. يضرب لمن يتخلص من ورطة فينهض سريعاً.

• كلُّ أزبَّ نفُورٌ

وذلك أن البعير الأزب، وهو الذي يكثر شعر حاجبيه، يكون نفوراً لأن الريح تضربه فينفر، يضرب في عيب الجبان، وإنما قاله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد. وكان أزب جباناً، وكان خالد ين جعفر بن كلاب يطلبه بزحل، وكان زهير يوماً في إبله يهنؤها ومعه أخوه أسيد، فرأى أسيد خالد بن جعفر قد أقبل في أصحابه، فأخبر زهيراً بمكانهم. فقال له زهير: كل أزب نفور، وإنما قال هذا لأن أسيداً كان أشعر، قال زيد الخيل:

فحاد عن الطعان أبو أثال   كما حاد الأزب عن الظلال

وقال النابغة:

أثرت الغنى ثم نزعت عنه   كما حاد الأزب عن الطعان

• كالعَاطِف على العَاضّ

يقال ناقة عاطف تعطف على ولدها. وأصل المثل أن ابن المخاض ربما أتى أمه يرضعها فلا تمنعه، وربما عضّ على ضرعها فلا تمنعه أيضاً. يضرب لمن يواصل من لا يواصله ويحسن لمن يسيء إليه.

• كلُّ نُجَارِ إبِلٍ نُجارُهَا

النجار الأصل وكذلك النجر، وهذا من قول رجل كان يغير على الناس فيطرد

إبلهم ثم يأتي بها السوق فيعرضها على البيع. فيقول المشتري من أي إبل هذه؟ فيقول البائع:

تسألني الباعة أين دارها لا تسألوني وسلوا ما نارها
كل نجار إبل نجارها

يعني: فيها من كل لون. يضرب لمن له أخلاق فتفاتة. والباعة المشترون هَهُنا. والبيع من الأضداد وقال:

وباع بنيه بعضهم بخسارة وبعت لذبيان العلاء بمالكا

فجمع اللغتين في بيت واحد.

● كانتْ عليهم كراغِيَة البَكْرِ

ويقال أيضاً: كراغية السقب. يعنون رغاء بكر ثمود حين عقد الناقة قدار بن سالف. والراغية الرغاء. والتاء في كانت تعود إلى الخصلة أو الفعلة. يضرب في التشاؤم بالشيء. قال علقمة بن عبدة لقوم أغير عليم واستؤصلوا:

رغا فوقهم سقب السماء فداحص بشكته لم يستلب وسليب

يقال دحص المذبوح، أي ركض برجله يدحص دحصاً. والشكة: السلاح. وقال الجعدي:

رأيت البكر بكر بني ثمود وأنت أراك بكر الأشعرينا

● كالمهَدّر في العُنَّة

المهدر الجمل له هدير، والعنة مثل الحظيرة تجعل من الشجر للإبل، وربما يحبس فيها الفصيل عن الضراب. ويقال لذلك الفصيل المعنى وأصله المعنن من العنّة، فأبدلت إحدى النونين ياء كما قالوا: تظنى وتلعى. قال الوليد بن عقبة لمعاوية:

قطعتَ الدهر كالسدم المعنى تهدد في دمشق فلا تديم

والسدم الفصيل غير الكريم يكره أهله أن يضرب في إبلهم فيقيد ولا يسرح في الإبل رغبة عنه، فهو يصول ويهدر. يضرب للرجل لا ينفذ قوله ولا فعله.

● كفضل ابن المخاض على الفصِيل

أي الذي بينها من الفرق قليل. يضرب للمتقاربين في رجولتها. قال المؤرج: إن المتوج يُدعى فصيلاً إذا شرب الماء وأكل الشجر، وهو بعد يرضع؛ فإذا أرسل الفحل

في الشول دعيت أمه مخاضاً، ودعي ابنها ابن مخاض.

● **كفى برُغائِها مُنَادياً**

قال أبو عبيد: هذا مثل مشهور عند العرب. يضرب في قضاء الحاجة قبل سؤالها. ويضرب أيضاً للرجل تحتاج إلى نصرته أو معونته، فلا يحضرك ويعتل بأنه لم يعلم. ويضرب لمن يقف بباب الرجل فيقول: أرسل من يستأذن لك، فيقول: كفى بعلمه بوقوفي ببابه مستأذناً لي. أي قد علم بمكاني فلو أراد أذن لي.

● **كَلا زَعَمْتَ العير لا تُقاتِلُ**

يضرب للرجل قد كان أمن أن يكون عنده شيء، ثم ظهر منه غير ما ظن به.

● **كالحادي وليس لهُ بعيرٌ**

يضرب لمن يتشبع بما لا يملك. ومثله عاط بغير أنواط.

● **كذِي العَدِّ يُكْوَى غَيرُهُ وهو راتع**

قال أبو عبيدة: هذا لا يكون. وقال غيره: إن الإبل إذا فشا فيها العد، وهو قدوح تخرج بمشافر الإبل. أخذ بعير صحيح وكُوي بين أيدي الإبل بحيث تنظر إليه فتبرأ كلها. قال النابغة:

حملت على ذنبه وتركته　　　كذي العد يُكوى غيره وهو راتع

يضرب في أخذ البريء بذنب صاحب الجناية.

● **كالمُحْتَاضِ على عَرَضِ السَّرَابِ**

يضرب لمن يطمع في محال. واحتاض أي اتخذ حوضاً. والصحيح حوض، وحاض يحوض حوضاً إذا اتخذ حوضاً.

● **كَرُكْبَتَي البَعِيرِ**

للمتساويين.

● **كُرْهاً تَركَبُ الإبِلُ السَّفَرَ**

يضرب للرجل يركب من الأمر ما يكرهه. ويضب (كرهاً) على الحال، أي

كارهه كرهاً، فهو مصدر قام مقام الحال. ومثله بيت الحماسة: حملت به في ليلة مزرودة.

● كالحانّه في أُخْدَى الإبلِ

يعني الناقة المتأخرة تحن إلى الأوائل. يضرب لمن يفتخر بمن لا يبالى به ولا يهتم لأمره.

● اللُّقوحُ الرّبعيَّة مالٌ وَطَعَامٌ

قال أبو عبيد: أصل هذا في الإبل. وذلك أن اللقوح هي ذات الدر، والرّبعيّة هي التي تنتج في أول النتاج، فأرادوا أنها تكون طعاماً لأهلها يعيشون بلبنها لسرعة نتاجها، وهي مع هذا مال. يضرب في سرعة قضاء الحاجة.

● لكل أناسٍ في بعيرهم خَبَرٌ

أي كل قوم يعلمون من صاحبهم ما لا يعلم الغرباء. قال الجاحظ: كلم العلباء ابن الهيثم السدوسي عمر رضي الله عنه حين وفد عليه في حاجة، وكان أعور دميماً، جيد اللسان، حسن البيان، فلما تكلم أحسن، صعد عمر رضي الله عنه بصره وحدرُه، فلما فرغ قال عمر رضي الله عنه: لكل أناس في جملهم خبر.

● لَقَدْ كنت وما يُقَادُ بي البَعيرُ

يضربه المسنّ حين يعجز عن تسيير المركوب. وأول من قاله سعد بن زيد مناة، وهو الفزر، وكانت تحته امرأة من بني تغلب، فولدت له، فيما يزعم الناس، صعصعة أبا عامر. وولدت له هبيرة بن سعد، وكان سعد قد كبر حتى لم يطق ركوب الجمل، إلا أنه يقاد به ولا يملك رأسه. فكان صعصعة يوماً يقوده على جمل فقال سعد: قد كنت لا يقاد بي الجمل. فأرسلها مثلاً.

قال المخبل:

كما قال سعد إذ يقود به ابنه ... كبرت فجنبني الأرانب صعصعا

قال أبو عبيد: وقد قال بعض المعمرين:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا

والذنب أخشاه إن مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا

من بعد ما قوة أصيب بها ... أصبحت شيخاً أعالج الكبرا

• لتَحْلبَنَّهَا مَصْراً

يقال: مصرت الناقة، أمصرت مصراً، إذا حلبتها بأطراف الأصابع. يضرب لمن يتوعدك فتقول: لا تقدر أن تنال مني شيئاً إلا بعد عناء طويل. ونصب (مصراً) على تقدير لتحلبنها حلباً بجهد وعناء. ويجوز أن يكون النصب على الحال، أي لتحلبنّها وأنت ماصر. والهاء كناية عن الخطة التي قدر أن ينالها منه، فجعل الناقة والمصر كناية عنها.

• لم تُحْلَبْ ولم تُغارّ

المغارة: قلة اللبن. يقول لم تحلب هذه الناقة ولم تغار هي وأودي اللبن. يضرب لمن ضيع ماله أو مال غيره.

• لم يُحْرَمْ مَنْ فُصِدَ له

الفصد، دم كان يجعل في معي من فصد عرق البعير، ثم يشوى ويطعمه الضيف في الأزمة. يقال: من فصد له البعير فهو غير محروم. ويقال: أيضاً من فصد له بتسكين الصاد تخفيفاً. ويقال: فزد له بالزاي. يضرب في القناعة باليسير.

• لَقِي ما يَلْقَى المَنْتُوف بارِكاً

وذلك أن البعير ينتف باركاً. يضرب لمن لقي شدة وأذًى.

• لقد استَبْطنتُم بأشْهَبَ بازِلٍ

قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه لأهل مكة، أي بليتم بأمر صعب مشهور كالبعير الأشهب البازل، وهو الأبيض القوي. والباء في (بأشهب) زائدة. يقال: استبطنت الشيء إذا أخفيته.

• لا أفْعَلُ ما أبسَّ عبْدٌ بناقَتِهِ

الأبساس، أن يقال للناقة عند الحلب: بس بس، وهو صويت للراعي يسكن به ناقته عندما يحلبها، جعل ما للتأبيد. اي لا أفعله أبداً.

• لا أُحسِنُ تكذابك وتأثامك تشُوِّل بِلسَانِكَ شَولاَنَ البُروق

يقال: البروق، الناقة التي تشول بذنبها فيظن بها لقح وليس بها. ويقال: أبرقت الناقة فهي بروق، كما يقال: أعقت الفرس فهي عقوق، وأنتجت فهي نتوج. وأصل

هذا مجاشع بن دارم وفد على بعض الملوك فكان يسامره، وكان أخوه نهشل بن دارم رجلاً جميلاً، ولم يكن وفاداً إلى الملوك، فسأله الملك عن نهشل فقال له: إنه مقيم في ضيعته وليس معن يفد على الملوك، فقال أوفده، فلما أوفده اجتهره ونظر إلى جماله، فقال حدثني يا نهشل، فلم يجبه، فقال له مجاشع: حدث الملك فقال إني والله لا أحسن تكذابك وتأثامك تشول بلسانك شولان البروق. يضربه من يَقِلُ كلامه لمن يكثر.

● لا يَعْدَمُ الحُوارُ من أُمِّهِ حَنَّةً

كذا رواه أبو عبيد. أي حنيناً وشفقة، وقال غيره حَنَّة أي شبهاً. قال ابن الأعرابي: هذا مثل قولهم: من عضه ما ينين شكيرها. يعني الشبه. وروى بعضهم. خنَّة من الخنين. ويراد به انتزاع شبه الأصل، والخنة الصوت، والحنَّة فعلة من الحنان، وهي الرحمة وهذا أشبه بالصواب.

● لا آتيك ما حنَّت النيبُ

ومثله ماطت الإبل، أي أبداً.

● لا أفعل كذا حتى يلج الجملُ في سَمِّ الخِياطِ

يقال للإبرة الخياط والمخيط.

● لا يضُرُّ الحُوارَ ما وطئته أمُّه

ويروى لا يضير وهما بمعنى واحد. يضرب في شفقة الأم وما وطئته مصدر أي وطأة أمه، والوطأة ضارة في صورتها ولكنها إذا كانت من مشفق خرجت من حد الضرر، لأن الشفقة تثنيها عن بلوغها حدَّه.

● لا ناقتي في هذا ولا جملي

أصل المثل للحرث بن عباد حين قتل جساس بن مرة كليباً، وهاجت الحرب بين الفريقين، وكان الحرث اعتزهما. قال الراعي:

وما هجرتك حتى قلت معلنة   لا ناقة لي في هذا ولا جمل

يضرب عند التبري من الظلم والإساءة، وذكروا أن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب شرور لما خرج الناس على الحجاج قال: لا ناقتي في ذا ولا جملي، فلما دخل بعد ذلك على الحجاج قال: أنت القائل لا ناقتي في ذا ولا جملي؟ لا جعل الله لك فيه

ناقة ولا جملاً ولا رحلاً. فشمت به حجار بن أبجد العجلي وهو عند الحجاج، فلما دعا بغذائه جاؤوا بفرنيه، فقال ضعوها بين يدي أبي عبدالله، فإنه لبني يحب اللبن، أراد أن يدفع عنه شماتة حجار. وقال بعضهم: إن أول من قال ذلك الصروف بنت حليس العذرية. وكان من شأنها أنها كانت عند زيد بن الأحنس العذري، وكان لزيد بنت من غيرها يقال لها الفارعة، وأن زيداً عزل ابنته عن امرأته في خباء لها وأخدمها خادماً، وخرج زيد إلى الشام. وأن رجلاً من عذرة يقال له شيث هويها وهويته، ولم يزل بها حتى طاوعته، فكانت تأمر راعي إبل أبيها أن يعجل ترويح إبله، وأن يحلب لها حلبه إبلها قيلاً فتشرب اللبن نهاراً حتى إذا أمست وهدأ الحي رحل لها جمل كان لأبيها ذلول فقعدت عليه، وانطلقا حتى كانا ينتهيان إلى متيهة من الأرض، فيكونان بها ليلتهما، ثم يقبلان في وجه الصبح، فكان ذلك دأبهما. فلما فصل أبوها من الشام مرّ بكاهنة على طريقه فسألها عن أهله، فنظرت له ثم قالت: أرى جملك يرحل ليلاً وحلبه تحلب إبلك قيلاً، وأرى نعماً وخيلاً فلا لبث، فقد كان حدث بآل شيث فأقبل زيد لا يلوي على شيء حتى أتى أهله ليلاً. فدخل على امرأته وخرج من عندها مسرعاً حتى دخل خباء ابنته، فإذا هي ليست فيه، فقال لخادمها: أين الفارعة ثكلتك أمك؟ قال خرجت تمشي وهي حرود زائرة تعود لم ترَ بعدك شمساً، ولا شهدت عرساً. فانفتل عنها إلى امرأته، فلما رأته عرفت الشرّ في وجهه فقالت: يا زيد لا تعجل واقفِ الأثر، فلا ناقة لي في هذا ولا جمل، فهي أول من قال ذلك.

• لاَ يَكْظِمُ على جِرَّتِهِ

الكظوم، السكوت. وكظم البعير يكظم كظوماً، إذا أمسك عن الجرة. يضرب لمن يعجز عن كتمان ما في نفسه. ومثله:

لا يخنق على جِرَّتِهِ

يقال: خِنقة يخنقه خنقاً، بكسر النون من المصدر.

• لا في العِير وَلاَ في النَّفِير

قال المفضل: أول من قال ذلك أبو سفيان بن حرب. وذلك أن أقبل بعير قريش، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تحيَّن انصرافها من الشام. فندب المسلمين للخروج معه، وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفاً شديداً، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست من أحد من أصحاب محمد؟ فقال ما رأيت من أحد أنكره إلا راكبين أتيا هذا المكان، وأشار له إلى مكان عدي وبسبس، عيني رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأخذ أبو سفيان أبعاراً من أبعار بعيريهما ففتها فإذا فيها نوى، فقال علائف يثرب، هذه عيون محمد، فضرب وجوه عيره ما حل بها، وترك بدراً يساراً. وقد كان بعث إلى قريش حين فصل من الشام يخبرهم بما يخافه من النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبلت قريش من مكة، فأرسل إليهم أبو سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع، فأبت قريش أن ترجع، ورجعت بنو زهرة من ثنيه أجدى ثم عدلوا إلى الساحل منصرفين إلى مكة، فصادفهم أبو سفيان فقال يا بني زهرة، لا في العير ولا في النفير، قالوا أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع. ومضت قريش إلى بدر، فواقعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظفره الله تعالى بهم. ولم يشهد بدراً من المشركين من بني زهرة أحد. قال الأصمعي: يضرب هذا للرجل الذي يحط أمره ويصغر قدره. وروي أن عبدالله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فقال: يا أخي، لقد هممت أن أفتك بالوليد بن عبد الملك، فقال له: والله بئسما هممت به في ابن أمير المؤمنين، وولّي عهد المسلمين، فقال: إن خيلي مرت به فتعبَّث بها وأصغرها وأصغرني، فقال خالد أنا أكفيكه، فدخل خالد إلى عبد الملك والوليد عنده، فقال يا أمير المؤمنين إن الوليد مرت به خيل ابن عمه عبدالله بن يزيد بن معاوية. فتعبَّث بها وأصغره، وعبدالملك مطرق فرفع رأسه وقال: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، وجعلوا أعِزة أهلها أذلة، إلى آخر الآية. فقال خالد: وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها، إلى آخر الآية. فقال عبد الملك: أفي عبدالله تكلمني؟ والله لقد دخل عليّ فما أقام لسانه لحناً فقال خالد: أفعلى الوليد تعول. فقال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان لا. فقال خالد! وإن كان عبدالله يلحن فإن أخاه خالداً لا. فقال الوليد: اسكت يا خالد، فوالله ما تعد في العير ولا في النفير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين، ثم أقبل عليه فقال: ويحك من في العير والنفير غيري؟ جدي أبو سفيان صاحب العير، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير، ولكن لو قلت: غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان. قلنا: صدقت. عنى بذلك طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم إلى الطائف إلى مكان يدعى الغنيمات، وكان يأوي إلى حبله وهي الكرمة. وقوله رحم الله عثمان لرده إياه.

• لا أفعلُ كذا ما أرْزَمَتْ أم حائلٍ

أرزمت الناقة، إذا حنت. والحائل الأنثى من أولادها، أي لا أفعله أبداً.

• لا يُلبِثُ الحَلَبَ الحَوالِبُ

أي لا يلبثونه أن يأتوا عليه، إذا اجتمعوا له. وقيل: معناه، يأخذ الحالب حاجته

من اللبن قبل صاحب اللبن.

● لا يُرحلنَّ رحلك من ليس معك

أي لا تستعن إلا بأهل ثقتك. ويروى: لا يرحل رحلك على وجه النفي، أي لا يعينك من لا يكون صفوة معك.

● لا تبرُكَ الابلُ على هذا

يضرب لما لا يُصبر عليه لشدته.

● لا تعقرها لا أبًا لك إما لنا وإمّا لك

قاله مالك بن المنتفق لبسطام بن قيس حين أغار على إبله فكان يسوقها، فإذا تفرقت طعنها لتجتمع وتسرع.

● لا تظعني فَتُهيجي القوْم للظَّعْن

يضرب لمن يتبع في ما نهج. يعني أنك متبوع فلا تفعل ما لا يليق بك.

● الأم من سقْب ريّان

لأنه إذا دنا من أمه لم يدرها. ولذلك قيل مثل آخر: شرٌّ مرغوب إليه فصيل ريان. ومعناه أن الناقة لا تكاد تدر إلا على ولد أبوبَوٍّ، فربما أرادوا أن يحتلبوا واحدة منها، فأرسلوا تحتها فصيلها أو فصيلاً آخر لغيرها ليمدها بلسانه، فإذا درت عليه نحُّوه عنها وحلبوها، وإذا كان الفصيل ريان غير جائع، لم يمرها. وهذا الفعل يسمى القلبين.

● ما يُقَعْقَعُ له بالشِّنَانِ

القعقعة، تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت، مثل السلاح وغيره، والشنان جمع شن، وهو القربة البالية، وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفرغ لتسرع، قال النابغة:

كأنك من جمال بن أفيش ... يقعقع خلف رجليه بشن

يضرب لمن لا يتضع لما ينزل به من حوادث الدهر، ولا يروعه ما يعرض له.

● **أمهلني فُواق نَاقَةٍ**

الفواق والفواق، قدر ما تجتمع الفيقة، وهي اللبن ينتظر اجتماعه بين الحلبتين. يضرب في سرعة الوقت.

● **ما ارخص الجمل لولا الهرَّةُ**

وذلك أن رجلاً ضل له بعير فأقسم لئن وجده ليبيعه بدرهم فأصابه، فقرن به سنوراً، وقال أبيع الجمل بدرهم، وأبيع السنور بألف درهم، ولا أبيعهما إلا معاً. فقيل له: ما أرخص الجمل لولا الهرة. فجرت مثلاً يضرب في النفيس والخسيس يقترنان.

● **ما أرْزمت أمُّ حائِلٍ**

يضرب في التأبيد والحائل، الأنثى من ولد الناقة حين تنتج. والكسب الذكر. والرزمة صوت الناقة.

● **ما في سَنَامِهَا هُنانَةٌ**

بالضم، أي شحم وسمن. يضرب لمن لا يوجد عنده خير.

● **ما عِقالُك بأنشُوطةٍ**

العقال، ما يعتقل به البعير. والأنشوطة عقد يسهل انحلالها، أي ما مودتك بواهية. وتقديره ما عقد عقالك بعقد أنشوطة فحذف (عقد). قال ذو الرمة:

وقد علقت مني بقلبي علاقة بطيئاً على مَرِّ الشهور انحلالها

● **ما استتر من قاد الجمل**

قال القلاخ:

أنا القلاخ بن جناب بن جلا أخو خنائير أقود الجملا

● **المَوْتُ دُون الجَمَلِ المُجَلَّلِ**

أول من قال ذلك عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، وكان يقاتل يوم الجمل ويرتجز أنا ابن عتاب وسيفي ولول، والموت دون الجمل المجلل، يعني جمل عائشة وقطعت يده يومئذٍ وفيها خاتمه. فاختطفها ندّ فطرحها باليمامة فعرفت يده

بخاتمه. يقال إن علياً رضي الله عنه وقف عليه، وقد قتل فقال: هذا يعسوب قريش جدعت أنفي وشعيث نفسي.

● المحقُ الخفيُّ أَذكارُ الإبل

يعني إذا نتجت الإبل ذكوراً محق مال الرجل ولا يعلمه كل أحد.

● امْهِ لك الويلُ فقَدْ ضَلَّ الجملُ

يقال، أمهي الفرس إذا أجراه وأحماه في جريه يقول: أعد فرسك فقد ضلّ جملك. يضرب لمن وقع في أمر عظيم يؤمر ببذل ما يطلب منه لينجو.

● من أبْعَدِ أدوائها تُكوى الإبلُ

يضرب للذي يذهب في الباطل تائهاً، ويدع ما يعنيه.

● مِنْ شُؤْمِها رُغَاؤها

يضرب عند الأمر يعسر ويكثر الاختلاف فيه.

● نابٌ وقد تقطعُ الدّويَّةُ

يضرب للمسن، وقد بقيت منه بقية يصلح أن يعول عليها.

● النّاقةُ جنُّ ضِراسها

يقال ناقة ضروس، إذا كانت سيئة الخلق عند النتاج، وإذا كانت كذلك حامت على ولدها. وجن كل شيء أوله وقرب عهده. يضرب للرجل الذي ساء خلقه عند المحاماة.

● الناس كإبلٍ مائةٍ لا تجدُ فيها واحلةً

أي إنهم كثيرون، ولكن قل منهم من يكون فيه خير.

● انفَرُ من أزَبَّ

هذا مثل قولهم: كل أزب نفور. وذلك أن البعير الأزب يرى طول الشعر على عينه فيحسبه شخصاً، فهو نافر أبداً. وقال ابن الأعرابي: الأزب من الإبل شر الإبل، وانفرها نفاراً، وأبطؤها سيراً، وأجنها خباراً، ولا يقطع الأرض.

• وقع القومُ في سَلى جَمَلٍ

السلى: ما تلقيه الناقة إذا وضعت، وهي جليلة رقيقة يكون فيها الولد من المواشي، إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة يولد عاش، وإلا قتلته. وكذلك إذا انقطع السلي في البطن، فإذا خرج السلي سلمت الناقة وسلم الولد، وإذا انقطع في بطنها هلكت وهلك الولد. يضرب في بلوغ الشدة منتهى غايتها. وذلك أن الجمل لا يكون له سلى، فأرادوا أنهم وقعوا في شر لا مثيل له.

• أوسَعتُهُم سبا وأوْدوا بالإبل

يقال: وسعه الشيء أي أحاط به، وأوسعته الشيء إذا جعلته يسعه. والمعنى كثرته حتى وسعه، فهو يقول كثرت سبهم فلم أدع منه شيئاً، وحديثه أن رجلاً من العرب أغير على إبله فأخذت فلما تواروا صعد أكمة وجعل يشتمهم، فلما رجع إلى قومه سألوه عن ماله فقال: أوسعتهم سباً وأودوا بالإبل قال الشاعر:

وصرت كراعي الإبل حين تقسمت فأودى بها غيري وأوسعتهم سبا

ويقال إن أول من قال ذلك كعب بن زهير بن أبي سلمى، وذلك أن الحرث بن الورقاء الصيداوي أغار على بني عبدالله بن غطفان واستاق إبل زهير وراعيه، فقال زهير في ذلك قصيدته التي أولها:

نـاد الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أية سلكوا

وبعث بها إلى الحرث، فلم يرد الإبل عليه فهجاه. فقال كعب: أوسعتهم سباً وأودوا بالإبل. فذهب مثلاً يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام.

• اوْدى العيْرُ إلا ضرطاً

يضرب للذليل. أي لم توثق من قربه إلا هذا. ويضرب للشيخ أيضاً ونصب (ضرطاً) على الاستثناء من غير الجنس.

• هل تُنْتَجُ الناقةُ إلا لمن لقحت له

يقال: نتجت الناقة، على ما لم يسم فاعله، وأنتجتها أنا إذا أعنتها على ذلك. والناتج للنوق كالقابلة للإنسان، ولقحت تلقح لقحاً ولقاحاً. والناقة لاقح ولقوح. ومعنى المثل هل يكون الولد إلا لمن يكون له الماء.

يضرب في التشبيه. ويروى: لما لقحت له، أي للقاحها، أي لقبول رحمها ماء

الفحل. يشير إلى صدق الشبه. و(ما) مع لقحت للمصدر.

● هُمُّ في مثْلِ حَدَقَةِ البعير

يضرب لمن هو في خصب ونعمة، وذلك أن حدقة البعير أخصب ما فيه، لأن بها يعرفون مقدار سنها، وفيها يبقى آخر النقي، وفي السلامي قال الراجز، يذكر إبلاً:

ما تشتكين عملاً ما أنقين مادام مخ في سلامي أو عين

● هُمْ في مِثْل حولاء النَّاقَةِ

قال اللحياني: الحولاء والحولاء من الناقة هو قائد السلى، أي يخرج قبله. ويراد به كثرة العشب، لأن ماء الحولاء أشد ماء خضرة. قال الشاعر:

بأغنّ كالحولاء زان جنابه نور الدكادك سوقه تتخضض

وقال رائد: تركت الأرض مخضرة كأنها حولاء، بها قصيصة رقشاء. وعرفجة خاضبة حمراء، وعوسج كأنه النعام من سواده.

● هيهات من رُغائِك الحنين

الرغاء الضجيج، والحنين التشوق إلى ولد أو وطن. يقول: بعد الحنين من الرغاء. يعني أن بينهما فرقاً. يضرب للمختلفين في أحوالهما.

● هو مكان القُراد من إستِ الجمل

يضرب لمن يلازم شيئاً لا يفارقه البتة.

● هُما كركبتي البَعير

قال ابن الكلبي: إن المثل لهرم بن قطنة الفزاري تمثَّل به لعلقمة بن علاثة، وعامر ابن الطفيل الجعفريين حين تنافرا إليه فقال أنتما كركبتي البعير، يا بَنَيْ جعفر تقعان معاً. ولم ينفر أحدهما على الآخر. وذلك أنهما انتهيا إليه مساء، فأمر لكل واحد منهما تعبه، وأمر لهما بالإنزال وما يحتاجان إليه، فلما هدأت الرجل أتى عامراً فقال له: لماذا جئتني قال: جئتك لتنفرَني على علقمة. فقال بئس الرأي، رأيت وساء ما سولت لك نفسك. أفضلك على علقمة ومن أمره كذا وكذا، يعدد مفاخره ومآثره وقديمه وحديثه. والله لئن رأيتك غداً معه متحاكمين إليّ لنفرته عليك، ولا يطلق القلم مني به وبك غيره، ثم تركه ومضى إلى علقمة فقال: ما جاء بك؟ قال: جئتك لتنفرني على

عامر. فقال: أين غاب عنك حلمك أعلى عامر أفضلك وقديم عامر كذا وكذا، أو أحجم عنه. ثم فارقه ورجع إلى بيته، فلما أصبحا قالا: ترجع ولا حاجة بنا إلى التنافر، ولا يدري كل واحد منهما ما عند صاحبه. فلما كانا في بعض الطريق تلقاهما الأعشى فسألهما عما خرجا له، فأخبراه بقصتهما، فقال الأعشى لعلقمة: ما لي عندك إن نفرتك على عامر؟ قال مائة من الإبل: قال وتجيرني من العرب؟ قال أجيرك من قومي: فقال لعامر: فإن أنا نفرتك على علقمة فما لي عندك؟ قال مائة من الإبل: قال وتجيرني من أهل الأرض؟ قال أجيرك من أهل السماء والأرض. قال الأعشى: تجيرني من أهل الأرض، فكيف تجيرني من أهل السماء؟ قال: إن مات أحد من ولدك أو أهلك وديته، وإن ماتت لك ماشية فعليّ عوضها. قال: نعم. فمدح عامراً وهجا علقمة، فقال من قصيدته في هجائه:

أعلقم قد حكمتني فوجدتني	لكم عالماً عند الحكومة غائصا
طلا أبويكم كان فرعي دعامةٍ	ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم	وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا
فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم	وبحرك ساح ما يواري الدعامصا

وكان يقال من مدحه الأعشى رفعه. ومن هجاه وضعه، وكان يتقى لسانه. وكان علقمة ممن آمن وصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما عامر فلا.

- **هذا أمرٌ لا تَبرُكُ عليه الإبلُ**

يضرب للأمر العظيم الذي لا يصبر عليه.

- **هُوَ الفَحْلُ لا يُقْرح أَنْفُهُ**

القرح، الكف. يضرب للشريف لا يرد عن مصاهرة ومواصلة.

- **يخْبُطُ خَبْطَ عشواء**

يضرب للذي يعرض عن الأمر كأنه لم يشعر به، ويضرب للمتهافت على الشيء.

- **يا إبلي عُودي إلى مبركك**

ويقال: إلى مباركك يقال لمن نفر من شيء له فيه خير. قال أبو عمرو: وذلك أن رجلاً عقر ناقة فنفرت الإبل فقال: عودي فإن هذا لك ما عشت.

● يركب الصَّعب من لا ذَلُول له

أي يحمل المرء نفسه على الشدة إذا لم ينل طِلبته بالهوينا. يضرب في القناعة بنيل بعض الحاجات.

● يدق دقَّ الإبل الخامسة

قال ابن الأعرابي: الخمس أشد الأظماء لأنه في القيظ يكون ولا تصبر الإبل في القيظ أكثر من الخمس، فإذا خرج القيظ وطلع سهيل برد الزمان وزاد الظِّمْءُ، وإذا وردت في القيظ خمساً اشتد شربها، فإذا صدرت لم تدع شيئاً إلا أتت عليه من شدة أكلها وطول عشائها. فضرب به المثل فقالوا: يدقون دق الإبل الخامسة.

● يُكوى البعيرُ من يسير الدَّاء

يضرب في حسم الأمر الضائر قبل أن يعظم ويتفاقم.



في الأمثال الشعبية

- **الناقة ما تضر حوارها**

أي إن الناقة لا تضر حوارها.

- **الناقة عضاضة والحُوار مشوم**

مثل يقال للولد السيىء، وللوالد الأسوأ.

- **الناقة الرغاية والمرا الدعّاية**

تحذير من امتلاك الناقة الكثيرة الرغاء لأنها تدل عليك الأعداء. والمرأة الكثيرة الدعاء بالسوء لأنها مصدر شؤم.

- **الناقة ناقتي والبدعة بحذاها**

قالوا إن رجلاً لا يعرف الإبل فاشترى ناقة، وبعد مدة ولدت حواراً فجاء الرجل ليرى ناقته فشاهد الحوار وهو لا يعرف أن الإبل تلد.

والمثل يقال للشخص الذي ينكر شيئاً من مألوفه.

- **اليادرت أحلبها**

مثل يقال لانتهاز الفرص.

- **حلبها وقعمز شربها وناض.**

مثل يقال لانتهاء الأمر.

● **أخشوم العز**

يقال للإبل

● **الجمل ما يدريش على عوج رقبته**

مثل يقال للإنسان الذي لا يرى عيوبه.

● **نيتك جملك**

يقال إن أهالي فزان كانوا يبيعون التمر لأهالي الشمال ويتركونهم يكيلون التمر وحدهم قائلين لهم هذا المثل. ويقولون إن من يحمل على جمله أكثر من نصيبه يتعب الجمل في الطريق ولا يصل بالحمل.

● **أجمال القدرة**

يقولون إن لله جمالاً تحمل الأموات ليلاً وتنقلهم من المقابر. فأصحاب الخير ينقلون لمقابر أصحاب الخير. وأصحاب الشر ينقلون لمقابر أصحاب الشر.

● **البل طيابه واتطيب**

مثل يضرب لصعوبة تأديب الإبل، ومع ذلك فإنها تتأدب وترضخ.

● **اللّي يهدر ما يرغيش**

الهدير للجمل علامة للقوة والزعامة. والرغاء يصدر عند الضعف. والمثل يقال بمعنى الذي يعتمد القوة يجب أن لا يضعف.

● **عقّل يبلك يا مولى البل**

مثل يقال بمعنى حافظ على إبلك

● **ناقتين وافحول. وليلتين وحول. ثلث اسنين ادوّل**

والمعنى إذا ملكت ناقتين وجملاً. وانتقلت في الصحراء، فبعد ثلاث سنين تكون لك مجموعة من الإبل.

- **وبرة غارب**

يقال للشخص الذي لا أصل له، ولا مكانة.

- **وين ماشي يا قعيّد؟**

مثل يقال للمغتر الذي لا يعرف عاقبة الأمور إذ قالوا إن قعوداً سألوه إلى أين هو ذاهب؟ فأجابهم:

للملح، أي إنه سيحضر الملح. وهو لا يعلم ثقل الملح. ولما رجع وهو محمل سألوه: من أين أنت قادم؟

أجابهم:

من الملخ.

أي إنه لم يستطع النطق السليم من التعب.

- **حوار القلتة**

مثل يقال للشخص الذي يسبب المشاكل للقبيلة أو الأسرة. فيشبهونه بالحوار الذي يسقط في الغدير عند الشرب فيعكر صفوه.

- **رأس الحوار بان**

إذا ظهر رأس الحوار عند الولادة، فإن الولادة انتهت ويسقط الحوار حالاً.

والمثل يقال لوضوح الأمر.

- **ذروتة يضرب فيها الريح**

مثل يقال للشخص السعيد البعيد عن المشكل.

- **الجمل الأبيض كله شحم**

مثل يقال للشخص الذي يعتقد أنه غني وهو قليل المال.

- **زي الجمل الأسود.**

يقولون إنه يجمع كل العيوب.

- **البل اتبرّك على أكبارها**

مثل يقال لاحترام الكبير وأخذ رأيه.

- **زي هدير الناقة**

مثل يقال للوعيد الذي يتوعده الجبان.

- **اللي تلحق ما تعظ واللي تعظ ما تلحق**

مثل مأخوذ من الخيل التي تطارد الإبل. والمشكل إذا كانت الفرس التي تعظ الإبل لا تستطيع اللحاق بها. والتي لا تعظ هي التي تلحق.

والمثل يقال بمعنى الذي يملك الأمر لا يعمل، والذي يعمل لا يملك الأمر.

- **ينوض الجمل ويخلف البعر**

مثل يقال للرجل الفاضل يترك ولداً سيئاً.

- **زي بول الجمل**

بول الجمل يندفع للخلف.

والمثل يقال للشخص الذي يتخلف عن موقفه أو عمله.

- **يهدر ويصوط**

حركتان يقوم بهما الجمل عند الهياج. فالهدير إخراج الشقشقة من فمه. والتصويط: فتح القائمتين الخلفيتين وضربه بذيله بينهما.

والمثل يقال للشخص الذي يتهدد ويتوعد.

- **شابك النيبان**

يقال للجمل الكبير في السن.

والمثل يقال للشيخ الدارك لعقله.

- **أمه في البل**

مثل يقال للشخص الذي له أنصار في القبيلة.

- **عضت غاربها**

أو عض غاربه. حركة يقوم بها البعير عند الموت. ويقولونها للإنسان الذي توفاه الله، عند الشماتة، فيقولون فلان عض غاربه.

- **بَوْ فارغ**

البو: هو جلد الحوار يحشى بالتبن لتشمه أمه وتدر اللبن.

والتشبيه للرجل الفارغ الضَعيف.

- **زي البعير الأجرب**

مثل يضرب للرجل السيىء أو المرأة السيئة.

- **الأجرب حكاك والخائب شكّاك**

أي إن الأجرب يحك جسمه بأي شيء صلب، والسارق يشك في الآخرين.

- **اجعل فحلنا من يلنا. ورايسنا من أهلنا.**

قول بمعنى استحباب أن يكون الفحل من الإبل معروف الأب والأم. وكذلك الرئيس من القبيلة.

- **عطشها تشتاق لحمها**

مثل يقال بمعنى توصية لإصلاح الإبل، فإن كثرة الماء تضرها. وكلما عطشت صلح حالها ولا تموت.

- **زي الثلب**

الثلب: هو الجمل المسن، والتشبيه يقال للشيخ الضخم.

- **الجمل ينوض على أربعة**

مثل يقوله الصبيان عندما يتصارعون ويريدون الإعادة. فيقولونه ليتم صراعهم أربع مرات.

- **المغصوبة ما تلقحش**

الناقة لا ترغم على تقبل الذكر. وإذا تم ذلك فإنها لا تحمل.

- **اضحك الجمل في عمره مرة انشق شاربه**

يقولون إن الفلح الذي في شفة البعير العليا سببه أنه ضحك مرة في عمره، فانفلح شاربه.

والمثل يقال لمن عمل عملاً مرة واحدة فأصيب بالخسران.

- **الجمل اليا رغاء في فم الجمل يطلقه**

مثل يقال بمعنى (العفو عند المقدرة).

- **جمل الجمل ما يقدروه حواشي**

أي الحمل الذي يستطيع حمله الجمل القوي لا تستطيع القعدان الصغيرة حمله.

- **غاس الكتبْ في الغارب**

الكتب هو (القتب) يوضع على مقدمة الرحل ليقي الجمل ثقل الحمل. والمثل يقال بمعنى أن المرء لا يستطيع التحمل زيادة، لأن القتب أضر بالغارب.

- **ولّى على تبن الحوية**

الحوية: هي الوقاية التي توضع على ظهر البعير لتقيه أضرار الحمل. وتكون محشوة بالتبن.

والجمل عندما يأكل تبن حويته يضر نفسه من حيث لا يعلم. والمثل يقال للشخص الذي يسيء لأصدقائه وأقربائه.

- **لا تّمن الجمل، والواد، والزنجي.**

مثل يقوله البدو، بمعنى لا تضع ثقتك في جملك. ولا في الوادي عندما يسيل. ولا في الزنجي، فإنّ لهم غدرات يجب الحذر منها.

- **جَتّ في الوبر**

مثل يقال بمعنى أن المصيبة هينة فلم تصب البعير، بل جاءت في الوبر. مثل يقال لتخفيف المصائب التي لا تصيب الإنسان.

• حاذيها لين تسمّح

والمعنى أن الناقة النافرة التي جفلت لا تعترضها إذا كانت منحدرة من مرتفع، فإنها ستسقطك أرضاً، ولكن إجرِ بجانبها إلى أن تصل الأرض المنبسطة فتستطيع الإمساك بها دون ضرر.



الإبل في التعابير الشعبية

للإبل عند مقتنيها من البدو أسماء ودلالات تنطق عندهم ولا يعرفها غيرهم. وهي خاصة بهم، نريد هنا إيراد بعضها زيادة في معرفة الإبل عند العرب.

1 ـ صعود: وهي الناقة التي لا زالت تحلب بالرغم من مضي سنتين على ولادتها.

2 ـ خلفة: الناقة التي يتبعها ابنها وعمره سنة.

3 ـ شايل: الناقة الحديثة الولادة.

4 ـ خلوج: الناقة التي ولدت ومات ولدها، أو ولدته ميتاً.

5 ـ مسوح: الناقة التي تدر حليبها بمجرد ما يمسح الراعي على ضرعها دون الضرورة لوجود ابنها.

6 ـ خوّارة: هي الناقة الكثيرة الحليب، ويكون أكثره ماء. ويسقط وبرها قبل سقوط أوبار الإبل.

7 ـ حرشاء: وهي الناقة التي يكون لبنها أقل من الخوارة، ولكنه أكثر كثافة. ولا يسقط وبرها مبكراً.

8 ـ امفاشل: تقال لحلمات ضرع الناقة.

9 ـ ندمت: تقال للناقة التي ذاب حملها بعد أن لقحت بسبب مشاغبتها أو كيّها بالنار، أو تغيير الفحل.

10 ـ لقحة: تقال للناقة (الحامل) وبعضهم يطلقها على الناقة الحديثة الولادة.

11 ـ عشراء: تقال للناقة التي لم يمضِ على تلقيحها إلا بعض الأشهر.

12 ـ امزسّر: تقال للناقة التي تطلب الفحل وتبقى بجانبه دائماً.

13 ـ عاقلة: تقال للناقة التي تبقى بجانب الفحل بعد طرقها لعدة أسابيع.

14 ـ معقولة: تقال للناقة التي ربطت ركبتها الأمامية بالعقال.

15 ـ مثنيّة: تقال للناقة التي ربطت كلُ من قائمتيها الأماميتين كل بعقال، أي معقولة الاثنتين.

16 ـ مقيّدة: تقال للناقة التي قيدت قائمتاها الأماميّتان بحبل (قيد) لتقصير خطوها عند السرح.

17 ـ بومسيلين: حبل يربط في رجل البعير، وطرفه الثاني يربط حول ظهره خلف الذروة لتقصير خطوهِ أثناء استياقه.

18 ـ امذرّع: حبل يربط في ذراعي البعير الشرود ليقيد خطوه.

19 ـ اشمال: خيوط مشبّكة توضع على ضرع الناقة حتى لا يرضعها ولدها.

20 ـ اصرار: هو صر حلمات الناقة بخيط حتى لا يرضعها ابنها.

21 ـ رَحَل: خيط مظفور يشدّ به الشمال حول سنام الناقة.

22 ـ ابهال: خيط يربط بين الشمال والرحل، يدخل بين قائمتيْ الناقة الخلفيتين، ويربط في الرحل وراء السنام ومنه يفتح السمال.

23 ـ قيد: وهو خيط يربط به الشمال من جانب الناقة.

24 ـ عاطوفة: جلد بعير يربط بين عَصَوَيْنِ يوضع مكان الحوض لتسقى عليه الإبل. وبعد السقي يضم ويصبح يابساً. وبه يضرب المثل في الصخور، فيقول الشاعر الشعبي مخاطباً فرسه التي أضمرها السفر.

منين سرتها راحت كما العاطوفة

وما قطّعت من بر يرعب خوفه

25 ـ الوقيد: كلمة تطلق على بعر الإبل عند بعض الرعاة. وعند البعض، وخاصة أثناء درس المحصول على الإبل يطلقون على بعر الإبل (تمراً).

26 ـ الكَتَبْ: قطعة من الخشب على شكل العدد الهندي (8) توضع على غارب البعير لتقيه ضرر الحمل.

27 ـ الحويّة: وهي نسيج طويل محشو بالتبن يدار حول سنام البعير ليقيه ثقل الحمل.

28 ـ راحلة: وهي السرج الذي يوضع على ظهر البعير أمام سنامه ويربط للركوب. وعادة ما يوضع على ظهر جمل (المهاري).

29 ـ عكّاري: يقال للحويّة التي لا يوجد بها (كتب).

30 ـ رسن: حبل يدار حول رأس البعير ويقاد به.

31 ـ شكيمة: حبل يربط حول أنف البعير ويربط به الرسن ليقاد به البعير.

32 ـ كمامة: حلقة مشبكة من الحديد اللين أو من حبال الليف توضع حول فم الجمل الهائج لمنعه من أكل صاحبه ولتقيه شره.

33 ـ خزامة: حلقة من الحديد توضع في أنف الجمل المهري المعد للركوب ويربط بها خيط الرسن.

34 ـ تابع: تطلق على ذيل الجمل في بعض اللهجات.

35 ـ يشوّل: تقال للناقة أو الجمل عندما يقف ويفتح ما بين قائمتيه الخلفيتين ويبول.

36 ـ يكرْيط: تقال لصوت أنياب الجمل الهائج عندما يحكها ببعضها البعض.

37 ـ يزريط: المعنى السابق نفسه.

38 ـ يطّامة: تقال للجمل الهائج الذي تغطي رغوة (لعابه) أنفه وفمه.

39 ـ يتيكر: تقال للجمل الهائج.

40 ـ بوْ: تقال لجلد الحوار عندما يموت ويُحْشى بالتبن لتظن أمه أن ولدها لا يزال بجانبها فتدر الحليب.

41 ـ ذود: تقال للإبل.

42 ـ شُلاّق: تطلق على الإبل القليلة العدد، وكذلك الغنم.

43 ـ اركيّب: مجموعة من الآبال القريبة من بعضها.

44 ـ كرّازة: تقال لعدد ثمانية من الإبل في لهجة عرب الصحراء الكبرى.

45 ـ افرْق: تقال لأناث الإبل الصغيرة التي حان الوقت لتفارق أُمّاتها.

46 ـ حواشي: جمع حاشي، وهو القعود الصغير.

47 ـ عير: وجمعها (معيرة) وهي تطلق على القعدان الذكور التي تجاوزت أعمارها السنتين.

48 ـ ذروة: تطلق على السنام.

49 ـ ناب: تقال لناب الجمل عند بزوغه. وتطلق على الناقة المسنة.

50 ـ ثلب: وللأنثى ثلبة تطلق على البعير المسن.

51 ـ ظنبوب: تقال للناقة الهزيلة، ويقولون عنها (ظنبوب يابس).

52 ـ النيبان: امظهر النيبان، تقال للجمل البالغ حيث تظهر له أربع أنياب، اثنتان في كل فك.

53 ـ قارح: تقال للجمل المسن.

54 ـ شرّاد: تقال للبعير الشرود وغير الذلول.

55 ـ أديب: يقال للبعير الذي مهّد للحرث وتعوّدهُ.

56 ـ خوط: كلمة تقال للبعير أثناء تدريبه على حراثة الأرض ليتبع الخط السابق.

57 ـ ارجع: كلمة تقال للبعير أثناء الحرث عندما يصل إلى نهاية الخط فيقولون له (ارجع) وتعتبر نهاية خطوط الحرث (مرجعاً) أو (مراجع). ويقول البدو للبعير غير المؤدب على الحرث (لا يعرف خط لا ارجع).

58 ـ مَرَدّة: وهي الحبل الذي يربط في رأس البعير، وتكون نهايته بيد الشخص الذي يحرث الأرض مع المحراث، ومهمته ردّ البعير للخط.

59 ـ سَدَلْ: وهو حبل مظفور يربط على غارب البعير، ويربط به المحراث ليستطيع الجمل جرّه دون أن يسقط المحراث.

60 ـ حبّاس: هو البعير الذي يُربط في طرف الأباعر أثناء درس المحصول، وتدور عليه المجموعة. ويكون برأسه رسن بيد الشخص المتولي الدرس. ويكون هذا البعير عادة مسناً عاقلاً.

61 ـ لوّاذ: هو البعير المربوط في طرف الأباعير أثناء الدرس، وهو الذي يدور من خارج الدائرة، ويكون هذا البعير صغير السن ونشِطًا. وجميع الجمال والنوق التي تستعمل في درس المحصول تكون مربوطة مع رقابها ببعضها بعضًا.

62 ـ مصّعّد: تقال للجمل عندما يبرك مقابل المرتفع، وهنا لا يستطيع النهوض بعد تحميله، حتى إن الشاعر الشعبي يصف حال

أحد المتوعكين في مشكلة عويصة بقوله:

برك بيك مصّعد ومَدْ اكراعه

نزل بيك ثلث اقدود تحت القاعة

والبدو يتجنبون تبريك إبلهم في سفح المرتفع، ويختارون لذلك أرضاً منبسطة.

63 ـ متْمرْوَك: تقال للبعير البارك في اتكاء على أحد جنبيه لمرض أو لغيره.

64 ـ عض غاربه: دلالة على الموت. فالبعير عندما يدركه الموت يلوي رأسه إلى غاربه ويعضه.

65 ـ هيل: يقال للبعير الذي يتركه صاحبه يرعى بدون راعٍ.

66 ـ ضال: يقال للبعير الذي ترك إبله وسار في اتجاهه، ويقولون للناقة ضالة.

وجاء في الحديث الشريف (الحكمة ضالة المؤمن)، أي إنه يضل يبحث عنها إلى أن يجدها.

67 ـ جافل: تقال للبعير الشرود الذي يجفل من رؤية الناس والحيوان.

68 ـ يتخوفق: تقال للبعير غير الذلول الكثير الالتفات ليهرب.

69 ـ يصك ويرمح: تقال للبعير الذي يضرب برجليه ولا يترك أحداً يقترب منه.

70 ـ يهدر ويصوّطُ: الهدير هو صوت شقشقة الجمل أثناء هياجه.

والتصويط: هو أن يفتح قائمتيهِ الخلفيتين ويضرب بذنبه بينهما وهو يبول ويفعل ذلك أثناء الهياج، وعندما يريد أن يتحدى فحلاً آخر رآه.

71 ـ يمرد: المريد نوع من أنواع الجري تجريه الجمال أثناء ركوبها، وهو أهون أنواع الجري وأدومها.

72 ـ يزومل: نوع من أنواع الجري تجريه الإبل أثناء ركوبها.

73 ـ يذمل: نوع من أنواع الجري وهو قريب من المريد.

74 ـ يرابع: الجري السريع للجمل، وهو أن يرفع قائمتيهِ الأماميتين معاً. ويتبعهما بالخلفيتين، وهو جري مجهد للإبل ولا تستطيع المداومة عليه.

75 ـ يبرطع: وهو أن يجري البعير ويلوح برأسه إلى أسفل وإلى أعلى.

وهو نوع من الرقص ترقصه الإبل الفرحة، وأحياناً تسري عدواه في جميع الإبل. وخاصة عند سقوط المطر.

وقد رتب العرب سير الإبل فيقولون العنق: وهو السير المسبطر. فإذا ارتفع عنه قليلاً فهو (الثريد) فإذا ارتفع عنه فهو (الزميل) فإذا ارتفع فهو (الرسيم) فإذا تدارك المشي وفيه قرمطة فهو (الحفد) فإذا ارتفع عن ذلك وضرب بقوائمه كلها فذاك (الارتباع) و(الالتباط)، وإذا لم يدع جهداً فذاك (الادرنفاق). .

76 ـ نافر: تقال للناقة التي نفرت ابنها ولم تعد ترضعه.

77 ـ رامت: تقال للناقة التي استطاع الراعي أن يجعلها تروم ولدها.

78 ـ املاقية: تقال للناقة التي امتلأ ضرعها باللبن وهي عشراء، كناية عن أنها على موعد مع (الميلاد).

79 ـ تمخض: الناقة عندما يحين موعد ولادتها تخرج من القطيع وتسير مسافة بعيدة، حيث تلد. فيقولون إنها (تمخض).

80 ـ نخسها لحوار: تقال للناقة التي حان موعد ولادتها. فيقولون إن الحوار بدأ ينخسها في جنبها.

81 ـ رزمت: الرزيم هو صوت الناقة لطلب ولدها للرضاعة.

82 ـ حنّت: صوت الناقة لطلب ولدها. ويقولون عنه أيضاً (الحنين) وهو استدعاء ولدها من مكان بعيد.

83 ـ الغريد: وهو صوت البعير حانًّا إلى ولده أو القطيع.

84 ـ الرغاء: صوت الناقة أو الجمل عند الضعف والاستكانة حين يكوى أو يحمل فوق طاقته.

85 ـ يزحرز: تقال لصوت البعير المريض بالإمساك، فهو أقرب للكت عند الإنسان.

86 ـ تقصع جُرّدتها: أي تجتر، ويقولون أيضاً (ترد في جرتها).

87 ـ امقرقز: تقال للبعير الذي أكل (القرقاز) ـ وهو نبات مسكر ـ وسكر منه.

88 ـ مذبوب: تقال للبعير الذي جُن من الذباب الذي يلسعه.

89 ـ مرموح: تقال للبعير الذي مرض من الدم.

90 ـ مرهوص: تقال للبعير الذي أصيب بالرهصة وهي (كدمة) في خفه.

91 ـ متحفّى: تقال للبعير الذي آلم الحجر أخفافه ولم يعد يقوَى على السير.

92 ـ مفلوق: تقال للحوار الذي امتلأت بطنه بحليب أمه ثم سقط على الأرض فتسببت له السقطة تمزقاً في صفاقه.

93 ـ يتواكل: تقال للجمل الهائج الذي يحك رأسه على الحشائش والنباتات من الغيظ.

94 ـ درابكي: تقال للجمل الهادىء الذي يختار لحمل (الدربوكة) وهي (الهودج) حيث تركب السيدات، ويُختار لهنّ الجمل الهادىء الرصين.

95 ـ كوت: تقال للجمل القوي الضخم. والكوت في اللهجة العربية (القصر) ومنها جاءت (الكويت) أي (القصير).

96 ـ كميتي: تقال للجمل القوي الضخم.

97 ـ شابك النيبان: تطلق على الجمل المسن.

98 ـ أم العراقيب: تقال للإبل.

99 ـ الشومة: تقال للإبل لشؤمها، فهي سبب المعارك.

100 ـ كحيلة: تقال للإبل.

101 ـ الهذباء: تقال للإبل.

102 ـ عوج العراقيب: تطلق على الإبل ومن أسمائها.

103 ـ عوج لرقاب: تطلق على الإبل ومن أسمائها.

104 ـ أخشوم العز: تطلق على الإبل ومن أسمائها.

105 ـ أم احوار: تطلق على الإبل ومن أسمائها.

106 أم اشمال: تطلق على الإبل ومن أسمائها.

107 ـ الغزّادة: تطلق على الإبل ومن أسمائها.

108 ـ الحنّانة: تطلق على الإبل ومن أسمائها.

109 ـ رفاعة لثقال: تطلق على الإبل ومن أسمائها.

110 ـ المجبى: وهو وعاء من الطين له علق متصل بأنبوب من المعدن بإناء آخر به قطع من الخشب الأخضر توضع تحته النار. ويتجمع البخار فيكوّن (القطران) الذي تطلى به الإبل من (الجرب).

111 ـ ثملة: وهي الليفة المغمسة في القطران وتطلى بها الإبل.

112 ـ بيضاء: تطلق على الناقة ذات اللون الأبيض، ويقولون بيضاء علام.

113 ـ شقراء: ذات اللون الأصفر المشوب بالبياض.

114 ـ شعلاء: تكون ممزوجة الحمرة بالبياض، ويسمونها أيضاً (نار قايلة).

115 ـ صفراء: ذات اللون الأحمر الفاتح.

116 ـ حمراء: ذات اللون الأحمر.

117 ـ زرقاء: ذات اللون الأحمر المائل إلى الزُّرقة، وفي الصحراء يطلقون على الناقة (المبقعة) زرقاء.

118 ـ سوداء: ذات اللون الأسود.

119 ـ حجلاء: لها لون أحمر أو أزرق أو أسود، وقائمتاها الأماميتان بيضاوان.

120 بيضاء مثري: أي لونها أبيض ممتزج بلون التراب.

121 ـ غشية أو أغشى: وهو البعير الذي في وجهه غُرّة بيضاء.

122 ـ زرغاف: تقال للبعير الأزرق العينين، وعادة ما يكون (اربش) اللون.

123 ـ ضابحة: أو ضابح، تقال للبعير الضامر من المرض أو الجوع أو الهزال.

124 ـ صول: الجمل عندما يهجم على الإنسان في فترة هياجه.

125 ـ يولّي: تقال للجمل الذي يهاجم الإنسان عند هياجه.

126 ـ جمل خف: وهو الجمل الذي عندما يتعارك مع الجمال يعضّ خف الجمل الآخر. وهو أخطر الجمال في المعاركة.

127 ـ جمل غارب: هو الجمل الذي يعضّ غارب الجمل المعارك له، وبالتالي يضره.

128 ـ معبسة: عندما تأكل الإبل العشب يبقى من أبوالها على سيقانها الخلفية وأذيالها (عبس) دلالة على سلامة صحتها وإفادة مرعاها.

129 ـ امحددة: أي إن البعير تسمن ذروته حتى يصل السمن أجنابه.

130 ـ امحددة: تقال للبعير الضعيف الذي لا يسمن مهما أكل. فيقولون إنه ربما يكون قد أكل حديداً في معدته.

131 ـ امكصير: تقال للجمل القوي السمين.

132 ـ متكومر: تقال للجمل القوي.

133 ـ العكوة: وهي مؤخرة الجمل. ويقولون (عكوته معقودة). دلالة على قوته.

134 ـ جمل امدور: أي ليس ممدوداً للأمام والخلف.

135 ـ جمل ملفوف: أي ليس بالطويل ولا بالعريض.

136 ـ جمل معقود: معقود تعني أنه سمين وقوي.

137 ـ مرسوع: تقال للجمل القوي، ويزيدون على كلمة مرسوع قولهم جمل (مرسوع رسع) أي قوي جداً.

138 ـ المرسوع: نوع من القيد يشد به الجمل الكثير الشرود فيقيدونه مع (خفه).

139 ـ تاروكة: وهي الحبل الذي يربط به الجمل مع إحدى قوائمه ويثبت في الأرض.



في القصص

يمتلىء الأدب العربي بالقصص التي تروى عن الإبل، أو التي كانت الإبل طرفاً فيها.

وكان استياق الإبل من أعمال الفروسية العربية، فيسوق الفارس أو الفرسان الإبل، ويلحق بهم أصحابها، وتنشب معركة حامية ينتصر فيها أحد الفريقين، ويخلّدها الشعراء في أشعارهم، والرواة في أسمارهم.

وما قصة (البسوس) وناقتها التي دخلت إلى حمى كليب بغائبة عن البال. بل إن الخيال العربي لعب دوراً في استطرادات هذه القصة وذيولها، زادها جهل النقاد والكتّاب بعادات العرب، فأضفوا قصصاً أخرى واستنتاجات مضحكة. كقولهم إن كليب حمى عش قبرة وداست الناقة على بيضات القبرة، ولهذا قتلها كليب. وهو أمر مضحك جداً، والقصة تتكرر كل يوم في البادية. وهي أن صاحب الإبل أو الغنم يمنع مسافة من الأرض المعشوشبة لأكل حيواناته. وإذا دخلتها أي حيوانات أخرى يطردها ويسميها البدو (القدال)، وقد يرفض صاحب الحيوانات الداخلة الانسحاب فتنشب معركة بالعصي أو بالسلاح، وقد يسقط عدة قتلى.

ويعتقد بعض الكتّاب أن الحروب التي تنشب على هذه الشاكلة، وتستمر أربعين سنة أو أكثر أو أقل، هي حروب حامية طاحنة. والواقع أنها معارك متفرقة صغيرة، تقع بعد كل سنة أو أكثر. وقد يسقط بعض القتلى. وتسمى هذه الحروب باسم مسبباتها، وهي في الواقع استمرار العداوة وليس الحرب.

وكما وقع في القديم وقع في الحديث قبائل تغير على إبل قبائل أخرى. ويسقط القتلى من الطرفين، ويلهج الشعراء بمدح الشجعان والجبناء.

والإبل هي المحرك الرئيس لهذه المعارك. ويعتبر الفارس الذي لا يموت دفاعاً عن إبله أنّه يحيا حياة لا معنى لها.

وقد انقسمت القبائل في الشمال الأفريقي إلى قسمين: يوسف وشداد. أو الصف

الفوقي والصف اللوطى (صف البحر).

وتعتبر القبائل التي تتبع يوسف، هي القبائل الموالية للحاكم. والقبائل التي تتبع شداد معارضة للحاكم.

وتسِم قبائل يوسف إبلها من جهة اليمين، وتسم قبائل شداد إبلها من جهة الشمال. وكل فريق يغير على إبل الفريق الثاني.

وفي ليالي السمر في الصحراء، يتحدثون عن أبطال هذه المعارك، ويروون أشعار مدحهم. كما يتحدثون عن المعارك التي خاضوها.

وإلى جانب هذه القصص، هناك القصص الأخرى التي تروي أخبار القوافل التي تاهت عن الآبار ولقيت حتفها من العطش في الصحراء.

وقصص الذاكرة القوية للإبل في معرفة الآبار التي سبق لها أن وردتها، وهي صغيرة أو مرة واحدة في حياتها، فإنها حتماً تستطيع ورودها في أي وقت من الليل أو النهار.

ويتحدث البدو عن الجمال التي استطاعت أن توصل أصحابها إلى المعاطن بعد أن ضلوا الطريق وتاهوا في الصحراء.

كما يتحدثون عن حب الوطن الذي تتمتع به الإبل، فهي ترجع إلى الأرض التي عاشت عليها وترعرعت في وهادها. فقد عادت الإبل التي حملت المجاهدين المهاجرين من تشاد والجزائر وغيرها إلى مراتعها في صحراء ليبيا.

وفي السنوات الأخيرة عادت مجموعات من البدو الليبيين من منطقة كانم بشمال نيجيريا، فعادت إبلهم من ليبيا إلى كانم دون أن تضل الطريق.

ويتحدث البدو في الصحراء عن سرعة بعض الأنواع من الإبل. كالناقة المرية التي كان يركبها أحد أولاد شيخ توارق غات، والتقى بالإيطاليين في الحمادة الحمراء، فأطلقوا عليه النار فقتلوه، وهربت الناقة باتجاه غات. من ضحى ذلك اليوم وليلته واليوم الثاني، حيث وصلت ليلاً إلى غات، أي إنها قطعت 250 كيلو متراً في حوالى 36 ساعة.

كما يتحدثون عن كثرة حليب بعض النياق التي تروى بلبنها جواداً. ويقولون إن جواد فلان كان يسقى حليب النوق. ويتحدثون عن الخيل التي تروى بحليب النوق، وسرعتها وأهميتها.

أما عن أحقاد الجمال وبطشها بمن يسيء إليها، فقصصها كثيرة، لا يخلو أي حديث عن الإبل من ذكر هذه الأحقاد. وقد شاهدت وأنا صغير جملاً لنا ضربه أبي فهجم عليه وعض يده ولم يطلقها إلا بعد أن اجتمع عليه مجموعة من الرجال، وهم

يضربونه حتى أصابوا عينه، فأطلق يد والدي مهشمة تنزف دماً.

وكثير من الجمال كانت تخزن حقدها إلى أن تؤاتيها الفرصة فتهجم على الرعاة أو الأشخاص الذين سبق أن ضربوها فتقتلهم.

وهناك شخص حدثني عن أن جمله ألجأه إلى الاحتماء بشجرة سدر يوماً كاملاً، والجمل يحوم حوله ليقتله.

وكثيراً ما يزحف الجمل ليلاً على صاحبه النائم ويقتله.

وكما أن الجمال تحقد على المسيء إليها من البشر، فهي لا تغفر الإساءة من الجمال الأخرى. وقد حدثني شخص في الحمادة الحمراء، قال: إن فحل إبله كان يعقله ليلاً، ويطلق في الإبل جملاً آخر، لأن الإبل كثيرة ولا يستطيع فحل واحد تلقيحها.

وكان الجمل الفحل يطارد ذلك الجمل الآخر طوال اليوم ويبعده عن القطيع.

وفي أحد الأيام كنا نسوق الإبل نحو الماء وتجاوزنا كثيب رمل. اختبأ تحته الجمل الفحل حتى وصله الجمل الآخر فانقض عليه وقتله، ولما وصلناه وجدناه على آخر رمق، فنحرناه.

وبعد سنة كان جلده مرمياً على جانب الخيمة، فاقترب منه الجمل الفحل وشمه وعضه ولم يلقه من فمه حتى أسرعنا إليه وضربناه وانتزعناه منه[1].

والإبل من أكثر الحيوانات غيرة على إناثها وأكثرها حقداً. وتروى الكثير من القصص عن ذلك.

والإبل تشم رائحة المطر. وتجفل باتجاه البرق، وتروى القصص عن ذلك. وإذا ضاع منك بعير فابحث عنه في الأرض التي أصابها الغيث.

أما إذا كان ذلك في الصيف وفي فصول الحر، فابحث عنها عند الآبار التي سبق لها إن شربت منها.

ويتحدث البدو عن النوق التي تستطيع أن تحمي ولدها عند الولادة من الذئاب، فتجعله بين قائمتيها الخلفيتين وترفس الذئب بإحداهما. ويحكون كذلك عن إبل أخرى جاهلة تطارد الذئب وتترك ولدها فيهاجمه ذئب آخر ويقتله. والذئاب لها خطط في قتل الحيران الصغيرة. وتهجم في مجموعات.

وباختصار لا يخلو أي مجلس للبدو لا تُحكى فيه قصص الإبل ومشاكلها وطرائفها.

---

(1) رواية الحاج الدين عبد الرحمن الجرمني.

الإبل في سيرة بني هلال

سيرة بني هلال، أو تغريبة بني هلال، أو قصة أولاد هلال، تلك القصة الشعبية التي تروى عن رحيل قبائل بني هلال، وبني سليم من الجزيرة العربية إلى الشمال الأفريقي. وتَمَّ عن طريقهم نشر اللغة العربية الفصحى لغة قريش بين القبائل العربية الصنهاجية وغيرها في الشمال الأفريقي.

ومن المعلوم أن الإبل هي الوسيلة الوحيدة التي ارتحل على ظهورها هؤلاء القوم، ووصلوا إلى المحيط الأطلسي، حتى إن الوزير الفاطمي اليازوري عندما أراد تشجيعهم على الرحيل من صعيد مصر إلى الشمال الأفريقي دفع لكل فرد منهم ديناراً ذهباً وجملاً.

وقد امتلأت سيرة بني هلال بالحديث عن الإبل وتمجيدها، وذكر خصائصها ومزاياها، والتوصية بالاهتمام بها، وعدم التفريط بها وحمايتها من الأعداء.

كانت تلك الوصايا تأتي على ألسنة أعلام الهلاليين كأبي زيد الهلالي، والزازية، وحسن بوعلي وغيرهم، وذياب بن غانم، الذين يعددون مناقبها في أشعارهم. فمن قولهم أن (الزازية) الهلالية سألوها عن خير الكسب فقالت:

ميات جبارة[1] في عين هرهارة. والبل خير

ميات زيتونة في أرض مصيونة. والبل خير

ميات حولية[2] في أرض العفية، والبل خير.

ويقولون أيضاً عندما عزم الهلاليون الرحيل قال قائلهم:

(اللي نويقته حنة. وقريبته شنة. ومرته حطنة. لا نا منه ولا هو منّا).

والمعنى أن الذي ناقته هزيلة، وقربته ممزقة، وزوجته غير صانعة لسنا منه ولن يكون معنا في الرحيل.

---

(1) جبارة: نخلة صغيرة.

(2) حولية: نعجة لها سنة من العمر.

إلى غير ذلك من القصص التي تروى عن استياق الإبل وإرجاعها في طيات قصة بني هلال.

فيقول (غانم) لابنه ذياب عندما قتل ذياب أحد أفراد عشيرته خطأ:

والله ما نشيلوا ونحطوا على نجعهم   والدم يجري والعذارى تهايب
والله إن مشينا نشيلوا ونبتلوا   نين يملّن شايبات الغوارب
نين بعد يميعد الميعاد في وسط نجعهم   يقولوا مع الميعاد ما زال غايب

وشايبات الغوارب هي إبل الحمولة التي شابت غواربها من الأحمال وثقلها.

ويمتدح الشاعر الهلالي جماعته قائلاً:

لا عمرهم داروا إلا فوق خيلهم   ولا عند واحد علقوا مخلاه
ولا عمرهم ذاقوا إلا عيش أمهم   وهاذول هاديهم الله بهداه
ولا عيط العياط في قرن مالهم   يجنّه اصقوره ناظرات ادعاه

ويقصد إذا صاح المستغيث في جانب الإبل، تأتي سراعاً كأنها الصقور مُلبّية نداءه.

ويتحدث الهلاليون عن (زيدان) الذي قتل فارساً يدعى (حديد) فداهُ (ببكره) من إبله.

يقول شاعرهم:

نلقاها إن داروا علينا نندهوا بسلامه   وإن درنا عليهم يندهوا بحديد
نلقا إن حديد يحد الخيل في وان البلا   ويجيبهن على ما يستوي ويريد
طرفت م الذود بكره   قدعها من راية عليه نكيد
هو قدعها والزيدان يرمشه   هفا جنبه والسيف طاح بليد
قال هذا خزيته فدا في بكرتي   وإن كان زادوا مرتين انزيد

أي إن زيدان قتل الفارس (حديد) فدى في (بكرته)، وتوعد إن زادوا فسيزيد مرتين.

والشاعر الهلالي صاحب السيرة يصف فرساً حمراء فيقول:

راكب على حمرا كما عقدة الرّشا   يجي حذفة الرامي وراها ودونها
دنّه من قُدّام طرزه من ورا   صمّت حوافرها ونُذرت عيونها
سمعت عيطه في نقرة الضحى   ليّنت شديد الحديد من قيونها

جـوهـا الـسـيّـاس مـع وجـهـهـا   مـشـوا مـنـهـا ومـا تـمـقـلـونـهـا
تـخـتـبـط بـيـن الـسـمـا والـوطـا   ديـمـه عـلـيـهـا نـايـضـات اجـنـونـهـا
في الصيف تشرب حليب البكر في اقديح النقا   وفي الـشـتـا من صـقـع الـلـيـالـي يـصـونـهـا

أي إن هذه الفرس الجميلة ذات العينين النادرتين، والحوافر الصماء التي تختبط في جريها كأنها تطير بين السماء والأرض، فإنها تشرب حليب النوق الوالدة أول مرة في الصيف في قدح نظيف، وفي الشتاء يصونها من البرد.

أما وصاءة أولاد هلال بالإبل، فإنها تروى على لسان أحد شخصياتهم يوصي ذياب بن غانم عندما كلفوه بحراسة الإبل في مراعيها.

يقول الشاعر:

وصـاتـيـن يـا ذيـاب ع الـبـل   مـاي غـيـر وصـاه
الـبـل تـسـوقـكـم والـبـل تـجـيـبـكـم   والـبـل تـقـرب لـلـبـعـيـد اخـطـاه
والـبـل أجـواد يـا ذيـاب بـن غـانـم   رأي غـيـر مـا تـعـرف اتـرد لـغـاه

أي أوصيك وصاءتين بالإبل لا وصاءة واحدة. فالإبل هي التي تحملكم، وهي التي ترجع بكم، وهي التي تقرب الشيء البعيد.

والإبل كالرجال الأجواد، إلا أنها لا تتكلم.

ويتحدثون عن ابنة بوزيد الهلالي عندما عاد والدها إليها وهي لا تعرفه، وسألها عن أحوالهم فأجابت:

سـبـع سـنـيـن مـالاح الـغـربـال بـيـنـا   ولا غـاتـنـا در الـسـحـاب ابـمـاه
وظـيـفـنـا مـايـبـات بـلاش   لـو كـان تـبـدا بـنـت لـبـون عـشـاه

أي رغم الجدب وعدم هطول الأمطار سبع سنوات، فإن ضيفنا لا يمكن أن يبيت بيننا بدون طعام ولو نحرنا له (ابنة لبون)، وهي البكرة التي مرّ على عمرها سنة من الإبل.

وتتحدث الرواية عن كثرة نجوع بني هلال، وأن الوحش كالغزال وغيره يجفل أمامهم إلى أن وصل إلى أقوام الزناتة، فصاروا يقتلونه ويصطادونه وهم فرحون، فقام أحدهم يقول لهم:

لا تـفـرحـوا بـالـصـيـد يـا صـايـديـنـه   راو ما جاب الصيد غير الهتايف
يـمّـن شـي نـازل مـن الـسـمـا   وإلاّ العيد جابلكم انجوعاً ضفايف

لاهـن مـراكـب بـقـلاعـات يـبـرمـن	ولا هن طيور الجو صقر المخالب
طوال الذرا عوج العراقيب من ورا	تطوى في الأرض كيف طي الكتايب
مـراسـيـل وأجـواد فـوقـهـا	حـمـالات لـريـم الـصـلايـب
إن ماجت ثامن يوم وإلا ثامن صلا	تحرم عليّ التاقزة وجمل التجارب
تجيكم بنجع على بد الذر والريح والمطر	واللّي بـهـا بـوزيـد والا اسـم زايـد

فيقول لهم إن النجوع التي أثارت الوحش ليست على السفن ولا على المراكب، إنما هي على الإبل (عوج العراقيب) التي تطوي الأرض طيّ الكتب.

وعند ورود الهلاليين إلى عين (توزر) ومهاجمة العلام لهم، قالت ابنة أبي زيد ريا التي كانت تركب جملاً ذلولاً كبير السن (ثلب).

وردنا عين توزر في نقرة الضحى	واحنا ضحايا ما بغيت اورودها
وردناها بالشياب والشيابين	في ساعة يا ربنا لا تعودها
طولى وطول الثلب وانا واقفة	في سرية ما رعيت احدودها
وناضت الزحلان ودبلت	ولبست طواقي من براطيل يهودها
ودارت بعبيد الخيل في عراقيب الجمل	جايد حناوي السيف راعي حدودها
ودارت بذويب الخيل بلا غبى	جملة فرس عقال حتى بدودها
ودارت بوليد الخفاجى عامر ياما لا	راحن مراسمها وراحن اجدودها
يمشي ضاحكاً ويرَضاحكا	م البطر حتى قليعته ما يقودها

و(ريا) تصف المعركة التي وقعت حول جملها الذي وقفت فوقه، فلم تستطع رؤية نهاية الخيل والمقاتلين لكثرتهم.

وفي الحديث الذي جرى بين (الهلاليين) ومجموعة العلام الزناتي في محاولة للصلح والتفاوض يقوم أبو زيد الهلاليّ مغضباً وهو يقول:

هذي بلاد قريش وقريش جدنا	واحنا ابلاد الجد ما نتركونها
وانت قلت لا هاو بدر وقاسم	يعرفوا جداولها ويعرفوا عيونها
غدوه مع نقرة الضحى	عين توزر بالنبص نقسمونها
حُصّة لُبّادي ياكلوها بمالهم	وانت حصتك بالزرب صونها
واصحوا على بالكم إن جتكم بكره	من الأذواد طارفة لا تضربونها
اليا ضربتوها راهي	لبّادي يهيض جنونها

غداً عند الضحى سنقتسم(عين توزر): فحصة البدو تأكلها إبلهم، وحصتك يا علام حافظ عليها (بالزرب). واحذرك إذا جاءتكم (بكرة) أي ناقة صغيرة خارجة من الإبل لتأكل مزروعاتكم فلا تضربوها، لأن ضربكم لها سيجعل البدو (الهلاليّين) يهاجمونكم في جنون. فالبدو يعتبرون الإبل شيئاً لا يهان ولا يمس، ولكن العلام يحذر الهلاليين قائلاً:

الكرم والزيتون باروا مضرته | مراح الكسويه ضامنات خلاه

أجابه بوزيد قائلاً:

الكرم والزيتون ما تعرفونه | من قبل لا طوال الذرا مرباع

ولم تهدد العلام أبا زيد الهلالي باستياق الإبل، أجابه أبو زيد قائلاً:

إن كان يا العلام قد من جاياقها | ما كثرة الجعدة وطالت قرونها
من نجد العلية إلى بر تونس | لا راحت بكره ولا دورونها

أي إن إبله لم يسقها أحد ويطمع بغنيمتها. فمن بلاد نجد إلى أرض تونس لم تضع منها ولا بكرة واحدة.

وعندما ذهب سعد الهجين إلى ذياب بن غانم في مناطق (درج) حيث يرعى الإبل، وقام يخبره عمن قتل من أولاد هلال، وذكر له ولد الخفاجي عامر تأسف ذياب كثيراً، وسأله كيف تَمَّ دفنه، وما عمل له من مأتم لأنه غريب وعشير. أجابه سعد:

ذبحنا عليه ميتين بكرة بيضة | اللّي للعيل سريع ادرارها

أي إن ذبح الإبل على الميت منتهى الإكرام له، خاصة وقد نحروا على قبره مائتي بكرة سريعات الأدرار في الحلب. أي من كرائم الإبل.

وعندما تحدث أولاد هلال عن الرحيل، ورأى بعضهم أن يرتحلوا ليلاً قال (زيدان):

الليل يسهرنا ويسهر أصغارنا | ويودر منا بنات الشوايل
الزموها ونزروها لنقرة الضحى | ونحجوها ع الجيدات التلايل
بكره يبقوا ضنا لجواد منا ومنهم | عراجين حذفه من نخيل طوايل
وبكره يبقوا ظناً للياش منا ومنهم | يذّابوا كما ذبّتْ كلاب الغسايل

أي لا بد أن يتم الرحيل عند الضحى، لأن رحيل الليل يسهر القوم وصغارهم، وتضيع إبلهم في الليل.

وعند المعركة، وهي دائماً حول الإبل. يقول في وصفها:

أصبح فارسين لوجواجيهه	داروا في الدنيا الشي الهوايل
ايدفهن العلام لعند نجعهن	ويردهن زيدان لعند الشوايل

والشوايل هي الإبل الحلوب التي تكون دائماً بقرب الخيام. وعندما جاءت امرأة تجمع دية طلبها الحاكم لاطلاق سراح ابنها، وجاءت إلى زيد العجاج الهلالي، وكان كريماً فدفع لها الديّة من الإبل، وهو يقول:

لا تقرعوا لي شي قلبي رايده	العمر يوفي والخير يوشال
عربنا تريد الشكر وتنكر العطا	شكراً بلا عطا حديث اهبال
أصبح راكب على ظهر منايل	ماو فارز الحايل من أم اشمال
أصبح راكب على ظهر منايل	نصيه تحلف عشير ارمال
عطا فيهن حتى اغزتلِ اللي ليلة ضحيها	تحلب اثنا عشر ويبة وليلة غبها ما

تخلى في الجديد ينهال

أي إنه دفع لها الإبل، كما دفع الناقة المشهورة (غزيل) التي تسقي الرعاة، والتي تحلب اثنتي عشرة ويبة ليلة الضحى وليلة الغب تملأ كل قدر فارغ. وهذه مبالغة في كثرة حليبها. وقد امتدح الشعراء الشعبيون في ليبيا اهتمام أولاد هلال بالإبل وتوصياتهم عليها[1]. وذكروا ذلك في أشعارهم.



---

(1) مأخوذة بتصرف من (قصة بني هلال) للدكتور علي محمد برهانا، منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها.

الإبل في اللغة

تأثر العرب بالإبل أيما تأثير. فهي رفيقة معيشتهم، وصنو منتجعاتهم، أثرت في لغتهم واقتبسوا من مقتنياتها ومسمياتها أسماء لصفاتهم وتصرفاتهم.

فأطلقوا على الرجل الحكيم السديد الرأي عاقلاً، ورجلاً معقولاً، وعلى جمعهم عقلاء. وقد جاءت التسمية من العقال الذي تعقل به رجل البعير، فيهدأ ويروّض. وقالوا لحفظ الأشياء أو الأفكار أو الأسماء من الضياع (قيّدها) والقيد هو الحبل الذي يربط بين رجلي البعير ليقصر خطوه ويمنعه من الضياع. ويقولون للرجل الذي أثقلته الأسرة، أو أثقله الاحتياج: (مرسون)، والرسن هو الحبل يوضع في رأس البعير، فيقاد به.

ويقولون للشاب القوي: (جذع) وهو الشاب من الإبل الذي يكون في كامل قوته.

وقد تفنن العرب في مسميات الإبل، وأكثروا منها في لغتهم حتى كادوا أن يضعوا لكل حركة من حركاتها اسماً متعارفاً عليه.

فأسموها من حيث تولد إلى أن تشيخ بأسماء في غاية الدقة.

(سليل): عندما يخرج الحوار من بطن أمه.

(سقب): وحوار بعد أن يولد.

فصيل: عندما يفصل عن أمه.

ابن مخاض: عندما تلقح أمه في بداية سنته الثانية.

ابن لبون: لأن أمه صارت ذات لبن.

حِقّ: لأنه رأى أخاه الذي ولدته أمه.

جذع: في سنته الرابعة.

ثني: في سنته الخامسة.

رباع: في سنته السادسة.

سداس: في سنته السابعة.

بازل: أو (أبو فاطر) إذا تجاوز السداس سنة. ويستمرون في تسميته بعد ذلك بوفطر وبوفطرين. وهكذا إلى أن يهرم، فيقولون له: (ثلب).

ويقال لفتى الإبل قعود. وللأنثى بكرة، وتجمع على قعدان وأبكار.

ويقولون لإبل الركوب مطيّة وراحلة. أما إذا حمل عليها صاحبها أثاثه فهي (زاملة)، وإذا وجهها مع قوم ليمتاروا عليها، فهي (عليقة). ويقول النويري في كتابه نهاية الأرب.

«وأما ما اختصت به النوق من الأسماء والصفات، فإنهم يقولون فيها (كهاة)، و(جلالة) وهي العظيمة، و(عطموس) و(دعيلة) وهي الحسنة الخلقة التامة الجسم، و(كوماء) وهي طويلة السنام، و(وجناء) وهي الشديدة القوية اللحم، واشتقاقه من الوجين وهي الحجارة. فإن ازدادت شدتها فهي (عرمس) و(عيرانة). فإذا كانت شديدة كثيرة اللحم فهي (عنتريس) و(عرندس) و(متلاحكة). فإذا كانت ضخمة شديدة فهي (دوسرة) و(عذافرة). وإذا كانت حسنة جميلة فهي (شمرولة). فإذا كانت عظيمة الجوف فهي (مجفرة)، وإذا كانت قليلة اللحم فهي (حرجوج) و(رهب)..».

ويقول النويري عن أوصافها في السير.

«ومن أوصافها في السير إذا كانت لينة اليدين في سيرها فهي (خنوف). فإذا كانت بها هوج من سرعتها فهي (هوجاء) و(هوجل). فإذا كانت تقارب بين خطواتها فهي (حاتكة). فإذا كانت تمشي وكأنها مقيّدة الرجل وهي تضرب بيديها فهي (راتكة). فإذا كانت سريعة فهي (عصوف) و(مشمعلة) و(عيهل) و(شملال) و(يعملة) و(همرجلة) و(شمذر) و(شملة) و(شمرولة). فإذا كانت تجرر رجليها في المشي فهي (مزحاف) و(زحوف). فإذا كانت لا تقصد في سيرها من نشاطها فهي (عجرفية) قال الأعشى:

وفيها إذا ما سجرت عجرفية ... إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا

ويستمر النويري واصفًا ألوانها فيقول:

«وأما ألوان الإبل فإنهم قالوا إذا لم يخالط حمرة البعير شيء فهو (أحمر). فإن خالطها السواد فهو (أرمك). فإذا كان أسود يخالط سواده بياض كدخان الرمث فهو (أورق). فإذا اشتد سواده فهو (جون). فإذا كان أبيض فهو (آدم). فإن خالط بياضه حمرة فهو (أصهب). فإن خالطته شقرة فهو (أعيس). فإن خالطت خضرته صفرة

وسواد فهو (أحوى). فإذا كانت تخالط حمرته سواد فهو (أكلف)». أما في ترتيب سيرها فيقول:

«(فالعنق) وهو المسبطر، فإن ارتفع عنه قليلاً فهو (التريد). فإذا ارتفع عن ذلك فهو (الذميل). فإذا ارتفع فهو (الرسيم). فإذا دارك المشي وفيه قرمطة فهو (الحفد). فإذا ارتفع عن ذلك وضرب بقوائمه كلها فذاك (الارتباع) و(الالتباط). فإن لم يدع جهداً فذاك (الأدرنفاق)».

وأما ما قيل في المسير عليها والنزول للراحة والإراحة فقد قالوا (والحديث لا يزال للنويري):

«إذا سار القوم نهاراً ونزلوا ليلاً فذاك (التأويب). فإذا ساروا ليلاً ونهاراً فذاك (الأساد). فإذا ساروا من أول الليل فهو (الإدلاج). فإذا ساروا من آخر الليل فهو (الادلاج). فإذا ساروا مع الصبح فهو (التغليس). فإذا نزلوا للاستراحة في نصف النهار فهو (التغوير). فإذا نزلوا في نصف الليل فهو (التعريس)...».

هذا إلى جانب مئات التسميات لعيوب الإبل وأوصافها، وكل ذلك يستعار للتشبيه للإنسان في بعض المواقع والمواقف. الأمر الذي يدل على ثروة لغوية هائلة تركتها الإبل في لغتنا.



خاتمة

الحمد لله الذي يسر وأعان. وله الشكر على نعمائه التي لا تحصى.

لقد استطعت بعونه تعالى أن أنتهي من وضع هذا البحث عن الإبل الحيوان الأليف المهم في حياة العرب في صحرائهم الشاسعة من المحيط الأطلسي إلى ضفاف الخليج العربي.

وكان الأجدر بالعرب دائماً أن يكونوا سباقين لوضع كتب تشرح حياة الإبل وطرق معيشتها، وكيفية استئناسها، وتدجينها لأنهم أول من استأنسها في التاريخ. وأول من استخدمها في الركوب وحمل الأثقال. وفي التجارة العرب هم الذين شقوا عليها الصحاري، وحفروا الآبار، ووصلوا إلى ضفاف الصحراء الجنوبية.

فمن الأجدر أن يكتب العرب عنها لأنهم حماتها. وهي عماد ثروتهم. وهي مثار حروبهم ودفع دياتهم، ومهور نسائهم، وطعام أبنائهم.

ولقد آلمني أن أرى الغربيين يكتبون عن الإبل، وينقل العرب عنهم ما كتبوه على ما فيه من أخطاء ولغو.

ولقد قرأت لبعض الكتّاب العرب يكتب عن الإبل مستشهداً بأقوال الرحالة الغربيين الذين ما عرفوا الإبل إلا ساعة وصولهم إلى بلاد العرب. وهي مدة يسيرة لا تقارن بالمدة التي قضاها كاتبنا بين العرب وإبلهم.

إن إنشاء مراكز لدراسة الإبل وطرق علاجها وتنميتها حسب الطرق الحديثة، وحسب العلاجات الحديثة أمر مهم. آمل أن يلقى صدى لدى الذين لهم علاقة بهذا المجال فينشئون هذه المراكز.

إن العرب أولى بهم أن يقدموا المعلومات الصحيحة عن الإبل. وأن يقدموا للعالم مجموعة من الدراسات التي تساعد على تنمية هذه الثروة المهمة في عصر بدأ فيه انحسار الحيوان نتيجة للاستهلاك الجائر. ونتيجة لقلة الاهتمام حيث ساهم النفط في التحول من تربية الإبل والماشية إلى الوظيفة الإدارية أو العمالة في حقول النفط.

لقد شاهدت انحساراً مخيفاً في أعداد الإبل في جنوب الجزائر، حيث انتقل مربو الإبل للعمل في حقول النفط.

كما انحسرت أيضًا أعداد الإبل في ليبيا لسنوات مضت. وقد حاولت الثورة أخيراً تعويض الفاقد بشراء كميات من الدول المجاورة. وبما أن عملية الشراء لا تخضع للمقاييس والاجراءات الصحية المطلوبة، فإن النفوق في الأعداد المشتراة كبير، كما أن أمراضاً مختلفة وصلت إلى ليبيا عن طريق هذه القطعان.

إن هذا الحيوانٍ المهم يجب العناية به والعمل على زيادة قطعانه، وصيانة المراعي وتطويرها وحمايتها مِما يرفع من أعداد هذه الحيوانات ويحميها من الانقراض. كما أن ترشيد المذابح وتقنيتها لهما أهميتهما في حماية الإبل. فترك المجازر حرة في طريقة الذبح، وخاصة ذبح الإناث سينقص أعداد هذه الثروة المهمة.

إن الإبل ستبقى الحيوان الوحيد الذي يكابد ظروف الصحراء، ويتأقلم على العيش فيها.

وستبقى الحيوان الوحيد الذي يعايش العرب في صحرائهم، ويمدهم بما يحتاجون إليه في ظروف الحرب والسلم. وستبقى الحيوان الوحيد الذي لا يحتاج إلى التكاليف الباهظة من حيث التربية والمعيشة والإيواء.

إنني آمل أن يتخصص مجموعة من الباحثين في الإبل، وأن يكتبوا معلومات العرب وآراءهم عن الإبل على الورق حتى تتمكن الأجيال القادمة من الاطلاع على تجارب أجدادهم ومعلوماتهم، ويثروها للأجيال القادمة من بعدهم.



المحتويات

... **والإبل** تعشق اوطانها. واذا فارقتها فإنها تعود اليها ولو طال الزمن.

واذا ضل العربي الطريق في الصحراء فانه يرخي للجمل زمامه فيتجه به نحو الماء. إذ الإبل لا تنسى مواقع الآبار التي وردتها ولو كانت صغيرة.

والجمل يحس بالخطر ولو كان بعيداً. ويشم الأعداء من بعيد. ويسمع صوت حوافر الخيل وحركة العدو من بعيد. فيتجه جهة الصوت وينصب أذنيه نحو الصوت. فيعرف صاحبه ان شيئاً ما يتحرك في تلك الجهة. ليلاً او نهاراً.

والإبل تطرب لصوت الحادي. فإذا ضجرت القافلة المحملة من السير في الصحراء ينبري احد الرجال بالغناء خلفها فتطرب وتمد رقابها وتسرع في السير وتجهد حتى إن بعضها بعد سفر طويل يسقط ميتاً من الاجهاد.

دَار المُلتَقى للطبَاعَة وَالنشر